

تأليف

مسعد حسين محمد

تقديم أصحاب الفضيلة

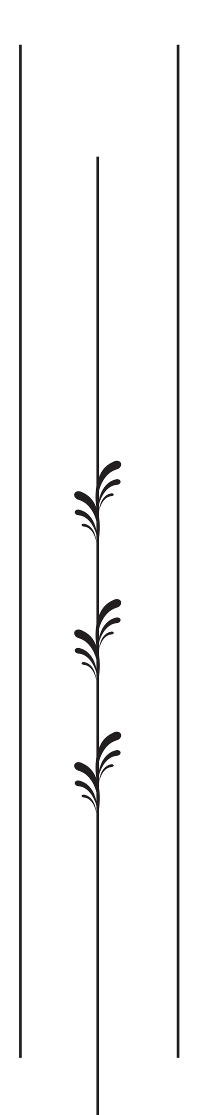
الدكتور عائض القرني — الدكتور أحمد فريد

الشيخ عبد الله الشنقيطي — الدكتور سيد العفاني



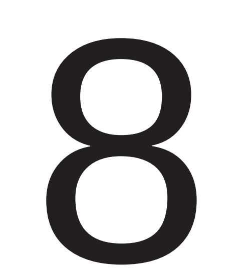



شبكة
الألوكة




حسن الخلق





حسن الخلق

جميع حقوق الطبع
محفوظة للناشر
ولا يجوز نهائيًا نشر
أو اقتباس
أو اختزال
أو نقل أي جزء من
الكتاب دون الحصول
على إذن كتابي
من الناشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

رقم الإيداع

/ ٢٠١٤ م



www.alukah.net
شبكة الألوكة



تأليف

مسعد حسين محمد

تقديم

الشيخ الدكتور / أحمد فريد

الشيخ / عبد الله الشنقيطي

الشيخ / سيد حسين العفاني

الشيخ / عائض القرني

شبكة الألوكة - قسم الكتب


شبكة
الألوكة


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الشيخ الدكتور عائض بن عبد الله القرني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن حُسن الخُلُق يُمنٌ وسعادة، ونعيمٌ عاجلٌ، وسرورٌ حاضرٌ لمن أراد الله به خيرًا، وإن حياتنا تحتاج إلى حُسن الخُلُق مع الخَلْق، بمقابلة القبيح بالجميل، والإساءة بالإحسان، والسيئة بالحسنة، وكظم الغيظ وقت الغضب، والحلم عند الطيش، والعفو والصفح، والرحمة والمغفرة، ولين الجانب، وحسن الخطاب؛ لأن أصحاب الخُلُق الحسن يغلبون أنفسهم بالحلم وقت الغضب والطيش، فلا ينفذون مرادات نفوسهم من التشفي والانتقام، بل ينتصرون عليها ويملكون زمامها.

فهم يسامحون من ظلمهم، ويعفون عمن أساء إليهم، ويتجاوزون عنه، فيقدمون العفو طمعًا في عفو الرحمن، ويتركون معاقبة الناس خوفًا من عقاب الديان، وهذا هو الإحسان.

ولقد كان صلوات ربي وسلامه عليه أحسن الناس خُلُقًا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] على خُلق عظيم من كريم الشمائل، وجميل الفضائل، وأشرف المناقب، وأجمل المواهب، إنه مضرب المثل في كل خلق نبيل، وكل نهج جليل. فقد كان خلقه القرآن، يمتثل أوامره وينتهي عن نواهيه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالت أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها في وصفها المعصوم عليه صلاة ربي وسلامه: «كان خلقه القرآن».

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فبسبب الرحمة التي أودعها الله فيه، والعطف الذي جعله الله في قلبه، كان لينًا سهلًا مع المؤمنين. فعفا عن خطئهم، وستر خللهم، وتجاوز عن زللهم. فإذا أحسن المرءُ خلقه وتأسى بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم أذعنت له الأرواح، وخضعت له النفوس، وانقادت له القلوب، وتحول عدوه إلى صديق محب موالٍ كأنه قريب شفيق عليه.

وقد أحسن صاحبُ هذا الكتاب الأستاذ مسعد حسين فقد أجاد وأفاد، وأنا في الحقيقة لم أره ولكن رأيتُ بعض مؤلفاته، التي اتسمت بالسهولة واليسر، والترغيب والترهيب، والاستدلال بكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم والآثار السلفية، وهذه هي طريقة السلف ومسلكهم رضوان الله عليهم. نفع الله به وبمؤلفاته، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.


عائض القرني

daalqrni@gawab.com

ص. ب: ٢٣٠٣٧٩

الرمز البريدي: الرياض ١١٣٢١

فاكس: ٤١٩٦٦٦٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة

الشيخ/ عبد الله الشيخ محمد الحسيني الشنقيطي

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة بحفظ هذا الدين، فقيض له من كل خلفٍ عدولًا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين.

والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وإمام النبيين، الذي لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين، وعلى آله وصحبه وسائر التابعين.

وبعد، فقد تصفحت كتاب «حُسن الخلق» لفضيلة الشيخ مسعد حسين محمد، فإذا هو غاية في الروعة والجمال، فهو كثير الفوائد، صحيح المقاصد، يذكر الغافل ويعلم الجاهل، مما يدل على أن الشيخ ألفه بروحٍ ربَّانية، وقلب مشرقٍ، وعقلٍ مستنير.

وعظ به فأثَّر، وبشر وأنذر، وشرح ففصَّل، واستدلَّ فأصَّل.

فجزاه الله خير ما يجزي به من يعلم الناس الخير.

كتبه

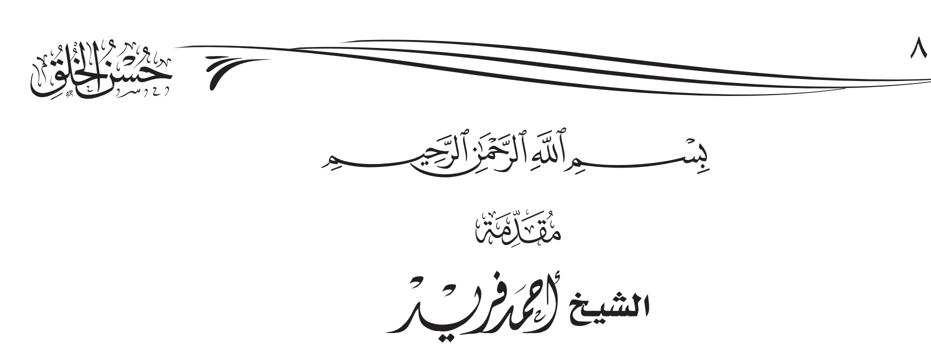
عبد الله الشنقيطي

الإمارات العربية - أوقاف الشارقة



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الشيخ أحمد فريد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سئيات أعمالنا، من يهده الله فر مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

ثم أما بعد: فإن حسن الخلق من أهم ما بُعثَ به النبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، وقد مدحه الله بقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، والناظر في سيرته صلى الله عليه وسلم أو الدارس الشمائله يتعجب من اجتماع كل الأخلاق الكريمة، والفضائل العظيمة في شخصه صلى الله عليه وسلم، فقد كان يحث على حسن الخلق بهديه وسمته ودله، كما رغب في حسن الخلق بأقواله وأفعاله، وما أحوج الأمة إلى التربية على خلقه الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد قال قائلهم:

إنما الأممُ الأخلاق ما بقيت ... فإن هُمُو ذهبتْ أخلاقهم ذهبُوا

وقد استشعر أخونا الحبيب/ مسعد حسين حاجة أمته إلى مصنف جديد فريد عن حسن الخلق، فأتحف المكتبة الإسلامية بهذا البحث المعطار «حسن الخلق»، أسأل الله تعالى أن يتقبله بقبول حسن، وأن ينفع به البلاد والعباد، وأن يدخر لصاحبه بره وزخره يوم الثناد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

أحمد فريد

٨ محرم سنة ١٤٣٤هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مقدمة
الدكتور / سيد حسين العفاني

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله:

ثم أما بعد:

فإن الفتوة إنما هي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخلق، وهذه المنزلة حقيقتها هي منزلة الإحسان إلى الناس، وكف الأذى عنهم واحتمال أذاهم، فهي استعمال حُسن الخلق معهم - فهي في الحقيقة نتيجة حسن الخلق واستعماله.

ولقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خُلقًا.

فقد سأل هشام بن حكيم عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خلق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: «كان خلقه القرآن». فقال: «**لقد هممت أن أقوم ولا أسأل شيئًا**».

وقال أنس: «ما مَسَسْتُ ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ولقد خدمت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر سنين، فما قال لي قط: أُف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلتهُ؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟» هكذا كان خلقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ولذلك قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليك بحسن الخلق، وطول الصمت؛ فوالذي نفسي بيده، ما تجمل الخلائق بمثلهما**».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهـذه بعـض النفائس واللطائف من حسـن الخلق، لنفوس قـد ذُللت بالمجاهدة، فاعتدلت فطابت أخلاقها، ونُقِّيت من الغش والغل بواطنها فأثمرت الأطايب، فظهرت العلامات على ظواهرهم.

كان محمـد بـن واسـع يقـول: «لا يبلغ العبـد مقام الإحسـان حتى يُحسـن إلى كل مـن صحبـه ولو سـاعة. وكان إذا باع شـاة يوصي بها المشـتري ويقول: قـد كان لها معنا صُحبة».

وخرج إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سفر ومعه ثلاثةُ نفر، فدخلوا مسجدًا في بعض المفـاوز، والبرد شـديد، وليس للمسـجد باب، فلما نامـوا قام إبراهيم بـن أدهم، فوقف عـلى البـاب إلى الصباح، فقيل له: لم لم تنم؟ فقال: خشـيت أن يُصيبكم البرد فقمت مقام الباب.

وقالـت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي. فقال: يا هذه، وجدت اسـمي الذي أضله أهل البصرة.

واجتاز شـيخ الإسـلام أبو عثمان الحيرى يومًا في سكة، فطُرحت عليه إجانة رماد، فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر، ثم جعل ينقص الرماد عن ثيابه، ولم يقل شيئًا، فقيل: ألا زبرتهم؟ فقال: «إن من استحق النار فصُولح على الرماد، لم يُجز له أن يغضب».

وقال الفضيل: «ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسـان جلس إلى في المسـجد، ثـم قـام ليطوف فسُرقت دنانـير كانت معه، فجعـل يبكي، فقلت: أعـلى الدنانير تبكي؟ فقـال: لا، ولكـن مثلتني وإياه بـين يدي الله عَزَّوَجَلَّ فأشرفت عقلى عـلى إدحاض حجته، فبكائي رحمة له!!


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال رجل لبعض الحكماء: «والله لأسُبَّنك سبًا يدخل معك في قبرك، فقال: معك يدخل لا معي.

هـذه كانت بعض النفائس واللطائف لهؤلاء الأخيـار الأبرار، فمن لم يصادف من نفسـه هذه العلامات، فلا ينبغي أن يغتر بنفسـه فيظن بها حُسن الخلق، فإنها درجة رفيعة لا ينالها إلا المقربون والصديقون.

أمـا هـذا الكتاب فهو صفحـات مُضيئة من حسـن الخلق، قد سـاهم أخونا في الله مسـعد حسين مسـاهمة فاعلة بهذا الكتاب في النهوض بحسن الخلق، نسأل الله أن يبارك في علمه وعمله وقلمه.

اللهم ارزقنا حسن الخلق، واتباع نبيك صلى الله عليه وسلم في حسن خلقه الكريم، واحشرنا معـه، وارزقنـا مرافقتـه في أعالي الفردوس. وصـلى الله على نبينا محمد وعـلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

العبد الفقير إلى ربه

سيد حسين العفاني



شبكة الألوكة - قسم الكتب



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله تَعَالَىٰ من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ثم أما بعد:

فإن حُسن الخُلُق صفة عظيمة من صفات أنبياء الله تعالى وأولياءه، وحقيقة حُسن الخُلُق بذل المعروف، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، ومخالطة الناس بالجميل والبشر، والتودد لهم، والإشفاق عليهم واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظة والغضب.

ومن فضل الله عليَّ أن وفقني في كتابة هذا الكتاب الموسوم بـ (حُسن الخُلُق) الذي توخيت فيه عناصر طيبة في حسن الخلق، قصدت به النُصح لنفسي أولًا ثم نصيحة إخواني المسلمين، ليكون لهم مِشعل هداية ومنار رُشد.

وقد جمعت فيه كثيرًا من الآيات الطيبة - وكُلُها طيب - وتفسير أهل العلم لها، وباقة عظيمة من الأحاديث النبوية الصحيحة، وبعض الآثار الثابتة، والأشعار الهادفة، حتى يشتمل على بدائع الفوائد، وفرائد القلائد، فلا يسأمه الجليس، ولا يمله الونيس، فيحدو النفوس إلى كل خير وفضيلة.

بِـالله يَـا نَـاظِـرًا فـيـهِ ومُنْتَفِعًا ... مِـنـهُ سَـل الله تـوَفـيـقًـا لـجاَمِـعِه

وَقُـلْ أنْـلـهُ إِلـهَ الـعَـرشِ مَـغْـفِـرةً ... وَاقَـبـلْ دُعَـاهُ وَجـنِّـب عَـن مَـوانِـعِه

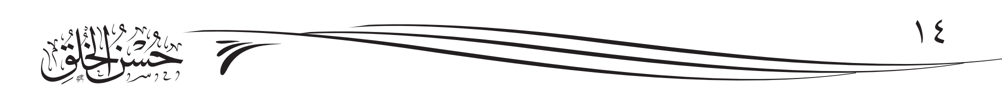
وخُصَّ نفسَكَ مِن خَيرٍ دَعَوتَ بهِ ... وَمَنْ يَقومُ بما يَكفْي لِطَابِعِهِ
والمُسلِمينَ جَميْعًا مَا بَدَا قَمَرٌ ... أَو كَوكَبٌ مُسْتَنْيرٌ مِن مَطَالِعِهِ

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الراجي عفو ربه الغفور

مُسْعِدُ حُسَيْنٍ مُحَمَّد



حُسن الخُلق

الخُلُق: هو السَّجيَّة والطبع، وهو كما يقول أهل العلم: صورة الإنسان الباطنة، لأن للإنسان صورتين:

صورة ظاهرة: وهي شكل خِلْقته التي جعل الله البدن عليه، وهذه الصورة الظاهرة منها ما هو جميل حسن، ومنها ما هو قبيح سيء، ومنها ما بين ذلك.

وصورة باطنة: وهي حالةٌ للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أوشر، من غير حاجة إلى فكرٍ ورويَّة.

وهذه الصورة أيضًا منها ما هو حسن إذا كان الصادرُ عنها خُلقًا حسنًا، ومنها ما هو قبيح إذا كان الصادر عنها خُلُقًا سيئًا، وهذا ما يُعبر عنه بالخُلُق، فالخلق إذن هو الصورة الباطنة التي طُبع الإنسان عليها.

وحسن الخُلُق: صفة سيد المرسلين، وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين ، وثمرة مجاهدة المتقين، ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هي السمومُ القاتلة، والمهلكات الدامغة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، والخبائث المبعدة عن جِوار رب العالمين، المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان، وجوار الرحمن والأخلاق الخبيثة أمراض القلوب، وأسقام النفوس، إلا أنَّه مرض يُفوِّت حياة الأبد، وأين منه المرضُ الذي لا يُفوِّت إلا حياة الجسد؟! ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان، وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية، فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب - وفي مرضها فوت حياة باقية - أولى، وهذا النوع من الطب واجب تعلُّمه على كل ذي لُبٍّ؛ إذ لا يخلو

قلبٌ من القلوب عن أسقام، لو أهملت تراكمت، وترادفت العلل وتظاهرت، فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة علمها وأسبابها، ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها، فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]، وإهمالها هو المراد بقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٠][(١)].

ولقد حدد رسول الله ﷺ: الغاية الأولى من بعثته، والمنهاج المبين من دعوته، بقوله: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(٢)] فكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة، وبذل صاحبها ﷺ: جهدًا كبيرًا في مد شعاعها، وجمع الناس حولها، لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلها، وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم حتى يسعوا إليها على بصيرة.

وإنما شرعت العبادات في الإسلام، واعتبرت أركانًا في الإيمان من أجل حسن الخلق، والقرآن الكريم والسنة المطهرة يكشفان بوضوح عن هذه الحقائق:

❁ فالصلاة المفروضة الواجبة عندما أمرنا الله بها أبان الحكمة من إقامتها، فقال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

❁ والزكاة المفروضة هي في الحقيقة غرس لمشاعر الرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٧١) لأبي حامد الغزالي، ط: دار الصحابة.

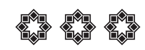
(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [١٤٠٠]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٧]، والإمام أحمد (٣/ ٣٨١)، والحاكم (٢/ ٦٧٠)، وصححه: ووافقه الذهبي، وقواه العلامة شعيب الأرنؤوط، وصححه: العلامة الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٤٥].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وكذلك شرع الإسلام الصوم، فلم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائمًا من شهواتها المحظورة، ونزواتها المنكرة، وإقرارًا لهذا المعنى قال: رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**»(١).

وكذلك الحج قال تعالى: ﴿**ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [البقرة: ١٩٧] فهذا العرض المجمل لبعض العبادات التي اشتهر بها الإسلام، وعرفت على أنها أركانه الأصلية، نستبين منه متانة الأواصر التي التي تربط الدين بالخلق، إنها عبادات متباينة في جوهرها ومظهرها، ولكنها تلتقي عند الغاية التي وضعها رسول الله ﷺ: في قوله: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٢).



(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٩٠٣]، وأبو داود [٢٣٦٢]، والترمذي [٧٠٧]، وابن ماجه [١٦٨٩].

(٢) «خلق المسلم» ص: (٩ - ١١) للغزالي، ط: دار الدعوة، وانظر: كتابينا «أحب الأعمال إلى الله» ص: (١٢٠ - ١٢١)، ط: دار الإيمان، و«هؤلاء يحبهم الله» ص: (١٦٣ - ١٦٤)، ط: دار الكنوز، والحديث تقدم تخريجه، ص: [٨].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

العنصر الأخلاقي في الإسلام

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قال الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لهذه اللَّفتةِ دلالتها على تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله، وأصالة هذا العنصر في الحقيقة الإسلامية، والناظر في هذه العقيدة كالناظر في سيرة رسولها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد العنصر الأخلاقي بارزًا أصيلًا فيها، تقوم عليه أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السَّواء؛ الدعوة الكبرى في هذه العقيدة إلى الطهارة والنظافة، والأمانة والصدق، والعدل والرحمة، والبرِّ وحفظ العهد، ومطابقة القول للفعل، ومطابقتهما معًا للنية والضمير، والنهي عن الجور والظلم، والخداع والغشِّ، وأكل أموال الناس بالباطل، والاعتداء على الحرمات والأعراض، وإشاعة الفاحشة بأيَّة صورة من الصور.

والتشريعاتُ في هذه العقيدة لحماية هذه الأسس وصيانة العنصر الأخلاقي؛ في الشعور والسلوك، وفي أعماق الضمير، وفي واقع المجتمع، وفي العلاقات الفردية والجماعية والدولية على السواء. والرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق**»(١) فيلخص رسالته في هذا الهدف النبيل، وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كلِ خُلقٍ كريم، وتقوم سيرته الشخصية مثالًا حيًا وصفحة نقية، وصورة رفيعة تستحقُ من الله أن يقول عنها في كتابه الخالد: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. فيمجد بهذا الثناء نبيَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يمجِّد به العنصر الأخلاقي في منهجه، الذي جاء به هذا النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويشدّ به الأرض إلى السماء، ويعلق به قلوب الراغبين إليه سبحانه، وهو يدلُهم على ما يحبُّ ويرضى من الخُلق القويم.

---

(١) تقدم تخريجه، ص: [٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا الاعتبار هو الاعتبار الفذُّ في أخلاقية الإسلام، فهي أخلاقية لم تنبع من البيئة، ولا في اعتبارات أرضية إطلاقًا، وهي لا تُستمدُ ولا تعتمد على اعتبار من اعتبارات العُرف أو المصلحة أو الارتباطات التي كانت قائمة في الجيل، إنما تُستمدُ من السماء وتعتمد على السماء.. تستمد من هُتاف السماء للأرض لكي تطلع إلى الأفق، وتستمد من صفات الله المطلقة ليحققها البشر في حدود الطاقة، كي يحققوا إنسانيتَّهم العليا، وكي يصجوا أهلًا لتكريم الله لهم واستخلافهم في الأرض، وكي يتأهلوا للحياة الرفيعة الأخرى في مقعدِ صدِق عند مليك مُقتدر، ومن ثمَّ فهي غير مقيَّدة، ولا محدودة بحدود، من أي اعتبارات قائمة في الأرض، إنما هي طليقة ترتفع إلى أقصى ما يُطيقه البشر؛ لأنها تتطلَّع إلى تحقيق وظهور آثار صفات الله الطليقة من كل حدٍّ ومن كلِّ قيد. ثم إنها ليست فضائل مفردة؛ صدق وأمانة وعدل ورحمه وبرّ، إنما هي منهج متكامل تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية، وتقوم عليه فكرة الحياة كلها واتجاهاتها جميعًا، وتنتهي في خاتمة المطاف إلى الله؛ لا إلى أي اعتبار آخر من اعتبارات هذه الحياة.

وقد تمثلت هذه الأخلاقية الإسلامية - بكما لها وجمالها، وتوازنها واستقامتها، واطِّرادها وثباتها - في محمد ﷺ، وتمثلت في ثناء الله العظيم وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤][1].

وقد جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال جعفر بن محمد: أمر الله نبيَّه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آيةٌ أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية ولا ريب أن للمطاع مع الناس ثلاثة أحوال:

أحدها- أمرهم ونهيهم بما فيه مصلحتهم.

---

(١) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٦٥٧ - ٣٦٥٨)، للأستاذ: سيد قطب، ط: دار الشروق.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانيها- أخذه منهم ما يبذلونه مما عليهم من الطاعة.

ثالثها- أن الناس معه قسمان: موافقٌ له موالٍ، ومعادٍ له معارض وعليه في كل واحد من هذه واجب:

فواجبه في أمرهم ونهيهم: أن يأمر بالمعروف. وهو المعروف الذي به صلاحهم وصلاح شأنهم، وينهاهم عن ضدِّه.

وواجبه فيما يبذلونه له من الطاعة: أن يأخذ منهم ما سهل عليهم وطوعت له به أنفسهم، سماحةً واختيارًا، ولا يحملهم على العنت والمشقة فيُفسِدهم.

وواجبه عند جهل الجاهلين عليه: الإعراض عنهم، وعدم مقابلتهم بالمثل والانتقام منهم لنفسه؛ فقد قال الله تَعَالَىٰ لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس».

وقال مجاهد: «يعني خُذِ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تخسيس، مثل: قبول الأعذار، والعفو والمساهلة، وترك الاستقصاء في البحث والتفتيش عن حقائق بواطنهم».

وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: خذ ماعفا لك من أموالهم. وهو الفاضل عن العيال، وذلك معنى قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وهو كل معروف. وأعرفُه التوحيد، ثم حقوق العبودية وحقوق العبيد.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم قال تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] **يعني**: إذا سفه عليك الجاهلُ، فلا تقابله بالسَّفه؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]

بل يعرض عنه مع إقامة حقِّ الله عليه، ولا ينتقم لنفسه. وهكذا كان خلقه ﷺ.

قال أنس رضي الله عنه: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؛ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلقًا...»[(١)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»[(٢)].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[(٣)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئًا عُرف في وجهه»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٨٧٢]، ومسلم [٢٣٣٠]، والترمذي [٢٠١٥].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٦٠]، ومسلم [٢٣٢٧].
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [١٩٠٢]، ومسلم [١١٠٨]، وأحمد [٢٦١٦].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٦٢]، ومسلم [٢٣٢٠]، وابن ماجه [٤١٨٠]، وأحمد [١١٧٠٠].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته»(١).

وقيل لها رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: ما كان رسول الله يعمل في بيته؟ قالت: كان بشرًا من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته(٢).

وعن أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «أنا زعيمٌ، ببيتٍ في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازِحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسُن خُلُقه»(٣).

فجعل البيت العلوى جزاءً لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخُلق، والأوسط لأوسطها، وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها، وهو ترك المماراة وإن كان معه حقٌّ. ولا ريب أن حسن الخلق مشتمِل على هذا كلِّه.



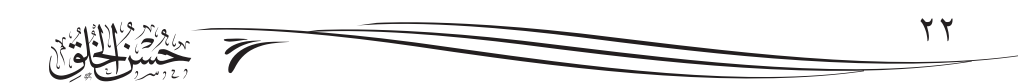
(١) **صحيح**: رواه أحمد [٢٤٨٦١]، وابن حبان [٥٦٧٧]، وصححه الشيخ الألباني في صحح «الأدب المفرد» برقم [٤١٩].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [٣٤٢]، وأحمد [٢٦٣٠٤]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٥٤١] وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم [٦٧١].

(٣) **حسن**: رواه أبو داود [٤٨٠٠]، والطبراني في «الكبير» [٧٤٨٨]، والبيهقي في «الشعب» [٨٠١٧]، وفي «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٢٧٣]، و«صحيح الجامع» برقم [١٤٦٤].



شبكة الألوكة - قسم الكتب



كمال الشريعة الإسلامية
من ناحية الأخلاق

إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن من مقاصد بعثته إتمام محاسن الأخلاق، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١) فالشرائع السابقة التي شرعها الله للعباد كلها تحث على الأخلاق الفاضلة، ولهذا ذكر أهل العلم أن الأخلاق الفاضلة مما أطبقت الشرائع على طلبه. ولكن هذه الشريعة الكاملة جاء النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيها بتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال ولنضرب مثلًا.

مسألة: القصاص.

ذكر أهل العلم في مسألة القصاص، لو أن أحدًا جَنَى على أحد، فهل يُقتصُّ منه أم لا؟

ذكروا أن القصاص في شريعة اليهود حتميٌ ولابد منه، ولا خيار للمجني عليهم فيه.

وأن الأمر في شريعة النصاري بالعكس، وهو وجوب العفو.

لكن شريعتنا جاءت كاملة من الوجهين، ففيها القصاصُ وفيها العفو، لأن في أخذ الجاني بجنايته حزمًا وكفًا للشر، وفي العفو عنه إحسانًا وجميلًا وبذل معروف فيمن عفوت عنه. فجاءت شريعتنا والحمد لله مكملة، خيرت من له الحق بين العفو والأخذ، لأجل أن يعفو في مقام العفو، وأن يأخذ في مقام الأخذ.

وهذا بلاشك أفضل من شريعة اليهود التي ضيعت حق المجني عليهم في العفو الذي قد يكون فيه مصلحة لهم، وأفضل من شريعة النصارى التي ضيعت حق المجني عليهم أيضًا، فأوجبت عليهم العفو وقد تكون المصلحة في الأخذ أيضًا(٢).

---

(١) تقدم تخريجه صفحة [ص: ٨].

(٢) «مكارم الأخلاق» للشيخ محمد صالح العثيمين، ص: [١١]، ط: مكتبة الهدى المحمدي.



وقفاتٌ مع قول الله عَزَّوَجَلَّ

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأخلاق الحميدة، والأفعال المرضية كانت ظاهرة منه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودلت الآية على أنه مُستعلٍ على هذه الأخلاق، ومُستول عليها، فإنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة كالمولى بالنسبة للعبد، كانت عظيمة عالية، كأنها لقوتها وشدة كما لها من جنس أرواح الملائكة(١).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجية له وخلقًا تطبعه، وترك طبعه الجبلى فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل(٢).

وقال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحلى بصفات الكمال المنقطعة النظير، وأدَّبه ربه فأحسن تأديبه، حتى خاطبه مُثنيًا عليه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس، وحببه إلى القلوب، وصيَّره قائدًا تهوي إليه الأفئدة، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء، حتى دخلوا في دين الله أفواجًا(٣).

وقال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هكذا تجيء الشهادة الكبرى والتكريم العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وتتجاوب أرجاء الوجود بهذا الثناء الفريد على النبي الكريم صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويثبت هذا الثناء العلوى في صميم الوجود. ويعجز كُل قلم، ويعجز كل

---

(١) «مفاتيح الغيب» (١٥/ ٦٤٩ - ٦٥١) لفخر الدين الرازي، ط: دار الغد العربي.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٧٨) للحافظ ابن كثير، ط: مكتبة الإيمان.

(٣) «الرحيق المختوم» ص: [٤٢٥] لصفي الرحمن المباركفوري، ط: دار العلوم العربية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، وهي شهادة من الله، في ميزان الله لعبد الله، يقول له فيها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ومدلول الخُلُق العظيم هو ما هو عند الله، مما لا يبلغ على إدراك مداه أحدٌ من العالمين ودلالة هذه الكلمة العظيمة على عظمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تبرز من نواحٍ شتى:

تبرز من كونها كلمة من الله الكبير المتعال، يسجلها ضميرُ الكون، وتثبت في كيانه وتتردَّد في الملأ الأعلى إلى ما شاء الله.

وتبرز من جانب آخر، من جانب إطاقة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتلقيها، وهو يعلم من ربُّه هذا، قائل هذه الكلمة؛ من هو؟ ما عظمته؟ ما دلالة كلماته؟ ما مداها؟ ما صداها؟ ويعلم من هو إلى جانب هذه العظمة المُطلقة، والتي يُدرك هو منها ما لا يدركه أحد من العالمين.

إن إطاقة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتلقِّي هذه الكلمة من هذا المصدر، وهو ثابت لا ينسحق تحت ضغطها الهائل، ولو أنها ثناء، ولا تتأرجح شخصيته تحت وقْعِها وتضرب. تلقِّيه لها في طمأنينة وفي تماسك وفي توازن؛ هو ذاته دليل على عظمة شخصيته فوق كلِّ دليل ولقد رُويت عن عظمة خُلُقه في السيرة وعلى لسان أصحابه: رواياتٌ كثيرة متنوعة، وكان واقِعُ سيرته أعظم شهادة من كل ما رُوى عنه، ولكنّ هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيءٍ آخر.. أعظم بصدورها عن العليِّ الكبير، وبقائه بعدها ثابتًا راسخًا مطمئنًا، لا يتكبرَّ على العباد، ولا ينتفخ ولا يتعاظم، وهو الذي سمِع ما سمِع من العلى الكبير!

والله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن كان إلَّا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعظمه نفسه هذه من يحمل الرسالة الأخيرة بكل عظمتها الكونية الكبرى، فيكون كُفئًا لها، كما يكون صورة حيَّة منها.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن هذه الرسالة من الكمال والجمال، والعظمة والشموخ، والصدق والحقِّ؛ بحيث لا يحملها إلا الرجل الذي يُثنى عليه الله هذا الثناء، فتُطيق شخصيته كذلك تلقى هذا الثناء في تماسُكٍ وفي توازنٍ، وفي طمأنينة القلب الكبير، الذي يسع حقيقة هذه الرسالة، وإن عظمة هذه النفس من عظمة هذه الرسالة، وإن الخُلق المحمدى - كالحقيقة الإسلامية- لأبعدُ من أي مِجهرٍ يملكهُ بشرٌ، وقصارى ما يملكه راصدٌ لعظمة هذه الحقيقة أن يراها ولا يُحدِّد مداها، وأن يُشير إلى مسارها الكوني دون أن يحدِّد هذا المسار.

ومرةً أخرى أجد نفسي مشدودًا للوقوف إلى جوار الدلالة الضخمة لتلقِّي رسول الله ﷺ لهذه الكلمة من ربِّه، وهو ثابت راسخ متوازنٌ مطمئن الكيان.. لقد كان -وهو بشرٌ - يُثنى على أحد أصحابه، فيهتزُ كيان صاحبه هذا وأصحابه، من واقع هذا الثناء العظيم،وهو بشرٌ، وصاحبه يعلم أنه بشر، وأصحابه يدركون أنه بشر. إنه نبيٌ ..نعم، ولكن في الدائرة المعلومة الحدود، دائرة البشرية ذات الحدود، فأما هو فيتلقى هذه الكلمة من الله، وهو يعلم من هو الله، هو يعلم عنه ما لا يعلمه سواه، ثم يصطبر ويتماسك، ويتلقَّى ويسير.. إنه أمر فوق كلِّ تصور وفوق كل تقدير!! إنه محمد ﷺ وحده هو الذي يرقى إلى هذا الأفقِ من العظمة، إنه محمد ﷺ.. وحده هو الذي يبلغ قمَّة الكمال الإنساني. إنه محمد ﷺ وحده هو الذي يكافئ هذه الرسالة الكونية العالمية الإنسانية، حتى لتشمل في شخصية حيَّة، تمشى على الأرض في إهاب إنسان..إنه محمد ﷺ وحده الذي علِم الله منه أنه أهل لهذا المقام، والله أعلمُ حيثُ يجعل رسالته، وأعلن في هذه أنه على خُلقٍ عظيم، وأعلن في الأخرى أنه جلَّ شأنه، وتقدَّستْ ذاته وصفاته - يصلى عليه هو وملائكته[1].

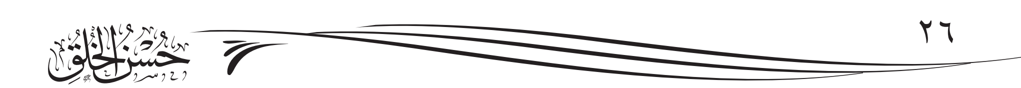


(١) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٦٥٦ - ٣٦٥٧)، للأستاذ: سيد قطب، ط: دار الشروق.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



مقتطفات من أخلاق النبوة

نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو خير البرية، وأزكى البشرية، وأعلاها رتبة، وأجلها قدرًا، وأحسنها خلقًا وأكرمها على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

اختاره الله على علم، وأكرمه بالرسالة، وأيده بالوحي.

جبله على حميد الخلال، وفطره على كريم الخصال، ثم أدبه فأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، فكان خلقه القرآن، كما قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا عندما سئلت عن خلقه[1].

وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقوله: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقوله: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٧٤٦]، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦١٣)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» [٩]، والبغوي في «الأنوار في شمائل النبي المختار» [١٩٧].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقولـه: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

وأمثال هذه التأديبات في القرآن كثير لا يكاد يحصر.

ورسولنا عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو المقصود الأول بالتأديب والتهذيب، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق؛ فإنه أُدِّب بالقرآن، وأَدَّب الخَلْقَ به، ثم لما أكمل الله له خُلُقَهُ أثنى عليه فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤].

فسبحانه ما أعظم شأنه، وأتمَّ امتنانه، انظر إلى عظيم فضله، وعميم لطفه؛ كيف أعطى ثم أثنى؟![١].

ولقد كتب العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في شمائل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأخلاقه، فتحدثوا عن حلمه، وعفوه، ورحمته، وشفقته، وحيائه، وشجاعته، وجوده، وكرمه، وصدقه، وبره، ووفائه، وأمانته، وإيثاره، وتواضعه، ولين جانبه، وكرم معشره، ونحو ذلك.

فمن تأسى به، وتخلق بخلقه كان في أعز جوار، وأمنع ذمار.

فبحسب متابعته تكون العزة، والكفاية، والنصرة، كما أنه بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة؛ فالله سُبۡحَانَهُ علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته.

فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح، والعزة، والكفاية، والنصرة، والولاية والتأييد، وطيب العيش في الدنيا والآخرة.

ولمخالفيه الذلة، والصغار، والخوف، والضلال، والخذلان، والشقاء في الدنيا والآخرة[٢].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٥٧ – ٣٥٨).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٣٧). لابن القيم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَبَسْطُ شمائله الحميدة، ونشر أخلاقه الكريمة من أمثل الطرق، وأقوم السبل لحسم الفساد، وكسر شوكة الباطل، بل إن ذلك مرقى العز، وسلم السعادة، وسبيل التأسي.

وفيما يلي من أسطر ذِكْرٌ لبعض ما رقمته أقلام العلماء في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وذلك على سبيل الاختصار والاختزال، دون ذكر للأسانيد، أو إكثار من الإحالات؛ إذ المقام ليس مقام إطالة وإسهاب.

فمما قيل في أخلاقه عليه الصلاة والسلام **ما يلي**(١):

كان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعفَّ الناس.

وكان أسخى الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، وإن فَضُل شيء ولم يجد من يعطيه وفاجأه الليل لم يأوِ إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه.

وكان لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط، وكان ذلك من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع ذلك في سبيل الله، ولا يسأل شيئًا إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه، فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء.

وكان يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن، وكان أشد الناس حياءً، لا يثبت بصره في وجه أحد.

وكان يجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن، أو فخذ أرنب، ويكافئ عليها، ويأكلها، ولا يأكل الصدقة، ولا يستكبر عن إجابة دعوة الأَمَةِ والمسكين.

---

(١) انظر: «الشمائل المحمدية» للترمذي ص: (١٨٦ - ٢٨٠، ٢٦٢ - ٢٨٣) تحقيق محمد عفيف الزعبي، وانظر: «الأنوار في شمائل النبي المختار» للبغوي تحقيق الشيخ إبراهيم اليعقوبي (١/ ١٦١ - ٣٥٨)، وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم لأبي الشيخ الأصبهاني تحقيق عصام الدين الصبابطي ص: (١٣ - ٩٨)، «ودلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني ص: (٥٥١ - ٦٥٦)، و«إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٥٧ - ٣٨٧)، و«شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه» لابن كثير (١/ ٧٣ - ١٥٢).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يغضب لربه، ولا يغضب لنفسه، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع، ومرة يأكل ما حضر، ولا يردُّ ما وجد، ولا يتورع عن مطعم حلال، وإن وجد تمرًا دون خبز أكله، وإن وجد شواء أكله، وإن وجد خُبْزَ بُرٍّ أو شعير أكله، وإن وجد حلوًا أو عسلًا أكله، وإن وجد لبنًا دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخًا أو رطبًا أكله.

وكان يعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس.

وكان أشد الناس تواضعًا، وأسكنهم من غير كبر، وأبلغهم من غير تطويل، وأحسنهم بشرًا، لا يهوله شيء من أمور الدنيا.

يلبس ما وجد، فمرة شملة، ومرة برد حبرة يمانيا، ومرة جبة صوف، فما وجد من المباح لبس.

يركب ما أمكنه، مرة فرسًا، ومرة بعيرًا، ومرة بغلة شهباء، ومرة حمارًا، ومرة يمشي راجلًا حافيًا.

يجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقًا، يضحك من غير قهقهة، يسابق أهله، ترفع الأصوات عليه فيصبر.

وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تَعَالَىٰ أو فيما لابد له منه من صلاح نفسه.

لا يحتقر مسكينًا لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكًا لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاءً مستويًا، قد جمع الله تَعَالَىٰ له السيرة الفاضلة، والسياسة التامة، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب.

نشأ في بلاد الجهل والصحارى في فقره، وفي رعاية الغنم يتيمًا لا أب له، فعلمه



شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله تَعَالَىٰ جميع محاسـن الأخلاق، والطرق الحميدة، وأخبـار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغبطة والخلاص في الدنيا، ولزوم الفضل، وترك الفضول.

مـا شـتم أحدًا من المؤمنين بشـتيمة إلا جعل لها كفـارة ورحمة، وما لعـن امرأة قط ولا خادمًا بلعنة.

وما ضرب بيده أحدًا قط، إلا أن يضرب بها في سـبيل الله تَعَالَىٰ وما انتقم من شيء صنـع إليه قـط إلا أن تنتهك حرمة الله، وما خُيِّر بين أمرين قـط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم، فيكون أبعد الناس من ذلك.

وما كان يأتيه أحد حرٌّ أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته.

ولم يكن فظًا ولا غليظًا، ولا صخَّابًا في الأسـواق، وما كان يجزي بالسـيئة السـيئة ولكن يعفو ويصفح.

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومَنْ قادَمَهُ لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرفَ.

وما أخذ أحدٌ بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر، وكان إذا لقي أحدًا من أصحابه بدأه بالمصافحة، ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها.

وكان أكثـر جلوسـه أن ينصـب سـاقيه جميعًا، ويمسـك بيديه عليهما شـبه الحِبُوة، ولم يكـن يعرف مجلسـه مـن مجلس أصحابـه؛ لأنه كان يجلـس حيث انتهى بـه المجلس، ومـا رؤي قـط مادًا رجليه بين أصحابه؛ حتى لا يضيق بهـما على أحد إلا أن يكون المكان واسعًا لا ضيق فيه.

وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه، وكان يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه، وسمعه، وحديثه، ولطيف محاسنه وتوجهه.

ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة.

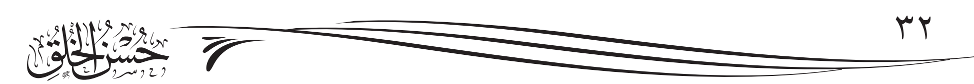
ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم؛ إكرامًا لهم، واستمالة لقلوبهم، وكان يكني من لم تكن له كنية، فكان يدعى بما كناه به، ويكني - أيضًا - النساء اللاتي لهن الأولاد، واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى، ويكني الصبيان، فيتسلين به قلوبهم.

وكان أبعد الناس غضبًا، وأسرعهم رضًا، وكان أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس، وكان لا يشافه أحدًا بما يكرهه.

وهذه بعض أخلاقه وشمائله، رزقنا الله حسن اتباعه، والتأسي به، والاهتداء بهديه.

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا رسول الله: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بما شئت،


شبكة الألوكة - قسم الكتب



إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»(١).

عن أنس رضي الله عنه قال: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، قال: فجاءه رجلٌ فأعطاه غنمًا بين جبلين،، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيرًا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»(٢).

وروى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح، فتح مكة ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النَّعم ثم مائة ثم مائة، قال صفوان بن أمية: «والله! لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يُعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ»(٣).

عن معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه! ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده، أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٣١]، ومسلم [١٧٩٥].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣١٢].
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣١٣].
(٤) **صحيح**: رواه مسلم [١٢٢٧].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها، فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مهلًا يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله، فقلت: يا رسول الله، ألم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قد قلت وعليكم**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إن دوسًا قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القبلة ورفع يديه فقال الناس: هلكوا، فقال: «**اللهم أهد دوسًا وائت بهم، اللهم أهد دوسًا وائت بهم، اللهم أهد دوسًا وائت بهم**»(٢)، رجع الطفيل بعد هذه الدعوة إلى قومه ورفق بهم فأسلم على يديه خلق كثير ثم قدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بخيبر فدخل المدينة بثمانين أو تسعين بيتًا من دوس، ثم لحقوا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين(٣).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ. قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ**»، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ. ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله عَزَّوَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠٢٤].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٥٤]، ومسلم [١٣٤٧].
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٤٦)، «الإصابة» (٢/ ٢٢٥).
(٤) **صحيح**: رواه مسلم [٦٨٧].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كأني أنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه، فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه يقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[(١)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أمشي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي، فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال: «**مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء**»[(٢)].

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما ضرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا. أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تَعَالَى فينتقم لله تَعَالَى»[(٣)].

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلِّم فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلمه أسامة فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتشفع في حدٍّ من حدود الله**»، ثم قام فاختطب ثم قال: «**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»[(٤)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٤٧٧]، ومسلم [١٧٩٢].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣١٤٩]، ومسلم [١٠٥٧].
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣٢٨].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٣٤٧٥]، ومسلم [١٦٨٨].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فزِعَ أَهْلُ الْـمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا**»[(١)].



(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٠٤٠]، ومسلم [٢٣٠٧].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فضل حُسن الخلق

إن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم، الذي لاقيام للدين بدونه، وإن المؤمنين يتفاضلون في الإيمان، وإن أفضلهم أحسنهم خلقًا، وكذلك يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والقرب منه يوم القيامة، وأكثرهم ظفرًا بحبه والقرب منه هم الذين حسنت أخلاقهم فعن أبي ثعلبة الخشنى، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن أحبكم إلى وأقربكم منى في الآخرة محاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقًا، الثرثارون المتفيهقون المتشدقون**»(١).

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم خلقًا**»(٢).

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ليس شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»(٣).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(٤).

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتق الله حيثما كنت**(٥)**، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد [١٧٦٦١]، وابن حبان [٤٨٢]، والطبراني في «الكبير» [٥٨٨]، والبيهقى في «الشعب» [٣٢١٤] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٥٣٥].

(٢) **حسن**: رواه أحمد [٦٧٦٧] وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١١٧٦].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٤٤٢)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٢٦٦].

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٧٩٨]، وأحمد (٦/ ١٨٧)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٩٢٨].

(٥) **حيثما كنت**: أي في السر والعلانية حيث يراك الناس وحيث لا يرونك.

(٦) **حسن**: رواه أبو داود [٤٥٨٣]، والترمذي [١٩٨٧]، وأحمد (٥/ ٢٢٨)، والحاكم (١/ ١٢١)، وابن ماجه =



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أثقل شيءٍ في ميزان المؤمن خلُقٌ حسن؛ وإن الله يُبغضُ الفاحش المتفحش البذيء»**[(١)].

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الرجل ليُدرك بحسن خلقهِ درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر»**[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إن الله تعالى جميلٌ يحبُ الجمال، ويحبُ معالي الأخلاق، ويكرهُ سفسافها»**[(٣)].

وعن الحسين بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله تعالى يحبُ معالي الأمور وأشرافها، ويكرهُ سفسافها»**[(٤)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن المسلمُ المسدد**[(٥)] **ليُدركُ درجة الصوام القوام بآيات الله، بحسن خُلُقه وكرم ضريبته»**[(٦)][(٧)].

= [٣٤]، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٤٤)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٩٦].

(١) **صحيح**: رواه البيهقي في «السنن» (١٠/ ١٩٣) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٣٤].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٦٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٦١٧].

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٧٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٧٣٩].

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٣١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٨٨٦].

(٥) **المُسدد**: أي المستقيم على أمر الله.

(٦) **كرم ضريبته**: أي حُسن طبيعته وسجيته.

(٧) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٢٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٩٤٥].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعـن أسـامة بـن شُريـك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قـال: قـال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الناس لم يُعطوا شيئًا خيرًا من خُلُقٍ حسن**»(١).

وعـن ابـن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قـال: قال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اسـتقم وليحسُـن خُلقُك للناس**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»(٣).

وعـن جابـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قـال: قـال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**إن أحبكم إلـيَّ وأقربكم مني مجلسًـا يـوم القيامة: أحاسـنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلـى وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارُون، والمتشـدقون، والمُتفيهقون**». قالوا يا رسول الله، ما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**»(٤).

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خياركم أحاسِـنُكم أخلاقًا، المُوطئُون أكنافًا، وشراركم الثرثارون، المُتفيهقون المُتشدقون**»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٧٩).
وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٩٧٣].

(٢) **حسن**: رواه ابن حبان [٥٢٤]، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣١٨).
وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٩٦٢].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٥٠)، وأبو داود [٤٦٨٢]، وابن حبان [٤١٧٦]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٤).
وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٢٤١].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي [٢٠١٨].
وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢١٩٧].

(٥) **صحيح**: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٣٤).
وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٢٥٥].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: وقال رسول الله ﷺ «**خياركم أحاسنكم أخلاقًا إذا فقِهُوا**»[(١)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**عليك بحسن الخُلُقِ، وطولِ الصمت؛ فوالذي نفسي بيده، ما تجمل الخلائق بمثلهما**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان سهلًا هيِّنًا ليِّنًا، حرَّمه الله على النار**»[(٣)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمنون هيِّنون ليِّنون، كالجمل الأنف**[(٤)]**، إن قِيد انقاد، وإذا أُنِيخ على صخرةٍ استناخ**[(٥)]»[(٦)].

قال يحيى بن معاذ: «في سعة الأخلاق كُنوزُ الأرزاق».

وقال رحمه الله: «سُوءُ الخُلُقِ سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا تضرُّ معها كثرة السيئات».

وقال الجنيد: «أربع ترفَعُ العبد إلى أعلى الدرجات وإن قلَّ عمله وعِلمُه: الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخُلق، وهو كمال الإيمان».

وقال الفضيل: «لأن يصاحبني فاجرٌ حسنُ الخُلق أحبُ إليَّ من أن يصحبني عابد سيئُ الخلق ».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٢٨٥]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٣٠٧].

(٢) **حسن**: رواه أبو يعلى في «مسنده» [٣٢٩٨]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٩٢٧].

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٥)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٧١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٣٦٠].

(٤) **الأنف**: أي الذلول المُنقاد. (٥) **استناخ**: أي إذا مال به صاحبه على صخرة، انقاد له.

(٦) **حسن**: رواه البيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٧٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٥٤٥].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الحسن: «حسن الخلُق: بسطُ الوجه، وبذلُ الندى، وكف الأذى».

وقال أبو عثمان: «هو الرضا عن الله تَعَالَىٰ».

وقال سهل التستري: «أدناه: الاحتمال، وترك المكافأة، والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه».

وقيل: «**حُسن الخُلُق**: بذل الجميل وكفُّ القبيح».

ولحسن الخلق فضائل عظيمة، في الدنيا والآخرة، على الأفراد والمجتمعات.

فمن تلك الفضائل.

❁ أنه امتثال لأمر الله عَزَّوَجَلَّ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فلقد جمع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مكارم الأخلاق في تلك الآية، وأمر بالأخذ بها، والتحلي بما ورد فيها.

❁ أنه طاعة للرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فلقد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الحديث الذي رواه أبو ذر ومعاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «وخالق الناس بخلق حسن»(١).

❁ حسن الخلق اقتداء بالرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فلقد كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أكرم البشرية أخلاقًا، وأزكاهم نفسًا.

والله يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ١٣٥ – ١٥٨)، والترمذي [١٩٨٧]، والدارمي ص: [٧٧٩] رقم: [٢٦٨٨]، والحاكم (١/ ٥٤)، والخرائطي (١/ ٥٩) [٣] كلهم من حديث أبي ذر وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنه عبادة عظيمة.

ذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ أمر به - كما مر - ورتب عليه الجزاء العظيم - كما سيأتي -.

فإذا اتصف المسلم بحسن الخلق، وكان ديدنًا وعادة له - صار مطيعًا لربه، متعبدًا له في كل أحواله؛ فتعظم بذلك أجوره، وتقال عثراته.

ثم إن حسن الخلق يتضمن عباداتٍ عظيمةً؛ ذلك أن الصبر، والحلم، والإحسان والكرم، ونحوها - تعد من الأسس الأخلاقية.

وهذه الأمور مما يدخل في مفهوم العبادة؛ فهي مما يحبه الله ويرضاه.

❁ رفعة الدرجات:

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(١).

أنه أعظم ما يدخل الجنة:

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وأعظم ما يدخل الناس الجنة تقوى الله، وحسن الخلق**»(٢).

❁ كسب القلوب:

فَحُسْنُ الخلقِ من أعظم الأسباب الداعية لكسب القلوب؛ فهو يحبب صاحبه للبعيد والقريب، وبه ينقلب العدو صديقًا، ويصبح البغيض حبيبًا، ويصير البعيد قريبًا.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٧٩٨]، والحاكم (١/ ٦٠) عن عائشة، وقال الحاكم: إسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٧٩٥].

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٠٠٤]، وابن ماجه [٤٢٤٦]، وابن حبان (٢/ ٢٢٤) رقم: [٤٧٦]، والحاكم (٤/ ٣٢٤) كلهم عن أبي هريرة، وقال الترمذي: حديث «صحيح غريب»، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩٤) رقم: [١٦٣٠].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبحسن الخلق يتقرب المرء للناس، ويتمكن من إرضائهم على اختلاف مشاربهم، وطبقاتهم؛ فكل من جالس حَسَنَ الخُلُقِ أحبه، ورغب في مجلسه.

❁ تيسير الأمور:

فَحُسْنُ الخلق سبب لذلك، لأنه من تقوى الله، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطَّلَاق: ٤].

❁ حسن الخلق مدعاة للذكر الحسن:

فالناس تلهج ألسنتها بذكر أهل الخلق الحسن، والتاريخ يسطر مآثرهم، والركبان تسري بحديثهم.

❁ السلامة من شر الخلق:

لأن صاحب الخلق الحسن لا يقابل الإساءة بالإساءة، وإنما يقابلها بالصفح، والعفو، والإعراض، وربما قابلها بالإحسان.

ولو جارى الناس في سفههم لما كان له فضل عليهم، ولما سلم من أذاهم.

فلو لم يأت من حسن الخلق إلا هذه الفائدة لكان حَرِيًّا بالعاقل أن يتحلى به.

❁ القرب من مجلس النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة:

قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن من أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنَكم أخلاقًا**»[١].

❁ محبة الله عَزَّوَجَلَّ:

فالله عَزَّوَجَلَّ يحب مكارم الأخلاق، ويحب أهلها، بل إن أحب العباد إلى الله أحسنهم أخلاقًا.

---

(١) مضى تخريجه، وأخرجه بهذا اللفظ - الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١/ ٣٤) رقم: [٢٠] عن جابر، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [٣٥٧٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنا جلوسًا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأنما على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس فقالوا: من أحبُّ عباد الله إلى الله؟ قال: **«أحسنهم أخلاقًا»**(١).

وإذا أحبَّ الله يومًا عبدَه ... ألقى عليه محبةً في الناس(٢)

❁ حسن الخلق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة:

فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من حسن الخلق»**(٣).

❁ زيادة الأعمار وعمارة الديار:

قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«حسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»**(٤).

❁ حسن الخلق إحسان قد يزيد على الإحسان المالي:

لأن المال قد يصحبه مِنّةٌ وتعالٍ على الخلق، ولأن صاحب المال قد لا يسع الناس بماله.

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٨١) رقم: [٤٧١]، وقال الهيثمي في «المجمع (٨/ ٢٤): «رجاله رجال الصحيح»، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم: [٢٣٥٤].

(٢) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٦٤).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ٤٤٦ - ٤٤٨)، وأبو داود رقم: [٤٧٩٩]، والترمذي (٢٠٠٢ - ٢٠٠٣)، وابن حبان (١٢/ ٢٣٠) رقم: [٤٨١]، والخرائطي (١/ ٦٩) رقم: [٥٠] كلهم من حديث أبي الدرداء.
وقال الترمذي حسن صحيح، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٨٧٦]، وفي «صحيح الأدب المفرد» [٢٠٤].

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٥٩) عن عائشة، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٥١٩].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما حسن الخلق فإحسان لا يصحبه منةٌ، ولا تعالٍ على الخلق، وصاحب الخلق الحسن يسع الناس بخلقه.

وإذا كان المال يدخل السرور على المساكين والفقراء ونحوهم - فكذلك حسن الخلق يدخل السرور والبهجة على النفوس مهما اختلفت مشاربها.

إضافة إلى ذلك فبذل المال داخل في مكارم الأخلاق.

❁ التوصل للحق:

فبحسن الخلق يتوصل المناظر أو المخاصم من إبداء حجته، وفهم حجة صاحبه، ويسترشد بذلك إلى الصواب قولًا وعملًا.

وكما أنه سبب لحصول ذلك في نفس المناظر أو المخاصم - فهو كذلك من أقوى الدواعي لحصوله لمن ناظره أو خاصمه.

وبذلك يتمكن الطرفان من الوصول للحق، ويسلم كل واحدٍ منهما من اللجاج، والجدال، والمراء، والتعصب.

❁ زيادة العلم:

فبالخلق الحسن يصفو القلب، وتطمئن النفس، وذلك مدعاة لأن يتمكن المرء من معرفة العلوم التي يسعى لإدراكها، والمعارف التي يروم تحصليها.

ثم إن حسن الخلق يدعو صاحبه للتواضع، والتأدب في مجالس العلم، وهذا مما يزيد العلم، ويقوي الإدراك.

❁ حصول الخيرية:

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لم يكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**خياركم أحاسنكم أخلاقًا**»(١).

(١) **صحيح**: رواه البخاري في «صحيحه» [٣٥٥٩]، ومسلم [٢٣٢١] من حديث عبد الله بن عمرو.



❁ **السلامة من مضار الطيش والعجلة:**

فبالخلق الحسن يسلم المرء من مضار العجلة والطيش، برزانته، وصبره، ونظره لكل ما يمكن من الاحتمالات.

❁ **الوفاء بالحقوق الواجبة والمستحبة:**

فبالخلق الحسن يتمكن المرء من الوفاء بتلك الحقوق للأهل، والأولاد، والأقارب، والأصحاب، والجيران، والمعاملين، وسائر من بينه وبينهم مخالطة أو حق؛ فكم من حقوق أضيعت من جراء سوء الخلق.

❁ **الإنصاف:**

فبحسن الخلق تنال فضيلة الإِنصاف، وأكرم بها من فضيلة، فصاحب الخلق الحسن يأبي عليه خُلُقُه الحسن من التعصب المقيت، والانتصار للنفس؛ لأن ذلك يحمل على الاعتساف وقلة الإِنصاف.

❁ **راحة البال وطيب العيش:**

فصاحب الخلق الحسن في راحة حاضرة، ونعيم عاجل؛ فإن قلبه مطمئن، ونفسه ساكنة، وذلك مادة الراحةِ العاجلة، وطيبِ العيش.

كما أن صاحب الخلق السيِّئ في شقاء حاضر، وعذاب مستمر، ونزاع ظاهري وباطني مع نفسه، وأولاده، ومخالطيه، مما يشوش عليه حياته، ويكدر عليه أوقاته، مع ما يترتب على ذلك من فوات الآثار الطيبة، والتعرض لضدها.

«فمن حَسُنَ خُلُقُه طابت معيشتُه، ودامت سلامتُه، وتاكَّدت في الناس محبتُه.
ومن ساء خلقه تكدرت معيشته، ودامت بَغْضَتُه، ونفر الناس منه»[(١)].

---

(١) «أقوال مأثورة» ص: [٢١٥] عن «أدب المملي» ص: [١٧٠].



❁ حصول الوئام والاتفاق التام في المجتمع:

فإذا حسُنت الأخلاق في مجتمعٍ ما – شاعَ الوِئام والتراحُم، وسادت الأُلفة والمودة في ذلك المجتمع.

ذلك «أن الامتزاج بمكارم الأخلاق يجبي إلى صاحبه عرفانَ ما له من الحقوق، وما عليه من الواجبات؛ فلا يخل حينئذٍ بواجب، ولا يَدَّعي إلا بحق.

وذلك يدعو بالضرورة إلى شدة الارتباط، وكمال الالتئام الذي يجعل أفراد الأمة عضوًا واحدًا للتعاون على البر والتقوى، والتعاضد على الأعمال التي تنتج لهم التقلب في عيشة راضية، وتحفظ لأعقابهم مستقبلًا حسنًا»(١).

❁ صد هجمات الأعداء:

❁ فالعدو إنما يتسلل، ويبث سمومه في صفوف الأمة المنهارة في أخلاقها.

❁ أما الأمة التي تتمتع بالأخلاق الفاضلة ففي منَعةٍ من ذلك.

❁ وبه يتمكن المرء من إصلاح ذات البين:

فحَسَنُ الخلق يرضى به جميع الأطراف، وبذلك يستطيع أن يجمع القلوب المتنافرة، والآراء المشتتة.

❁ حسن الخلق يستر العيوب:

فقد يبتلى المرء بكثير من الآفات والعيوب الخِلْقيَّة من دمامة ونحوه، مما يجعله عرضةً للذم، وغرضًا للسخرية من بعض الناس.

ولكن ذلك لا يُقْصِرُه عن مجد، ولا يقعد به عن سؤدد، وذلك إذا رزق بخلق حسن، وعقل راجح.

---

(١) «حياة الأمة» لمحمد الخضر حسين ص: [٥١].



فَحُسْنُ الخُلُقِ يغطي غيره من القبائح، كما أن سوء الخلق يقبح غيره من المحاسن[(١)].

فهذا الأحنف بن قيس الذي سارت بأخباره الركبان كان من أقبح الناس خلقةً؛ فما من خصلة ذم إلا وهي موجودة فيه.

ومع ذلك بلغ ما بلغ من المجد والسؤدد بحلمه، وشجاعته، وحسن خلقه، وروعة بيانه.

«روى الهيثم بن عدي عن أبي يعقوب الثقفي عن عبد الملك بن عمير، قال: قدم علينا الأحنف بن قيس الكوفة مع مصعب بن الزبير، فما رأيت خصلة تذم في رجل إلا وقد رأيتها فيه، كان صَعْل الرأس[(٢)]، أحجن[(٣)] الأنف، أغضف[(٤)] الأذن، متراكب الأسنان، أشدق[(٥)]، مائل الذقن، ناتئ الوجنة، باخق[(٦)] العين، خفيف العارضين، أحنف الرجلين، ولكنه كان إذا تكلم جلَّى عن نفسه»[(٧)].

ليس الجمال بمِئزرٍ فاعلم إذا رُدِّيت بردًا
إن الجمال معادن ومناقب أورثن مجدًا[(٨)]

❁ حسن الخلق مفتاح هداية للخلق وأقرب طريق لقلوبهم:

إن النفوس فطرت على حب صاحب الخلق الجميل، وإن القلوب جبلت على

---

(١) انظر: «أقوال مأثورة» ص: [٢٣٤].
(٢) **صعل الرأس**: دقيقه.
(٣) **أحجن**: الحجن: اعوجاج الشيء، وأحجن الأنف مقبل الروثة نحو الفم.
(٤) **أغضف**: مسترخ.
(٥) **الأشدق**: الشدق المائلة.
(٦) **البخق**: أن تخسف العين بعد العور، والبخق أقبح ما يكون من العور، وأكثر غمصًا.
(٧) «البيان والتبيين» للجاحظ (١/ ٥٦)، وانظر: «زهر الآداب» للحصري القيرواني (٣/ ١٩٩)، «وسير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/ ٩٤).
(٨) البيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، انظر: «ديوانه» ص: [٦٧].



التعلق بأصحاب الأخلاق الطيبة الذين يألفون ويؤلفون، أولئك كالمصابيح يجتمع الناس حولها، ويهرول الخلق للاستضاءة بنورها، والاستهداء بضيائها، قال رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقَى أخاك بوجه طليق**»، وقال رسول الله ﷺ: «**أولياء الله الذين إذا رُؤوا ذكر الله برؤيتهم**»، وقد وصف ربنا عَزَّوَجَلَّ عبده ورسوله عيسى ﷺ فقال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١].

قال مجاهد وعمرو بن قيس والثوري: «أي وجعلني معلمًا للخير».

وفي رواية عن مجاهد: «وجعلني نفّاعًا»، وروى ابن جرير عن وهيب بن الورد مولى بني مخزوم قال: «لقي عالمٌ عالمًا هو فوقه في العلم فقال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من عملي؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه دين الله بعث به أنبياءه إلى عباده»، وقد أجمع الفقهاء على قول الله ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، وقيل: «ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان»(١).

وكم من الناس مَنْ أحب الإسلام ودخل فيه بسبب حسن خلق مسلم موفّق صالح، وكم مِنَ الناس مَنْ نفر من الدين بل وعاداه بسبب سوء خلق مسلم جاهل! يقول الدكتور عبد الكريم زيدان: «إن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالسيرة الطيبة للمسلمين التي كانت تجلب أنظار غير المسلمين، وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها غير المسلم على أحقية الإسلام، وأنه من عند الله لاسيما إذا كان الداعي سليم الفطرة، سليم العقل»(٢).

وقد ذكر لي بعض الإخوة أن مجموعة من الشباب ذهبوا إلى الدراسة في أوروبا، فأقاموا في فندق لامرأة عجوز، ولكنها كانت كافرة، ولأجل ذلك فإن هؤلاء الشباب

(١) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٩١).
(٢) «أصول الدعوة» ص: [٤٨٥].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

المسلمين كانوا يخربون في الأثاث ويؤخرون دفع الإيجار، ويسيئون معاملتها جدًا، بحجة أنها مشركة، ولما انتهت مدة إقامتهم وانصرفوا إلى بلدهم آلت المرأة على نفسها، وحلفت ألا تسمح لمسلم بعد ذلك بالإقامة عندها، وفي ذات يوم جاءها شابٌ مسلم ملتزم ذهب إلى تلك البلاد من أجل دراسة معينة فلما طلب منها أن يقيم عندها كان السؤال الأول: ما دينك؟ فقال: الإسلام، فصرخت المرأة، وقالت: لا، إني لا أسمح للمسلمين بالإقامة عندي في هذا الفندق، قال لها: لماذا؟ قالت: لأن المسلمين خونة غششة، مخادعون، مخربون، كاذبون.

فتعجب الشاب كيف ذلك والإسلام هو دين الأخلاق؟! فقال لها: لم كل هذه الاتهامات؟ فحدثته بما كان، وعندئذ صمم هذا الشاب وعزم على أن يقيم عندها وألح عليها ودفع إليها إيجار شهرين مقدمًا، فوافقت المرأة بعد إلحاحه الشديد، فأراها الشاب أخلاق الإسلام كيف تكون، وصار صورة عملية لأخلاق الإسلام، وصار صورة عملية لأخلاق الدين يعاونها، ويساعدها، ويسأل عنها، ويبتسم في وجهها، رأت من أخلاقه العجب الذي أدهشها حقًا، حيث رأت ما لم تره قط من أخلاق مثالية رائعة جليلة، ولما انقضت مدة إقامة الشاب في هذه البلد وأراد الرجوع إلى بلده طلب منها أن تعطيه بقية مستحقاته المالية، ولما علمت أنه راحل إلى بلده وسيتركها بكت العجوز، وقالت له عند انصرافه: يا بني، تمسك بدينك فإنه الحق! هذا مشهدٌ عصري لأهمية حسن الخلق وفي الشرع مئات بل آلاف الشواهد على هذا المعنى فامتثله تَرَ ثمرته، وأقمه في نفسك تَرَ بركته في حياتك.

۞ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق:

أسعد الناس بالناس من كان سهلًا هينًا لينًا متواضعًا أليفًا خيرًا، وأشقى الناس بين الناس من كان فظًا غليظًا فاحشًا بذيئًا متكبرًا معجبًا، قال رسول الله ﷺ: «**من**



www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان سهلًا هينًا لينًا حَرمه الله على النار»[١]، وقال رسول الله ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»**[٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**من يحرم الرفق يحرم الخير كله»**[٣]، إن أصحاب التجارات وأصحاب الحرف والصنائع المختلفة، والمدرسين والمهندسين والأطباء وغير ذلك من أعمالنا إنما ينجحون ويوفقون في أعمالهم بحسن أخلاقهم ورقة سلوكياتهم، واحترامهم وأدبهم مع من حولهم أما من ساء خلقه فإن الناس ينفرون منه ويتقززون من التعامل معه، لذلك فافقه أن حسن الخلق أعظم رأس مال يحقق لصاحبه أعظم الأرباح في الدنيا والآخرة، ألا فليفقه ذلك الدعاة فهم أحوج الناس لذلك.

قال الحسن البصري: «من ساء خلقه عذب نفسه»[٤].

وقال الفضيل بن عياض: «لأن يصحبني فاجر حسن الخلق، أحب إليّ من أن يصحبني عابد سيِّء الخلق».

فإن أعظم كنز تمتلكه، وأغلى ثروة تكتسبها حسن الخلق، قال رسول الله ﷺ: «**خير ما أعطي الناس حسن الخلق»**[٥]، وقال رسول الله ﷺ: «**إنه من أعطي حظه من الرِّفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»**[٦].

❁ حسن الخلق هو الدين كله:

روى الإمام مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: «سألت رسول الله

---

(١) قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٩٤]. (٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٩٢].

(٤) «الإحياء للغزالي» (٣/ ٥٧).

(٥) **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ١٢١)، وصححه الألباني [٣٣١٦].

(٦) **صحيح**: رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم: [٥١٩].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ﷺ عن البر والإثم، فقال: «**البرُّ حُسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(١).

قال الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقابل البر بالإثم وأخبر أن البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في الصدور، وهذا يدل على أن حسن الخلق هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان وشرائح الإسلام ولهذا قابله بالإثم(٢)، قلت: ولهذا فسرّ عبد الله بن عباس حبر الأمة الخلق بالدين في قول الله رب العالمين للنبي المصطفى الأمين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، قال ابن عباس ومجاهد: لعلى دين عظيم لا أحبَّ إليّ ولا أرضى عندي منه وهو دين الإسلام»(٣).

إن حسن الخلق سياج لصاحبه يقيه التردي في الرذائل، والسقوط في مهاوي المخازي، فيحفظه مما يضره، ويدله على ما ينفعه ويسره.

❁ حسن الخلق أمان وطمأنينة للمجتمع كله:

سعادة الناس فيما بينهم في حسن أخلاقهم وعلاقتهم بعضهم ببعض، وذلك بأن يحنو الكبير على الصغير والغني على الفقير، نحتاج أن نكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فتُحفظ أعراضنا وأموالنا وأنفسنا وذلك كله لا يتحقق إلا بحسن الخلق الذي يربينا الإسلام عليه، ويأخذ بنواصينا وقلوبنا إليه، إن من أهم جوانب العقيدة الإسلامية تحقيق الأخوة الإيمانية، فالله ربنا عَزَّوَجَلَّ يقول لنا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقد وصف ربنا جَلَّجَلَالُهُ به خير جيل في هذه الأمة

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٥٣].

(٢) «تهذيب مدارج السالكين» [٤١٤].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [١٠]، ومسلم [٤٠].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

لنتأسى بهم في أخلاقهم ونسلك سبيلهم فقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وأمرنا ربنا أن نتراحم فيما بيننا فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»(١).

سوء الخلق أسوأ السوءات ولولم يكن في حسن الخلق إلا النجاة من ذلك لكفى:

إن أشقى الناس بين أهله وبين أولاده بل ومع نفسه هو سيِّيء الخلق، رؤيته قذى للعيون وأذى القلوب، وحمى الروح، فنعوذ بالله منه، ونسأل الله له الهداية، إن صحبته خسار، ومجالسته تجلب السوء والشر، فإن لم تنصحه وتنفعه فلا تجالسه، فإن خلائق السفهاء تعدي، وقد قال ربنا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، وانظر كيف نفَّر الإسلام من هذه الأخلاق الدنيئة الرديئة، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا**»(٢)، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**»(٣)، وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء**»(٤)، فاحذر أن تفقد صفة المؤمنين، وترتدي حُلَّة الفاسقين بهذه الأخلاق التي تسقط الكرامة وتُشين، هذه أخلاق المؤمنين تضيء بنورها حياتهم، ويبتهج بطيبها، ويسعد حسنها وجمالها وجلالها أرواحهم، فاسلك سبيلهم تنل ما نالوا، وتَحْظَ بجليل وجزيل الأجر عند ربك جَلَّ جَلَالُهُ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٠]، ومسلم [٤٠].

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٥/ ٨٩).
وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» [٢٦٥٣].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٧١٨٨].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» [١٦١٠].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ **سبب للمغفرة والعفو:**

فصاحب الخلق الحسن حبيب إلى ربه قريب من عفوه، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا**»(١).

وعن أبي مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان رجلٌ ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيءٌ إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرًا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عَزَّ وَجَلَّ: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه**»(٢).



(١) **صحيح**: رواه الحاكم (٤/ ٤٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [١٧٩].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم برقم: [١٥٦١].

أركان حُسن الخُلق

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: وهي: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكفِّ الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح في القول والفعل. وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير. وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته. وتحمله على كظم الغيظ والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يُمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش؛ كما قال ﷺ: «**ليس الشديد بالصُرعة، إنما الشديد: الذي يملك نفسه عند الغضب**»[1]، وهو حقيقة الشجاعة، وهي ملكة يقتدِرُ بها العبد على قهر خَصْمه.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسُطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خلُق الجود والسخاء الذي هو توسُطٌ بين الذل والقِحَةِ. وعلى خلُق الشجاعة، الذي هو توسُط بين الجبن والتهوُّر. وعلى خلُق الحلم، الذي هو توسُط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس .

ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة.

ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: وهي الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٥٧٦٢]، ومسلم [٢٦٠٩].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالجهل: يُريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصًا، والنقص كمالًا.

والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضا، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويُقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة ويشتدُ في موضع اللين، ويتواضع في موضع العِزَّة، ويتكبرَّ في موضع التواضع.

والشهوة: تحمله على الحِرص والشحِّ والبخل، وعدم العفَّة والنَّهمة والجشع، والذل، والدناءات كلها.

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد، والعدوان والسفة.

ويتركب من بين خُلُقين من هذه الأخلاق: أخلاقٌ مذمومة.

وملاك هذه الأربعة أصلان: إفراط النفس في الضعف، وإفراطها في القوة؛ فيتولَّد من إفراطها في الضعف: المهانة والبخل، والخِسَّة واللُّؤم، والذلُّ والحرص والشح، وسفساف الأمور والأخلاق.

ويتولد من إفراطها في القوة: الظلم، والغضب، والحِدَّة، والفحش، والطيش[١].

وقال الهروى: جميع الكلام فيه يدور على قطب واحد، وهو بذلُ المعروف، وكف الأذى. وإنما يُدرك إمكان ذلك في ثلاثة أشياء: في العلم، والجُود، والصبر.

فأركان حسن الخلق عند الهروى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلم - الجود - الصبر

قال ابن القيم: فـ«العلم» يُرشده إلى مواضع بذل المعروف، والفرق بينه وبين المنكر، وترتيبه في وضعه مواضعه؛ فلا يضع الغضب موضع الحلم، ولا بالعكس،

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٧) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العربي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا الإمساك موضع البذل، ولا بالعكس، بل يعرف مواقع الخير والشر ومراتبها، وموضع كل خلق: أين يضعه، وأين يحسن استعماله.

والجود: يبعثه على المسامحة بحقوق نفسه، والاستقصاء منها بحقوق غيره. فالجود هو قائد جيوش الخير.

والصبر: يحفظ عليه استدامة ذلك، ويحمله على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، وعدم المقابلة. وعلى كل خير، كما تقدم. وهو أكبر العون على نيل كل مطلوب من خير الدنيا والآخرة. قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ** ﴾ [البَقَرَة: ٤٥][(١)].

وقال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جمعها، حتى يتم حسن الخُلُق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت، حصل حسن الخلق؛ **وهي**: قوة العلم - وقوة الغضب - وقوة الشهوة - وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث.

أما قوة العلم: فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسُهل بها إدراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وهي التي قال الله فيها: ﴿ **وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩]

قال أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إن من فقه الرجل أن يعلم نزغات الشيطان؛ متى تأتيه؟ ومن أين تأتيه؟».

---

(١) «مدراج السالكين» (٢/ ٣١٧) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العربي.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يزال العبد بخير ما علم الذي يُفسد عليه عمله».

وقال أبو الفرج الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجُهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة، وقد لبَّس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم؛ لأن جمهورهم يشتغل بالتعبُّد، ولم يحكم العلم».

❁ **أما قوة الغضب:** فحُسنُها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حدِّ ما تقتضيه الحكمة.

❁ **أما قوة الشهوة:** حُسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة؛ أعني إشارة العقل والشرع.

❁ **أما قوة العدل:** فهو ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع. فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت، فهو حسن الخُلق(١).



(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٥٧ - ٥٩) للغزالي، ط: دار الصحابة.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

اكتساب حُسن الخلق

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يمكن أن يقع حسن الخلق كسبيًا بالتخلُق والتكلُف، حتى يصير له سجية وملكة؛ وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لأشجِّ عبد القيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إن فيك لخلُقين يحبُّهما الله: الحلم والأناة**» فقال أخلقين تخلقتُ بهما، أم جبلني الله عليهما؟ فقال: «**بل جبلك الله عليهما**». فقال «الحمد لله الذي جبلني على خُلقين يحبهما الله ورسوله»(١).

قد دلَّ على أن من الخلُق: ما هو طبيعة وجبلَّة، وما هو مكتسب.

وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في دعاء الإستفتاح: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيِّئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»(٢).

وقال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في بيان السبب الذي به يُنال حسن الخلق **أحدهما**- جُودٌ إلهي وكمال فطري، بحيث يُخلق الإنسانُ ويولد كامل العقل حَسن الخُلق، قد كُفى سلطان الشهوة والغضب، فيعد مؤدبًا بغير تأديب.

ثانيها- اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلُق المطلوب(٣).

فالأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة، وهي تكلُّف الأفعال الصادرة عنها ابتداءً، لتصير طبعًا؛ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما العلم بالتعلُّم، وإنما الحلمُ بالتحلُّم، ومن يتحَّر الخير يُعطه، ومن يتوق الشر يُوقه**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥].

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٥) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العرب.

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٦٣ - ٦٤) للغزالي، ط: دار الصحابة.

(٤) **حسن**: رواه الدار قطني في «الأفراد» (٢/ ١٢٧) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٢٤].

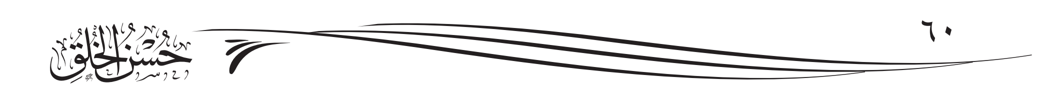
www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثها- بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم، وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع لص يسرق بعضه بعضًا، فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث، حتى صار ذا فضيلة طبعًا واعتيادًا وتعلُّمًا، فهو في غاية الفضيلة. ومن كان رَذِلًا بالطبع واتفق له قرناءُ السُّوء فتعلم منهم، وتيسَّرت له أسباب الشر حتى اعتادها؛ فهو في غاية البعد من الله عَزَّوَجَلَّ، وبين الرتبتين من اختلفت فيه من هذه الجهات، ولكلٍّ درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صورته وحالته.





www.alukah.net
شبكة الألوكة



أسباب اكتساب حسن الخلق

لا ريب أن أثقل ما على الطبيعة البشرية تغير الأخلاق التي طبعت عليها النفس، إلا أن ذلك ليس متعذرًا ولا مستحيلًا.

بل إن هناك أسبابًا عديدَةً، ووسائلَ متنوعةً يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حسن الخلق.

ومن ذلك.

❁ سلامة العقيدة:

فشأن العقيدة عظيم، وأمرها جلل؛ فالسلوك - في الغالب - ثمرة لما يحمله الإنسان من فكر، وما يعتقده من معتقد، وما يدين به من دين.

والانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في المعتقد.

ثم إن العقيدة هي الإيمان، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا؛ فإذا صحت العقيدة حسنت الأخلاق تبعًا لذلك؛ فالعقيدة الصحيحة تحمل صاحبها على مكارم الأخلاق من صدق، وكرم، وحلم وشجاعة، ونحو ذلك.

كما أنها تَرْدَعُه وتزمُّه عن مساوئ الأخلاق من كذبٍ، وشحٍّ، وطيشٍ، وجهل، ونحوها.

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آداب الظواهر عنوان آداب البواطن، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر، والأعمال نتيجة الأخلاق، والآداب رشح المعارف، وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها، وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فَتُزَيِّنُهَا، وتجليها، وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومـن لم يخشـع قلبه لم تخشـع جوارحه، ومن لم يكن صدره مشـكاة الأنـوار الإلهية لم يُفِضْ على ظاهره جمال الآداب النبوية»[١].

فإذا كان الأمر كذلك فما أجدر المسـلم أن يحرص كل الحرص على سـلامة عقيدته وصفائها مـن كل شـائبة تشـوبها، ومـا أحـرى بالمصلحين أن يقدمـوا أمـر العقيدة على كل شيء؛ لأن النـاس إذا صحـت عقائدهم زكت نفوسـهم، واسـتقامت أخلاقهم تبعًا لذلك.

❁ الدعاء:

فالدعـاء بـاب عظيـم، فـإذا فتـح للعبـد تتابعـت عليـه الخـيرات، وانهالـت عليه البركات.

فمـن رغب بالتحـلي بمكارم الأخـلاق، ورغب بالتخلي من مسـاوئ الأخلاق - فليلجـأ إلى ربـه، وليرفـع إليه أكف الضراعة؛ ليرزقه حسـن الخلق، ويصرف عنه سـيئه؛ فالدعـاء مفيـد في هذا الباب وغـيره، ولهذا كان النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كثـير الضراعة إلى ربه يسأله أن يرزقه حسن الخلق، وكان يقول في دعاء الاستفتاح: «**اللهم أهدني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسـنها إلا أنت، وأصرف عني سـيئها؛ لا يصرف عني سيئها إلا أنت**»[٢].

وكان مـن دعائـه: «**اللهـم جنبنـي منكـرات الأخـلاق، والأهـواء، والأعمـال، والأدواء**»[٣].

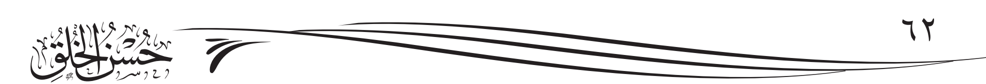
(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١/ ٧٧١) من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٥٣٢) من حديث زياد بن علاقة، وصححه، ووافقه الذهبي [٢٣٥٤].



شبكة الألوكة - قسم الكتب



وكان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهرم، والبُخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات**»(١).

❁ المجاهدة:

فالمجاهدة تنفع كثيرًا في هذا الباب؛ ذلك أن الخلق الحسن نوع من الهداية يحصل عليه المرء بالمجاهدة.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

فمن جاهد نفسه على التحلي بالفضائل، وجاهدها على التخلي عن الرذائل حصل له خير كثير، واندفع عنه شر مستطير؛ فالأخلاق - كما مر - منها ما هو غريزي فطري، ومنها ما هو اكتسابي يأتي بالدربة والممارسة.

والمجاهدة لا تعني أن يجاهد المرء نفسه مرة أو مرتين أو أكثر، بل تعني أن يجاهد نفسه حتى يموت؛ ذلك أن المجاهدة عبادة، والله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

❁ المحاسبة:

وذلك بنقد النفس إذا ارتكبت أخلاقًا ذميمة، وحَمْلِها على ألا تعود إلى تلك الأخلاق مرة أخرى، مع أخذها بمبدأ الثواب إذا أحسنت، وأخذها بمبدأ العقاب إذا توانت وقَصَّرَتْ.

فإذا أحسنت أراحها، وأجَمَّها، وأرسلها على سجيتها بعض الوقت في المباح.

وإذا أساءت وقَصَّرَتْ أخذها بالحزم والجد، وحرمها من بعض ما تريد.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٥٩)، ومسلم [٢٧٠٦].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

على أنه لا يحسن المبالغة في محاسبة النفس؛ لأن ذلك قد يؤدي إلى انقباضها وانكماشها.

قال ابن المقفع: «ليحسن تعاهدُك نفسَك بما تكون به للخير أهلًا؛ فإنك إن فعلت ذلك أتاك الخير يطلبك كما يطلب الماء السيل إلى الحدورة»[(١)] [(٢)].

❁ التفكر في الآثار المترتبة على حسن الخلق:

فإن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها - من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها.

فكلما تَصَعَّبَت النفس فذكِّرها تلك الآثار، وما تجني بالصبر من جميل الثمار؛ فإنها حينئذ تلين، وتنقاد طائعة منشرحة؛ فإن المرء إذا رغب في مكارم الأخلاق، وأدرك أنها أولى ما اكتسبته النفوس، وأجل غنيمة غنمها الموفقون - سهل عليه نيلها واكتسابها[(٣)].

❁ النظر في عواقب سوء الخلق:

وذلك بتأمل ما يجلبه سوء الخلق من الأسف الدائم، والهم الملازم، والحسرة والندامة، والبغضة في قلوب الخلق؛ فذلك يدعو المرء إلى أن يُقْصِرَ عن مساوئ الأخلاق، وينبعث إلى محاسنها.

❁ الحذر من اليأس من إصلاح النفس:

فهناك من إذا ابتلي بمساوئ الأخلاق ظن أن ذلك الأمر ضربة لازب لا تزول، وأنه وصمة عار لا تنمحي.

---

(١) **الحدورة**: المنخفض من الأرض.

(٢) «الأدب الصغير والأدب الكبير» ص: [٩٠].

(٣) انظر: «الفتاوي السعدية» لابن سعدي ص: [٤٦١].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهناك من إذا حاول التخلص من عيوبه مرة أو أكثر فلم يفلح - أيس من إصلاح نفسه، وترك المحاولة إلى غير رجعة.

وهذا الأمر لا يحسن بالمسلم، ولا يليق به أبدًا؛ فلا ينبغي له أن يرضى لنفسه بالدُّون، وأن يترك رياضة نفسه؛ زعمًا منه أن تبدل الحال من المحال.

بل ينبغي له أن يُقَوِّيَ إرادته، ويشحذ عزيمته، وأن يسعى لتكميل نفسه، وأن يجدَّ في تلافي عيوبه؛ فكم من الناس من تبدَّلت حاله، وسمت نفسه، وقلَّتْ عيوبُه بسبب دربته، ومجاهدته، وسعيه، وجِدِّه، ومغالبته لطبعه.

قال ابن المقفع: «وعلى العاقل أن يحصيَ على نفسه مساويها في الدين، وفي الأخلاق، وفي الآداب، فيجمع ذلك كله في صدره، أو في كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفًا من إصلاح الخَلَّة أو الخلتين في اليوم، أو الجمعة، أو الشهر.

فكلما أصلح شيئًا محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب»[1].

يقول الإمام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدثًا عن تجرِبته مع نفسه، وعن محاولاته في التخلُّص من عيوبه، وعن النتائج التي حصل عليها من جَرَّاء ذلك، يقول: «كانت فيَّ عيوب، فلم أزل بالرياضة، واطلاعي على ما قالت الأنبياء - صلوات الله عليهم - والأفاضل من الحكماء المتأخرين والمتقدمين في الأخلاق وآداب النفس، أعاني مداواتها، حتى أعان الله عَزَّوَجَلَّ على أكثر ذلك بتوفيقه ومَنِّه.

وتمام العدل، ورياضة النفس، والتصرف بالأمور - هو الإقرار بها؛ ليتعظ بذلك متعظ يومًا إن شاء الله.

(١) «الأدب الصغير والأدب الكبير» ص: [٥٤].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ فمنها[١] كَلَفٌ في الرضاء، وإفراط في الغضب، فلم أزل أداوي ذلك حتى وقفت عند ترك إظهار الغضب جملة الكلام، والفعل، والتخبط، وامتنعت مما لا يحل من الانتصار، وتحملت من ذلك ثقلًا شديدًا، وصبرت على مضض مؤلم كان ربما أمرضني، وأعجزني ذلك في الرضا، وكأني سامحت نفسي؛ لأنها تمثلت أن ترك ذلك لؤم.

﴿ ومنها دعابة غالبة، فالذي قدرت عليه منها إمساكي عما يغضب الممازح، وسامحت نفسي فيها؛ إذ رأيت أن تركها من الانغلاق، ومضاهيًا للكبر.

﴿ ومنها عجب شديد، فَنَاظَرَ عقلي نفسي بما يعرفه من عيوبها حتى ذهب ذلك كلُّه، ولم يبق له - والحمد لله - أثر، بل كلَّفت نفسي احتقار قدرها جملة، واستعمال التواضع.

﴿ ومنها حركات كانت تولدها غرارة الصبا، وضعف في الإغضاء، فَقَصَرْتُ نفسي على تركها فذهبت.

﴿ ومنها محبة في بعد الصيت والغلبة، فالذي وقفت عليه في معاناة هذا الداء الإمساك فيه عما لا يحل في الديانة، والله المستعان على الباقي»[٢].

وقال - أيضًا - : «ومنها إفراط في الأنفة بَغَّضَتْ إليَّ نكاح الحُرُمِ بكل وجه، وصعبت ذلك في طبيعتي، وكأني توقفت عن مغالبة هذا الإفراط الذي أعرف قبحه لعوارض اعترضت علي والله المستعان.

﴿ ومنها عيبان قد سترهما الله تَعَالَىٰ وأعان على مقاومتهما، وأعان بلطفه عليهما، فذهب أحدهما البتة - ولله الحمد -، وكأن السعادة كانت موكلةً بي، فإذا لاح منه طالع

---

(١) يعني: عيوبه.

(٢) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» لابن حزم ص: (٣٣ - ٣٤).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

قصدت طمسه، وطاولني الثاني منهما، فكان إذا ثار منه مدودة[١] نبضت عروقه، فيكاد يظهر، ثم يسر الله قَدْعَهُ بضروب من لطفه حتى أخلد.

ومنها حقد مُفْرِط، قدرت بعون الله تَعَالَىٰ على طيِّه وستره، وغلبته على إظهار جميع نتائجه، وأما قطعه البتة فلم أقدر عليه.

وأعجزني أن أصادق من عاداني عداوة صحيحة أبدًا»[٢].

❁ علو الهمة:

فعلو الهمة يستلزم الجد، والإِباء، ونشدان المعالي، وتطلاب الكمال، والترفع عن الدنايا، والصغائر، ومحقرات الأمور.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل حتى ترفعه من أدنى دركات الحضيض إلى أعلى مقامات المجد والسؤدد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن علت همته، وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل، ومن دنت همته، وطغت نفسه اتصف بكل خلق رذيل»[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنفوس الشريفة لا ترضى من الأشياء إلا بأعلاها، وأفضلها، وأحمدها عاقبة.

والنفوس الدنيئة تحوم حول الدناءات، وتقع عليها كما يقع الذباب على الأقذار؛ فالنفوس العليَّة لا ترضى بالظلم، ولا بالفواحش، ولا بالسرقة ولا بالخيانة؛ لأنها أكبر من ذلك وأجل.

---

(١) **مدوده**: جمع مد وهو كثرة الماء.

(٢) «الأخلاق والسير»، ص: [٣٤].

(٣) «الفوائد» لابن القيم، ص: [٢١١].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

والنفوس المهينة الحقيرة الخسيسة بالضد من ذلك»[(١)].

فإذا توفر المرء على اقتناء الفضائل، وألزم نفسه على التخلق بالمحاسن، ولم يرض من منقبة إلا بأعلاها، ولم يقف عند فضيلة إلا وطلب الزيادة عليها، واجتهد فيما يحسن سياسة نفسه عاجلًا، ويبقي لها الذكر الجميل آجلًا - لم يلبث أن يبلغ الغاية من التمام، ويرتقي إلى النهاية من الكمال، فيجوز السعادة الإِنسانية، والرئاسة الحقيقية، ويبقى له حسن الثناء مؤبدًا، وجميل الذكر مخلدًا[(٢)].

❁ الصبر:

فالصبر من الأسس الأخلاقية التي يقوم عليها الخلق الحسن فالصبر يحمل على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم، والأناة، والرفق، وترك الطيش والعجلة[(٣)].

وقلَّ من جدَّ في أمر تطلبه واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

❁ العفة:

فهي تحمل على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمل على الحياء وهو رأس كل خير، وتمنع من الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة، والنميمة[(٤)].

❁ الشجاعة:

فهي تحمل على عزة النفس، وإباءِ الضيم، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس، وقُوَّتَها على إخراج المحبوب ومفارقته.

---

(١) «الفوائد» ص: [٢٦٦].
(٢) انظر: «تهذيب الأخلاق» للجاحظ ص: [٦١].
(٣) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤).
(٤) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهي تحمل صاحبها على كظم الغيظ، والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عِنانها، ويكبحها بلجامها عن النزق والطيش[١].

❁ **العدل:**

فهو يحمل على اعتدال الأخلاق، وتوسطها بين طرفي الإِفراط والتفريط؛ فيحمل على خلق الجود الذي هو توسط بين البخل والإِسراف، وعلى خلق التواضع الذي هو توسط بين اللذة والقِحَة، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس[٢].

❁ **تَكلّفُ البشر والطلاقة، وتُجنّبُ العبوس والتقطيب:**

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء؛ لأن البشر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي»[٣].

وقال الشاعر:

الـقَ بـالـبِـشْـرِ مـن لـقيت مـن النا ... س جـمـيـعًـا ولاقِـه بـالـطـلاقـهْ
تَـجْـنِ منهم جَـنَـى ثـمـارٍ فَخُذْهَا ... طيبًا طَـعْـمُـهُ لـذيـذُ المذاقهْ[٤]

وقال أبو جعفر المنصور: «إن أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائل - فالقهم ببشر حسن»[٥].

«قيل للعتابي: إنك تلقى الناس كلهم بالبشر!

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٣٩٤).
(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٣٩٤).
(٣) «روضة العقلاء»، ص: [٧٥].
(٤) «روضة العقلاء»، ص: [٧٦].
(٥) «عين الأدب والسياسة» لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل ص: [١٥٤].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: دفع ضغينة بأيسر مؤونة، واكتساب إخوان بأيسر مبذول»[١].

وقال محمد بن حازم:

وما اكتسب المحامدَ حامدوها بمثل البشر والوجه الطليق[٢]

وقال آخر:

أخو البشر محبوبٌ على حسن بشره ولن يعدمَ البغضاءَ من كان عابسًا[٣]

وقال آخر:

البِشْرُ يُكْسِبُ أَهْلَهُ صَدْقَ المودِة والمحبهْ
والتِّيْهُ يستدعي لصا حبه المذمة والمسبهْ[٤]

وقال ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البشر مُؤنِّسٌ للعقول، ومن دواعي القبول، والعبوس ضده»[٥].

بل إن تبسم الرجل في وجه أخيه المسلم صدقةٌ يثاب عليها.

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تبسمك في وجه أخيك لك صدقة**»[٦].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[٧].

وإذا كان الأمر كذلك فَأَجْدِرْ بالعاقل ألا يُرى إلا هاشًّا باشًّا، مُتَهلِّلًا مُتَطَلِّقًا.

---

(١) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٦٥).

(٢) «بهجة المجالس» (٢/ ٥٩٨).

(٣) «روضة العقلاء» ص: [٧٥].

(٤) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٥٣].

(٥) «كتاب الفنون» لابن عقيل (٢/ ٦٣٥).

(٦) **صحيح**: رواه الترمذي [٩٥٦] باب: «ما جاء في صنائع المعروف» وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٢٧٢]، و«صحيح الجامع» [٢٩٠٥].

(٧) **صحيح**: رواه مسلم [٢٦٢٦].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن كان ذلك سجية في المرء وطبعًا - فليحمد الله، وليتعاهد هذه الخصلة الحميدة من نفسه.

وإلا فليجاهد نفسه على تكلُّف البشر والطلاقة، وعلى تجنُّب العبوس والتقطيب جملة؛ حتى تألف ذلك نفسه، وتأنس به أنس الرضيع بثدي أمه.

وحينئذٍ تَرِقُّ حواشيه، وتلين عريكته، ويُؤنس في حديثه، ويرغب في مجلسه.

❁ التغاضي والتغافل:

فالتغاضي والتغافل من أخلاق الأكابر والعظماء، وهو مما يعين على استبقاء المودة واستجلابها، وعلى وأد العداوة وإخلاد المباغضة.

ثم إنه دليل على سُمُوِّ النفس، وشفافيتها، وهو مما يرفع المنزلة، ويعلي المكانة.

قال ابن الأثير متحدثًا عن صلاح الدين الأيوبي: «وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حليمًا حسن الأخلاق، متواضعًا، صبورًا على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يُعلمه بذلك، ولا يتغير عليه.

وبلغني أنه كان جالسًا وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضًا بسرموز[١] فأخطأته، ووصلت إلى صلاح الدين فأخطأته، ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه؛ ليتغافل عنها»[٢].

وكان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه، وحينما يسأل عن ذلك كان يقول:

---

(١) **سرموز**: لم أجد لهذه الكلمة معنى؛ فما أدري أهي مُصَحَّفة، وأصلها بقشر موز؟ أم هي كلمة أعجمية؟ لا أدري.

(٢) «الكامل في التاريخ» (٩/ ٢٢٥).


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليس الغبيُّ بسيد في قومه	لكنَّ سَيِّدَ قومِه المتغابي[(١)]

قال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب - كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة، والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء»[(٢)].

قال ابن المقفع: «إن من إرب[(٣)] الأريب دفنَ إربه ما استطاع؛ حتى يعرفَ بالمسامحة في الخليقة، والاستقامة على الطريقة»[(٤)].

قال الشاعر:

أُغَمِّضُ عيني عن صديقي كأنني	لديه بما يأتي من القبح جاهل
وما بِيَ جهلٌ غير أن خليقتي	تطيق احتمالَ الكرهِ فيما أحاول[(٥)]

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

أُغَمِّضُ عيني عن أمورٍ كثيرةٍ	وإني على ترك الغَمُوضِ قديرُ
وما من عميً أُغضِي ولكن لربما	تعامى وأغضى المرءُ وهو بصيرُ
وأسكت عن أشياءَ لو شئتُ قلتُها	وليس علينا في المقال أميرُ
أُصَبِّر نفسي باجتهادي وطاقتي	وإني بأخلاق الجميع خبيرُ[(٦)]

❁ الحلم:

فالحلم من أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي الألباب؛ لما فيه من سلامة العرض، وراحة الجسد، واجتلاب الحمد.

---

(١) انظر: ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي للشيخ عبد الرحمن السديس ص: (٢٠٥ - ٢٠٦).
(٢) «روضة العقلاء» ص: [٧٢]. (٣) الإرب: العقل والدهاء.
(٤) «الأدب الصغير والأدب الكبير» ص: [١٤٧].
(٥) «روضة العقلاء» ص: [٧٣]. (٦) «ديوان الإمام علي» ص: [١٠٦].



وحد الحلم ضبط النفس عند هيجان الغضب.

وليس من شرط الحلم ألا يغضب الحليم، وإنما إذا ثار به الغضب عند هجوم داعيه كفَّ سورته بحزمه، وأطفأ ثائرته بحلمه(١).

فإذا اتصف المرء بالحلم كثر محبوه، وقل شانئوه، وعلت منزلته، ووفرت كرامته.

هذا وستتضح بعض معالم الحلم في الفقرات الآتية -إن شاء الله-.

❁ الإعراض عن الجاهلين:

فمن أعرض عن الجاهلين حمى عرضه، وأراح نفسه، وسلم من سماع ما يؤذيه.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

فبالإعراض عن الجاهلين يحفظ الرجل على نفسه عزتها؛ إذ يرفعها عن الطائفة التي تلذ المهاترة والإقذاع.

قال بعض الشعراء:

إني لأُعْرِضُ عن أشياءَ أَسْمَعُها ... حتى يقولَ رجالٌ إن بي حُمُقَا
أخشى جوابَ سفيهٍ لا حياءَ له ... فَسْلٍ وظنَّ أُناسٍ أنه صدقا(٢)

والعرب تقول: «إن من ابتغاء الخيرِ اتقاءَ الشَّرِّ»(٣).

«وروي أنَّ رجلًا نال من عمر بن عبد العزيز، فلم يُجِبْهُ، فقيل له: ما يمنعك منه؟ قال: التقيُّ مُلْجَمٌ»(٤).

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» ص: (٢٥٢، ٢٥٧).

(٢) «عيون الأخبار» (١/ ٢٨٤).

(٣) «الأمثال» لأبي عبيد ص: [١٥٩].

(٤) «الكتاب الجامع لسرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الخائف الخاشع»، لأبي حفص عمر بن محمد الخضر المعروف بالملَّا تحقيق الشيخ د. محمد صدقي البورنو (٢/ ٤٢٤).



www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ الترفع عن السباب:

فذلـك من شرف النفس، وعلوِّ الهمة، كما قالـت الحكماء: «شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم»[(١)].

«قال رجل من قريش: ما أظن معاوية أغضبه شيء قط.

فقال بعضهم: إن ذُكرت أمُّه غضب.

فقال مالك بن أسماء المنى القرشي: أنا أغضبه إن جعلتم لي جُعْلا[(٢)]، ففعلوا، فأتاه في الموسم، فقال له: يا أمير المؤمنين إن عينيك لتشبهان عيني أمك.

قال: نعم كانتا عينين طالما أعجبتا أبا سـفيان! ثم دعا مولاه شـقران فقال له: أعدد لأسماء المنى دِيَةَ ابْنِهَا؛ فإني قد قتلته وهو لا يدري.

فرجع وأخذ الجعل، فقيل له: إن أتيت عمر بن الزبير فقلْ[(٣)] له مثل ما قلت لمعاوية أعطيناك كذا وكذا.

فأتاه فقال له ذلك، فأمر بضربه حتى مات.

فبلغ معاوية، فقال: أنا والله قتلته، وبعث إلى أمه بديته، وأنشأ يقول:

ألا قُـلْ لأسـماءِ المنى أُمِّ مالكٍ ... فإني لعمر الله أهلكت مالكا[(٤)]

«وروي أن عمر بن عبد عبد العزيز لما ولي الخلافة خرج ليلةً في السَّحَرِ إلى المسجد ومعه حَرَسِيٌّ، فمرَّا برجل نائم على الطريق، فعَثُر به، فقال: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا، فَهَمَّ الحرسيُّ به، فقال عمر: مَهْ؛ فإنه سألني: أمجنون أنت؟ فقلت: لا»[(٥)].

---

(١) «أدب الدنيا والدين» ص: (٢٥٢ – ٢٥٣).

(٢) **الجُعْل**: هو الأجر على الشيء فعلًا أو قولًا. انظر: «لسان العرب» (١١/ ١١١).

(٣) لعل الصواب: فقُلْتَ.

(٤) «المحاسن والمساوئ» ص: [٥٧٩].

(٥) «الكتاب الجامع» (٢/ ٤٢٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«وقيل: وجاء رجل إلى الأحنف بن قيس فلطم وجهه، فقال: بسم الله، يابن أخي ما دعاك إلى هذا؟

قال: آليت(١) أن أَلْطِمَ سَيِّدَ العرب من بني تميم.

قال: فَبُرَّ بيمينك، فما أنا بسيدها، سيدها حارثةُ بن قُدامة.

فذهب الرجل فلطم حارثة، فقام إليه حارثة بالسيف فقطع يمينه.

فبلغ ذلك الأحنف، فقال: أنا والله قطعتها»(٢).

قال الأصمعي: «بلغني أن رجلًا قال لآخر: والله لئن قلت واحدةً لتسمعن عشرًا.

فقال الآخر: لكنك إن قلت عشرًا لم تسمع واحدة!»(٣).

«وشتم رجل الحسن وأربي عليه، فقال له: أما أنت فما أبقيت شيئًا، وما يعلم الله أكثر»(٤).

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا سبني نذلٌ تزايدتُ رِفْعَةً ... وما العيب إلا أن أكون مسابه
ولو لم تكن نفسي عليَّ عزيزةً ... لَمَكَّنْتُهَا من كل نذل تحاربه(٥)

وقال آخر:

ولست مشاتمًا أحدًا؛ لأني ... رأيت الشتم من عيِّ الرجال
إذا جعل اللئيمُ أباه نصبًا ... لِشَاتِمِهِ فديت أبي بمالي(٦)

---

(١) آليت: يعني حلفت وأقسمت، والأَلِيَّة: الحلف.
(٢) «المحاسن والمساوئ» ص: [٥٧٩].
(٣) «عيون الأخبار» (١/ ٢٨٥).
(٤) «عيون الأخبار» (١/ ٢٨٧).
(٥) «ديوان الشافعي» ص: [٩٠].
(٦) «بهجة المجالس» (٢/ ٤٣٧).


شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ **الاستهانة بالمسيء:**

وذلك ضرب من ضروب الأنفة والعزة، ومن مستحسن الكبر والإعجاب.

«حكي عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق جلس يومًا لعطاء الجند، وأمر مناديه، فنادى: أين عمرو بن جرموز – وهو الذي قتل أباه الزبير – فقيل له: أيها الأمير، إنه قد تباعد في الأرض.

فقال: أو يظن الجاهل أني أقيده بأبي عبد الله؟ فليظهر آمنًا؛ ليأخذ عطاءه موفرًا.

فَعَدَّ الناسُ ذلك من مستحسن الكبر»(١).

ومثل ذلك قول بعض الزعماء في شعره:

أو كلما طنَّ الذبابُ طردتُه   إن الذبابَ إذًا عليَّ كريم(٢)

«وأكثر رجل من سب الأحنف وهو لا يجيبه، فقال – يعني السابَّ –: والله ما منعه من جوابي إلا هواني عليه»(٣).

وفي مثله يقول الشاعر:

نجا بك لُؤْمُك منجى الذباب   حَمَتْه مقاذيرُه أن يُنالا(٤)

«وشتم رجل الأحنف، وجعل يتبعه حتى بلغ حَيَّه، فقال الأحنف: يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فهاته، وانصرف؛ لا يسمعك بعض سفهائنا، فتلقى ما تكره»(٥).

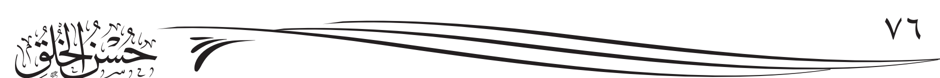
وقيل للشعبي: فلان يتنقصك ويشتمك، فتمثل الشعبيُّ بقول كُثَيِّر:

هنيئًا مريئًا غير داء مخامرٍ   لِعَزَّةَ من أعراضنا ما استحلتِ

---

(١) «أدب الدنيا والدين» ص: [٢٥٣].
(٢) «أدب الدنيا والدين» ص: [٢٥٣].
(٣) «أدب الدنيا والدين» ص: [٢٥٣].
(٤) «أدب الدنيا والدين» ص: [٢٥٣].
(٥) «عيون الأخبار» (١/ ٢٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة



أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة   لدينا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقلَّتِ[(١)]

«وأسمع رجل ابن هبيرة فأعرض عنه، فقال: إياك أعني، فقال له: وعنك أعرض»[(٢)].

❁ **نسيان الأذية:**

وذلك بأن تنسى أذية من نالك بسوء؛ ليصفو قلبك له، ولا تستوحش منه[(٣)]؛ فمن تَذَكَّرَ إساءة إخوانه لم تصْفُ له مودتهم، ومن تذكر إساءة الناس إليه لم يطب له العيش معهم؛ فانسَ ما استطعت النسيان[(٤)].

❁ **العفو والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان:**

فهذا سبب لعلو المنزلة، ورفعة الدرجة، وفيه من الطمأنينة، والسكينة، والحلاوة، وشرف النفس، وعزها، وترفعها عن تشفيها بالانتقام - ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام[(٥)].

قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عِزًّا**»[(٦)].

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحبُّ الأمور إلى الله ثلاثةٌ: العفوُ عند المقدرة، والقصدُ في الجِدَة، والرفق بالعَبَدَةِ»[(٧)].

«وعن داود بن الزبرقان قال: قال أيوب: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم»[(٨)].

---

(١) «بهجة المجالس» (٢/ ٤٣٦).

(٢) «أدب ادنيا والدين» ص: [٢٥٣].

(٣) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٨).

(٤) انظر: «هكذا علمتني الحياة» للسباعي (١/ ٤٥).

(٥) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٣٠٣).

(٦) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٨٨] عن أبي هريرة.

(٧) «روضة العقلاء» ص: [١٣١].

(٨) «روضة العقلاء» ص: [١٣١].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ أرحت نفسي من ظلم العداوات(١)

ومن جميل ما يذكر في هذا قول المقنَّع الكندي:

وإن الذي بيني وبين أبي وبين بني عمي لمختلف جدًّا

إذا قدحوا لي نارَ حربٍ بِزَنْدِهِمْ قدحت لهم في كلِّ مكرمةٍ زندا

وإن أكلوا لحمي وَفَرْتُ لحومَهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدًا

ولا أَحْمِلُ الحقدَ القديمَ عليهمُ وليس رئيسُ القوم من يحمل الحقدا (٢)

وقال محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وإني لأكسو الخلَّ حُلَّةَ سندسٍ إذا ما كساني من ثياب حِدَادِهِ(٣)

وعن عبد الملك أو قيس بن عبد الملك قال: «قام عمر بن عبد العزيز إلى قائلته، وعرض له رجل بيده طومار(٤)، فظن القوم أنه يريد أمير المؤمنين، فخاف أن يحبس دونه، فرماه بالطومار، فالتفت عمر، فوقع في وجهه فشجَّه.

قال: فنظرتُ إلى الدماء تسيل على وجهه وهو قائم في الشمس، فلم يبرح حتى قرأ الطومار، وأمر له بحاجته، وخلَّى سبيله»(٥).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدثًا عن حسن الخلق والعفو، والإِحسان إلى من أساء: «وما رأيت أحدًا أجمع لهذه الخصال من شيخ الإِسلام ابن تيمية - قدس الله روحه -.

---

(١) «ديوان الشافعي» ص: [٨٢].

(٢) «روضة العقلاء» ص: (١٧٣ - ١٧٤)، وانظر: «بهجة المجالس» (٢/ ٧٨٤ - ٧٨٥).

(٣) «رحلة الحج إلى بيت الله الحرام» بقلم محمد الأمين الشنقيطي ص: [٢١٧].

(٤) **الطومار**: صحيفة مطوية.

(٥) «الكتاب الجامع» (٢/ ٤٢٣ - ٤٢٤).



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه.

وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم.

وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له - فنهرني، وتنكر لي، واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله، فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام.

فَسُرُّوا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه»[1].

فإذا كان الأمر كذلك فإنه يجدر بالعاقل - كما قال ابن حبان -: «توطين نفسه على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإِساءة؛ إذ لا سبب لتسكين الإِساءة أحسن من الإِحسان، ولا سبب لنماء الإِساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها»[2].

وقد يظن ظانٌّ أن العفو عن المسيء، والإِحسان إليه مع القدرة عليه - موجب للذلة والمهانة، وأنه قد يجر إلى تطاول السفهاء.

وهذا خطأ؛ ذلك أن العفو والحلم لا يشتبه بالذلة بحال؛ فإن الذلة احتمال الأذى على وجه يذهب بالكرامة.

أما الحلم فهو إغضاء الرجل عن المكروه، حيث يزيده الإِغضاء في أعين الناس رفعة ومهابة.

سياسة الحلم لا بطش يكدرها فهو المهيب ولا تخشى بوادره[3]

فالعفو إسقاط حقك جودًا، وكرمًا، وإحسانًا مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك؛ رغبة في الإِحسان ومكارم الأخلاق.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٨ - ٣٢٩). (٢) «روضة العقلاء» ص: [١٣١].

(٣) انظر: «رسائل الإِصلاح» (١/ ١٨٦).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

بخلاف الذل؛ فإن صاحبه يترك الانتقام عجزًا، وخوفًا، ومهانةَ نفسٍ فهذا غير محمود، بل لعل المنتقمَ بالحق أحسنُ حالًا منه(١).

❁ السخاء:

فالسخاء محبة ومحمدة، كما أن البخل مذمة ومبغضة، فالسخاء يجلب المودة، وينفي العداوة، ويكسب الذكر الجميل، ويخفي العيوب والمساوئ.

وإن كثرت عيوبك في البرايا ... وسَرَّكَ أن يكونَ لها غطاءُ
تَستَّرْ بالسخاء فكلُّ عيبٍ ... يُغَطِّيه كما قيل السخاء(٢)

فإذا ما اتصف الإِنسان بالسَّخاء زكت نفسه، ولانت عريكته، وقاده ذلك إلى أن يترقى في «مكارم الأخلاق ومدارج الفضيلة»؛ فالسخي قريب من كل خير وبر.

ولهذا كان الأكابر يبادرون إلى تلك الخَلَّة، ويحرصون كل الحرص على اكتسابها، ويوصون غيرهم بأن يتحلى بها.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسَّع لي في المجلس، ورجل اغبَرَّت قدماه من المشي إليَّ؛ إرادة التسليم عليَّ.

أما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله.

قيل: من هو؟

قال: رجل نزل به أمر، فبات ليلته يفكر بمن ينزله، ثم رآني أهلًا لحاجته فأنزلها بي»(٣).

---

(١) انظر: «الروح» لابن القيم ص: [٣٥٩].

(٢) «ديوان الشافعي» ص: [١٦].

(٣) «عيون الأخبار» (٤/ ١٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شعر في هذا المعنى يقول فيه:

إذا طارقاتُ الهمِّ ضاجَعَتِ الفتى	وأعمل فكرَ الليلِ والليلُ عاكرُ
وباكرني في حاجةٍ لم يَجِدْ بها	سواي ولا من نكبةِ الدهرِ ناصرُ
فرجتُ بمالي همَّه من مقامه	وزايلَه همٌّ طروقٌ مُسامِرُ
وكان له فضلٌ عليَّ بظنِّه	بي الخيرَ إني للذي ظنَّ شاكرُ(١)

قال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فمن ألزم نفسه الجود والإنفاق راضها رياضةً عمليةً كرياضة العضل بأثقال الحديد، ومعاناة القوة في الصراع ونحوه.

أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة، ولكنه يدعها جامدةً مستعصية، لا تلين، ولا تستجيب، ولا تتيسر»(٢).

ومما تحسن الإشارة إليه أن السخاء سخاءان؛ سخاوة نفس الرجل بما في يديه، وسخاوته عما في أيدي الناس.

وتركه ما في أيدي الناس أمحض في التكرم، وأبرأ من الدنس، وأنزه من العيب.

فإن هو جمعهما، فبذل وعف فقد استكمل الجود والكرم(٣).

❁ نسيان المعروف والإحسان إلى الناس:

وهذه مرتبة عالية، ومنزلة رفيعة، وهي أن تنسى ما يصدر منك من إحسان، حتى كأنه لم يصدر(٤).

---

(١) «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق القيرواني (١/ ٣٧).

(٢) «وحي القلم» للرافعي (٣/ ١٤). (٣) انظر: «الأدب الصغير والأدب الكبير» ص: [١٤٤].

(٤) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٨).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمن أراد أن يرتقي في حسن الخلق فلينسَ ما قدم من إحسان ومعروف؛ حتى يسلم من المنة والترفع على الناس، ولأجل أن يتأهل لنيل مكارم أخرى أرفعَ وأرفعَ.

قال ابن المقفع: «إذا كانت لك عند أحد صنيعة، أو كان لك عليه طَوْل - فالتمس إحياءَ ذلك بإماتته، وتعظيمه بالتصغير له، ولا تقتصرنْ في قلة المن به على أن تقول: لا أذكره، ولا أصغي بسمعي إلى من يذكره؛ فإن هذا قد يستحيي مِنْه بعضُ من لا يوصف بعقل ولا كرم.

ولكن احذر أن يكون في مجالستك إياه، وما تكلمه به، أو تستعينه عليه، أو تجاريه فيه - شيءٌ من الاستطالة؛ فإن الاستطالة تهدم الصنيعة، وتكدر المعروف»(١).

❁ الرضا بالقليل من الناس، وترك مطالبتهم بالمثل:

وذلك بأن يأخذ منهم ما سهل عليهم، وَطوَّعَتْ له به أنفسهم سماحة واختيارًا، وألا يحملهم على العنت والمشقة(٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في هذه الآية: «أمر الله نَبِيَّهُ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»(٣).

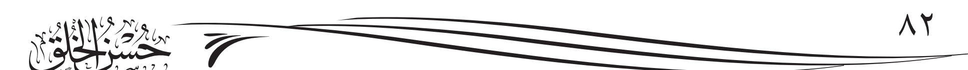
وقال مجاهد: «يعني خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تخسيس، مثل قبول الأعذار، والعفو، والمساهلة وترك الاستقصاء في البحث والتفتيش عن حقائق بواطنهم»(٤).

---

(١) «الأدب الصغير والأدب الكبير» ص: (١٤١ - ١٤٢).
(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٠).
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٠).
(٤) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٠).



شبكة الألوكة - قسم الكتب



قال المقنع الكندي واصفًا حاله مع قومه:

وأعطيهم مالي إذا كنت واجدًا ... وإن قَلَّ مالي لم أكَلِّفْهُمُ رِفدا[(١)]

وقال الآخر:

خذِ العفو واصفح عن أمور كثيرة ... ودع كدر الأخلاق وأعمد لما صفا[(٢)]

«ولما قدم حاتم الأصم إلى أحمد بن حنبل قال له أحمد بعد بشاشته به: أخبرني كيف التخلص إلى السلامة؟

فقال له حاتم: بثلاثة أشياء. فقال أحمد: ما هي؟

قال: تعطيهم مالك ولا تأخذ مالهم، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك، وتصبر على أذاهم ولا تؤذيهم.

فقال أحمد: إنها لصعبة!.

قال حاتم: وليتك تسلم»[(٣)].

قال الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن السعادة الإِنسانية الصحيحة في العطاء دون الأخذ، وإن الزائفة هي الأخذ دون العطاء، وذلك آخر ما انتهت إليه فلسفة الأخلاق»[(٤)].

❁ احتساب الأجر عند الله عَزَّوَجَلَّ:

فهذا الأمر من أعظم ما يعين على اكتساب الأخلاق الفاضلة، فهو مما يعين على الصبر، والمجاهدة، وتحمل أذى الناس؛ فإذا أيقن المسلم أن الله عَزَّوَجَلَّ سيجزيه على حسن خلقه ومجاهدته لنفسه - فإنه سيحرص على اكتساب محاسن الأخلاق، وسيهون عليه ما يلقاه في ذلك السبيل.

(١) «روضة العقلاء» ص: [١٧٤]. (٢) «عين الأدب والسياسة» ص: [٢٧٦].
(٣) «عين الأدب والسياسة» ص: (١٥٥ - ١٥٦). (٤) «وحي القلم» (٣/ ١٣).



❁ **تَجَنّبُ الغضب:**

لأن الغضب جمرة تتقد في القلب، وتدعو إلى السطوة والانتقام والتشفي.

فإذا ما ضبط الإِنسان نفسه عند الغضب، وكبح جماحها عند اشتداد سورته - فإنه يحفظ على نفسه عزتها وكرامتها، وينأى بها عن ذلّ الاعتذار، ومغبة الندم، ومذمة الانتقام.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء رجل فقال: يا رسول الله، أوصني، فقال: لا تغضب، ثم ردد مرارًا، قال: لا تغضب»(١).

قال الماوردي: «فينبغي لذي اللب السوي، والحزم القوي أن يتلقى قوة الغضب بحلمه فيصدها، ويقابل دواعي شِرَّته بحزمه فيردها؛ ليحظى بأجل الخبرة(٢)، ويسعد بحميد العاقبة»(٣).

هذا ولتسكين الغضب إذا ثارت ثائرته أسباب عديدة:

❁ منها:(٤) ذكر الله عَزَّوَجَلَّ:

فإن ذلك يدعوه غلى الخوف منه، ويبعثه الخوف منه على الطاعة له، فيرجع إلى أدبه، ويأخذ بِنَدْبه، فعند ذلك يزول الغضب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٩٤٢٥] عن أبي هريرة.

(٢) هكذا وردت في الكتاب ولعل الصواب: الخيرة.

(٣) «أدب الدنيا والدين» ص: [٢٥٨].

(٤) انظر: «أدب الدنيا والدين» ص: (٢٥٨ - ٢٦٠)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٣٦٤)، و«بهجة قلوب الأبرار» لابن سعدي ص: (٢٣٤ - ٢٣٥).



«قال عكرمة: يعني إذا غضبت»[١].

❁ ومنها: أن ينتقل عن الحالة التي هو فيها إلى حالة غيرها:

فإن الغضب يزول بتغير الأحوال، والتنقل من حال إلى حال.

❁ ومنها: تذكر الآثار السيئة المترتبة على الغضب.

❁ **تذكر ثواب العفو، وجزاء الصفح:**

فيقهر بذلك نفسه على الغضب؛ رغبة في الجزاء والثواب، وحذرًا من استحقاق الذم والعقاب.

❁ ومنها: تذكر انعطاف القلوب عليه، وميل النفوس إليه:

فذلك يبعثه إلى التألف، والعفو.

❁ ومنها: توطين النفس على ما يصيب من أذى الخلق:

سواء من الأذى الفعلي أو القولي، فإذا وفق العبد لذلك، وورد عليه وارد الغضب احتمله بحسن خلقه، وتلقاه بحلمه وصبره، ومعرفته بحسن عواقبه.

❁ ومنها: ألا ينفذ غضبه بعد أن يغضب:

فإن الغضب - غالبًا - لا يتمكن الإنسان من دفعه ورده، ولكنه يتمكن من ترك تنفيذه، فعليه إذا غضب أن يمنع نفسه من الأقوال، والأفعال المحرمة التي يقتضيها الغضب، فمتى منع نفسه من فعل آثار الغضب الضارة فكأنه في الحقيقة لم يغضب، وبهذا يكون العبد كامل القوة العقلية، والقوة القلبية.

«عن أبي عبلة قال: غضب عمر بن عبد العزيز يومًا غضبًا شديدًا على رجلٍ فأمر به، فأحضر، وجُرِّد وشُدَّ في الحبال، وجيء بالسياط.

(١) «أدب الدنيا والدين» ص: [٢٥٨].



www.alukah.net


فقال: خلوا سبيله، أما أني لولا أن أكون غضبان لسُؤْتُك.

وتلا: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤][1].

❁ تجنب الجدال:

لأن الجدال يذكي العداوة، ويورث الشقاق، ويقود إلى الكذب، ويدعو إلى التشفي من الآخرين.

فإذا تجنبه المرء سلم من اللجاج، وحافظ على صفاء قلبه، وأمن من كشف عيوبه، وإطلاق لسانه في بذيء الألفاظ، وساقط القول.

ثم إن اضطر إلى الجدال فليكن جدالًا هادئًا يراد به الوصول إلى الحق، وليكن بالتي هي أحسنُ وأرفقُ.

قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

أما إذا لجَّ الخصم في الجدال، وعلا صوته في المجلس فإن السكوت أولى، وإن أفضل طريقة لكسب الجدال - حينئذٍ - هي تركه.

قال عليه الصلاة والسلام: «**أنا زعيم ببيت في ربض[2] الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**»[3].

❁ التواصي بحسن الخلق:

وذلك ببث فضائل حسن الخلق، وبالتحذير من مساوئ الأخرق، وبنصح المبتلين بسوء الخلق، وبتشجيع حسني الأخلاق.

---

(١) «الكتاب الجامع» (٢/ ٤٢٣). (٢) **ربض الجنة**: أدناها.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٨٠٠] من حديث أبي أمامة الباهلي، وصححه النووي في «رياض الصالحين» ص: [٣٠١]، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٩١١) رقم: [٤٠١٥].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

فَحُسْنُ الخلق من الحق، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]

❁ **قبول النصح الهادف، والنقد البناء:**

فهذا مما يعين على اكتساب الأخلاق الفاضلة، ومما يبعث على التخلي عن الأخلاق الساقطة.

فعلى من نُصح أن يتقبل النصح، وأن يأخذ به؛ حتى يكمل سؤدده، وتتم مروءته، ويتناهى فضله.

بل ينبغي لمتطلب الكمال - خصوصًا إذا كان رأسًا مطاعًا - أن يتقدم إلى خواصه، وثقاته، ومن كان يسكن إلى عقله من خدمه وحاشيته - فيأمرهم أن يتفقدوا عيوبه ونقائصه، ويطلعوه عليها، ويعلموه بها؛ فهذا مما يبعثه للتنزه من العيوب، والتطهر من دنسها.

بل ينبغي له أن يتلقى من يهدي إليه شيئًا من عيوبه بالبشر والقبول، ويظهر له الفرح والسرور بما أطلعه عليه.

بل المستحسن أن يجيز الذي يوقفه على عيوبه أكثر مما يجيز المادح على المدح والثناء الجميل، ويشكر من ينبهه على نقصه، ويتحمل لومته بفعله؛ فإنه إذا لزم هذه الطريقة، وعُرِفَ بها - أسرع أصحابه وخواصه إلى تنبيهه على عيوبه.

وإذا نُبِّه على ما فيه من النقص أنف منه، واستشعر أن أولئك سَيُعَيِّرونه به، ويُصَغِّرونه من أجله؛ فيلزمه حينئذٍ أن يأخذ نفسه بالتنزه من العيوب، ويقهرها على التخلص منها(١)؛ فإصلاح النفس لا يتم بتجاهل عيوبها، ولا بإلقاء الستار عليها(٢).

---

(١) انظر: «تهذيب الأخلاق» للجاحظ ص: (٦٠ - ٦١).

(٢) انظر: «أقوال مأثورة» ص: [٤٥٥].

❁ **قيام المرء بما يسند إليه من عمل على أتم وجه:**

حتى يسلم بذلك من التوبيخ، والتقريع، ومن ذل الاعتذار، ومن تكدر النفس، واعتلال الأخلاق.

❁ **التسليم بالخطأ إذا وقع، والحذر من تسويغه:**

فذلك آية حسن الخلق، وعنوان علو الهمة، ثم إن فيه سلامة من الكذب، ومن الشقاق؛ فالتسليم بالخطأ فضيلة ترفع من قدر صاحبها.

❁ **لزوم الرفق:**

فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[(١)].

وقال: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[(٢)].

«فمن أعطي الرفق والخلق فقد أعطي الخير كله والراحة، وحسن حالُه في دنياه وآخرته.

ومن حرم الرفق والخلق كان ذلك سبيلًا إلى كل شر وبلية إلا من عصمه الله»[(٣)].

❁ **لزوم التواضع:**

فالتواضع - في حقيقته - هو بذل الاحترام، والعطف، والمجاملة لمن يستحق ذلك[(٤)].

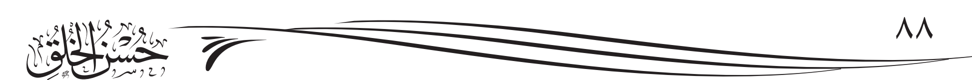
---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٩٤] عن عائشة.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٦١]، ومسلم [٢١٦٥] عن عائشة.

(٣) «أقوال مأثورة» ص: [٢٢٠] عن الحلية (٣/ ١٨٦).

(٤) انظر: «رسائل الإِصلاح» (١/ ١٢٧).



فالتواضع دليل على كبر النفس، وعلو الهمة، وهو سبيل لاكتساب المعالي، والترقي في الكمالات، فهو خلق يرفع من قدر صاحبه، ويكسبه رضا أهل الفضل ومودتهم، ويبعثه على الاستفادة من كل أحد، وينأى به عن الكبر والتعالي.

❁ استعمال المداراة:

فالناس خلقوا للاجتماع لا للعزلة، وللتعارف لا للتناكر، وللتعاون لا لينفرد كل واحد بمرافق حياته.

وللإنسان عوارضُ نفسيةٌ كالحب، والبغض، والرضا، والغضب، والاستحسان والاستهجان.

فلو سار على أن يكاشف الناس بكل ما يعرض له من هذه الشؤون في كل وقت وعلى أي حال - لا ختل الاجتماع، ولم يحصل التعارف، وانقبضت الأيدي عن التعاون.

فكان من حكمة الله في خلقه أن هيأ الإنسان لأدب يتحامى به ما يحدث تقاطعًا، أو يدعو إلى تخاذل، ذلك الأدب هو المداراة[١].

فالمداراة مما يزرع المودة والألفة، ويجمع الآراء المشتتة، والقلوب المتنافرة.

«والمداراة ترجع إلى حسن اللقاء، ولين الكلام، وتجنب ما يشعر ببغض أو غضب، أو استنكار إلا في أحوال يكون الإشعار به خيرًا من كتمانه.

فمن المداراة أن، يجمعك بالرجل يضمر لك العداوة مجلس، فتقابله بوجه طلق، وتقضيه حق التحية، وترفق به في الخطاب»[٢].

---

(١) انظر: «رسائل الإصلاح» (١/ ١٣١).

(٢) «رسائل الإصلاح» (١/ ١٣١).



قال أحد الحكماء:

وأمنحه مالي وَوُدِّي ونصرتي	وإن كان مَحْنيَّ الضُّلوعِ على بُغْضي

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إني أُحَيِّي عدوي عند رؤيته	لأدفعَ الشرَّ عني بالتَّحِيَّاتِ
وأظهر البشرَ للإنسان أبغضُه	كأنه قد حشا قلبي محباتِ[(١)]

بل إن المداراة قد تبلغ إلى إطفاء العداوة، وقلبها إلى صداقة.

فما أحوج المرء إلى هذه الخصلة الحميدة، خصوصًا مع من لابد له من معاشرته، أو ممن يتوقع الأذى منه.

قال ابن الحنفية: «ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بُدًّا حتى يأتيه الله منه بالفرج أو المخرج»[(٢)].

وقال العتابي: «المداراة سياسة لطيفة، لا يستغني عنها مَلِكٌ ولا سُوْقَةٌ، يجتلبون بها المنافع، ويدفعون بها المضار، فمن كثرت مداراته كان في ذمة الحمد والسلامة»[(٣)].

وقال بعضهم: «ينبغي للعاقل أن يداري زمانه مداراة السابح في الماء الجاري»[(٤)].

وقال الحسن: «حسن السؤال نصف العلم، ومداراة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤونة»[(٥)].

وقال ابن حبان: «من التمس رضا جميع الناس التمس ما لا يدرك، ولكن يقصد العاقل رضا من لا يجد من معاشرته بُدًّا، وإن دفعه الوقت إلى استحسان أشياء من

---

(١) «ديوان الشافعي» ص: [٢٨] جمع الزغبي.
(٢) «روضة العقلاء» ص: [٧٠].
(٣) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٥٤].
(٤) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٥٤].
(٥) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٢).



العادات كان يستقبحها، أو استقباح أشياء كان يستحسنها ما لم يكن مأثمًا؛ فإن ذلك من المداراة، وما أكثر من داري فلم يسلم، فكيف توجد السلامة لمن لا يداري؟»(١).

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يقول لك العقلُ الذي زيَّن الورى ... إذا أنت لم تَقْدِرْ عدوًا فدَارِه(٢)

هذا وسيأتي مزيد حديث عن المداراة فيما بعد؛ حتى تتضح معالمها أكثر وأكثر.

❁ لزوم الصدق:

فإن للصدق آثارًا حميدة، وعوائد عديدة؛ فالصدق حسنة تنساق بصاحبها إلى الحسنات، فهو دليل على حسن السيرة، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل.

فبالصدق يشرف قدر المرء، وتعلو منزلته، ويصفو باله ويطيب عيشه؛ فهو ينجي صاحبه من رجس الكذب، ووخز الضمير، وذل الاعتذار، ويحميه من إساءة الناس إليه، ونزع الثقة منه، كما أنه يكسبه عزة وشجاعة، وثقة في النفس، فيظل موفور الكرامة، عزيز النفس، مهيب الجناب.

ولا يمكن أن يستقيم لأحد سؤدد، ولا تعلو له مكانة، ولا يحرز قبولًا في القلوب، ما لم يرزق لسان صدق.

ثم إن الصدق يهدي إلى البر، وحسن الخلق من جملة ذلك البر(٣).

قال بعض البلغاء: «الصادق مصان خليل، والكاذب مهان ذليل»(٤).

وقال بعض الشعراء:

وإذا الأمور تزاوجت ... فالصدقُ أكرمُها نتَاجا

---

(١) «روضة العقلاء» ص: (٧١ – ٧٢).

(٢) «ديوان الإمام علي» ص: [١٠٦].

(٣) انظر: «رسائل الإصلاح» (٢/ ١٠١ – ١٠٢).

(٤) «أدب الدنيا والدين» ص: [٢٦١].



والـــصـــدق يـعـقـد فـــوق رأ | سِ حـلـيـفـة بـالـصـدق تـاجًـا
والـــصـــدق يـــقـــدح زنـــدُه | فـــي كـل نـاحـيـةٍ سـراجًـا[(١)]

وقال الآخر:

كم من حسيبٍ كريم كان ذا شرف | قد شانه الكِذْبُ وَسْطَ الحيِّ إن عمدًا
وآخــر كــان صعلوكًا فَشَرَّفَـه | صدقُ الحديث وقول جانب الفندا
فصار هـذا شريفًا فـوق صاحبه | وصار هـذا وضيعًا تحته أبـدًا[(٢)]

❁ تَجَنّب كَثْرَةِ اللوم والتعنيفِ على من أساء:

فـلا يحسـن بالعاقل أن يسرف في لوم من أسـاء، خصوصًـا إذا كان المسيء جاهلًا، أو كان ممـن يندر وقوع الإِسـاءة منه؛ فكثرة اللوم مدعـاة للغضب، وغلظ الطبع، ثم إنها موجبة للعداوة، ومجلبة لسماع ما يؤذي.

قال البحتري:

متـى أحـرجتَ ذا كـرمٍ تَخَطَّى | إلـيك ببعض أخـلاق اللئيم[(٣)]

وقال الآخر:

فَـــدعِ الـعـتـاب؛ فـــربَّ شـرْ | رٍ هـــاج أوَّلُـــهُ الـعـتـاب[(٤)]

وإذا كان الصفح عـن الـزلات مـن أفضل خصال الحمـد - فإن أحـقَّ الناس بأن تتغـاضى عن هفواتهـم، وتتجنب لومهم وتعنيفهم - رجالٌ عرفت منهم المودة، ولم يَقُم لَدَيكَ شاهدٌ على أنهم صرفوا قلوبهم عنها.

---

(١) «روضة العقلاء» ص: (٥٣ - ٥٤).
(٢) «روضة العقلاء» ص: [٥٥].
(٣) «ديوان البحتري» (٢/ ١٧٧).
(٤) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلو أخذت تعنف من إخوانك كل من صدرت منه هفوة - لم تلبث أن تفقدهم جميعًا، ولم يبق لك على ظهر الأرض صديق غير نفسك التي بين جنبيك.

والحاصل أن ما يصدر من الصديق إن كان من قبيل العثرة التي تقع في حال غفلة، أو كان خطأً في اجتهاد في الرأي - فذلك موضع الصفح والتجاوز، ولا ينبغي أن يكون له في نقض الصداقة أثر كثير أو قليل.

وأما إن كان عن زهد في الصحبة، أو انصرافٍ عن الصداقة - فلك أن تزهد به، وتقطع النظر عن صداقته، وهذا موضع الاستشهاد بمثل قول الكميت:

وما أنا بالنِّكْسِ الدنيء ولا الذي ... إذا صدَّ عنِّي ذو المودة يقربُ

ولكنه إن دام دمت وإن يكن ... له مذهب عني فلي فيه مذهبُ

ألا إن خير الودِّ ودٌّ تطوَّعت ... له النفس لا ودٌّ أتى وهو متعب

والفرق بين عثرة قد تصدر من ذي صداقة وبين جفاء لا يكون إلا من زاهد في الصداقة - يرجع فيه الرجل إلى الدلائل التي لا يبقى معها ريب.

والتفريط في جانب الصديق ليس بالأمر الذي يستهان به؛ فلا ينبغي الإِقدام عليه دون أن تقوم على قصده لقطع المودة بَيِّنةٌ واضحة؛ ذلك أن المرء لا يخلو - وهو معرَّض للغفلة والخطأ - أن يخل بشيء من واجبات الصداقة.

فإن كنت على ثقة من صفاء مودة صديقك - أقمت له من نفسك عذرًا، وسِرْتَ في معاملته على أحسن ما تقتضيه الصداقة.

فإذا حام في قلبك شبهة أن يكون هذا الإِخلال ناشئًا عن التهاون بحق الصداقة - فهذا موضع العتاب؛ فالعتاب يستدعي جوابًا، فإن اشتمل الجواب على عذر أو اعتراف بالتقصير - فاقبل العذر، وقابل التقصير بصفاء خاطر، وسماحة نفس.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعلى هذا الوجه يحمل قول الشاعر:

أعاتب ذا المودة من صديق إذا ما رابني منه اغتراب
إذا ذهب العتاب فليس ودٌّ ويبقى الود ما بقي العتاب(١)

ومما يدلك على أن صداقةَ صاحبك قد نبتت في صدر سليم أن يجد في نفسه ما يدعوه إلى عتابك، حتى إذا لقيته بقلبك النقي وجبينك الطلق - ذهب كل ما في نفسه، ولم يجد للعتاب داعيًا.

كما قال أحدهم:

أزور محمدًا وإذا التقينا تكلمت الضمائر في الصدور
فأرجع لم أَلُمْهُ ولم يلمني وقد رضي الضمير عن الضمير(٢)

فإن أكثر صاحبك من الإجحاف بحق الصداقة، ولم تجد له في هذا الإِجحاف الكثير عذرًا يزيل من نفسك الارتياب في صدق مودته - فذلك موضع قول القائل:

أقْلِلْ عتابَ من اسْتَرَبْتَ بِوُدِّهِ ليست تنال مودةٌ بعتاب(٣)

❁ تجنب الوقيعة في الناس:

فالوقيعة في الناس، والتعرض لعيوبهم ومغامزهم - مما يورث العداوة، ويشوش على القلب، فتسوء الأخلاق تبعًا لذلك.

بل إن ذلك مدعاة لأن يبحث الناس عن معايب ذلك الشخص.

ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذَمُّوه بالحق وبالباطل(٤)

---

(١) «بهجة المجالس» (٢/ ٧٣٨). (٢) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٦).
(٣) انظر: «رسائل الإصلاح» (٢/ ١٥ - ١٦) لمحمد الخضر حسين ففيه تفصيل رائع لهذا الأمر؛ وانظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ١٦٧ - ١٦٧) ففيه «كلام جميل» للشافعي حول هذا المعنى.
(٤) «بهجة المجالس» (٢/ ٥٧٩).



www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالت أعرابية توصي ولدها: «إياك والتعرض للعيوب؛ فتتخذ غرضًا، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام.

وقلما اعتورت السهام غرضًا حتى يهيَ ما اشتد من قوته»[(١)].

وقال الأحنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أسرع إلى الناس فيما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون»[(٢)].

❁ أن يضع المرء نفسه موضع خصمه:

فهذا يدعو لالتماس المعاذير، والكف عن إنفاذ الغضب، والبعد عن إساءة الظن.

فالواحد منا – على سبيل المثال – ينزعج كثيرًا إذا كان خلفه في السيارة شخص يطلق الأبواق، ونحن قد نقع موقعه ونفعل ما فعله، إما حرصًا على اللحاق بموعد مهم، أو أن، يكون مع بعضنا مريض، أو نحو ذلك.

فإذا وضعنا أنفسنا موضع الخصم وجدنا ما يسوغ فعله، فنُقصِر بذلك عن الإِساءة والجهل، ونحتفظ بهدوئنا وحلمنا.

قال ابن المقفع: «أعدلُ السِّيَر أن تقيسَ الناس بنفسك؛ فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتي إليك»[(٣)].

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه؛ فإنه يلوح له وجه تعسفه»[(٤)].

---

(١) «الأمالي» (٢/ ٨١)، وانظر: «أقوال مأثورة وكلمات جميلة» للصباغ ص: [١٤١].
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٩٣).
(٣) «الأدب الصغير والأدب الكبير» ص: [٧٣].
(٤) «الأخلاق والسير» ص: [٨٠].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أرضَ للناس جميعًا مثل ما ترضى لنفسك
إنما الناسُ جميعًا كلُّهم أبناءُ جنسك
فلهم نفسٌ كنفسك ولهم حِسٌّ كَحِسِّك[١]

❁ **أن يتخذ الناس مرآة لنفسه:**

فهذا مما يحسن بالمرء فعلُه، والأخذ به، «فكل ما كرهه، ونفر عنه من قول، أو فعل، أو خلق - فَلْيَتَجَنَّبْه، وما أحبه من ذلك واستحسنه فليفعله»[٢].

قال الشاعر:

إذا أعجبتك خصالُ امرئٍ فَكُنْهُ تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد والمكرمات إذا جئتها حاجب يحجبك[٣]

❁ **مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة:**

فهذا الأمر من أعظم ما يربي على مكارم الأخلاق، وعلى رسوخها في النفس؛ فالمرء مولع بمحاكاة من حوله، شديدُ التأثر بمن يصاحبه.

والصداقة الشريفة تشبه سائر الفضائل من حيث رسوخُها في النفس، وإيتاؤها ثمرًا طيبًا في كل حين؛ فهي توجد من الجبان شجاعة، ومن البخيل سخاءً.

فالجبان قد تدفعه قوةُ الصداقةِ إلى أن يخوض في خطر؛ ليحمي صديقه من نكبة.

والبخيل قد تدفعه قوة الصداقة إلى أن يبذل جانبًا من ماله؛ لإنقاذ صديقه من شدة.

---

(١) «أقوال مأثورة» ص: [٤٥٦].
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٥).
(٣) «عين الأدب والسياسة» ص: [١١٩].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالصداقة المتينة لا تَحُلُّ في نفس إلا هذبت أخلاقها الذميمة.

فالمتكبر تنزل به الصداقة إلى أن يتواضع لأصدقائه، وسريع الغضب تضع الصداقة في نفسه شيئًا من كظم الغيظ، فيجلس إلى أصدقائه في حلم وأناة، وربما اعتاد التواضع والحلم، فصار بعد ذلك متواضعًا حليمًا[١].

فإذا ما وفق المرء لصحبة الأجلاء العقلاء من ذوي الدين والمروءة - فإن ذلك من علامات توفيقه وهدايته.

فإذا كان الأمر كذلك فما أحرى بذي اللبِّ أن يبحث عن إخوان الثقات؛ حتى يعينوه على كل خير، ويقصروه عن كل شر.

قال ابن حزم: «من طلب الفضائل لم يساير إلا أهلها، ولم يرافق في تلك الطريق إلا أكرم صديق من أهل المواساة، والبر، والصدق، وكرم العشيرة، والصبر، والوفاء، والأمانة، والحلم، وصفاء الضمائر، وصحة المودة.

ومن طلب الجاه، والمال واللذات لم يساير إلا أمثال الكلاب الكَلِبَةِ[٢]، والثعالب الخَلِبَةِ[٣]، ولم يرافق في تلك الطريق إلا كل عدو المعتقد، خبيث الطبيعة»[٤].

۞ الاختلاف إلى أهل الحلم والفضل وذوي المروءات:

فإذا اختلف المرء إلى هؤلاء، وأكثر من لقائهم وزيارتهم - ولو لم يصاحبهم باستمرار - تَخَلَّق بأخلاقهم، وقبس من سمتهم ودَلِّهم.

---

(١) انظر: «رسائل الإصلاح» (٢/ ٨).

(٢) **الكلبة**: التي أصيبت بداء الكلب هو السعار.

(٣) **الخلبة**: الخادعة.

(٤) «الأخلاق والسير» ص: (٢٤ - ٢٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يـروى أن الأحنـف بن قيس قال: «كنا نختلف إلى قيس بن عاصم نتعلم منه الحلم كما نتعلم الفقه»[(١)].

ولا يلـزم أن يكـون هؤلاء الذيـن يُخْتَلف إليهم مـن أهل العلم، بل قـد يوجد من العوام من جبل على كريم الخلال وحميد الخصال.

قـال ابن حزم: «وقد رأيت من غـمار العامة من يجري في الاعتدال وحميد الأخلاق إلى ما لا يتقدمه فيه حكيم عالم رائض لنفسه، ولكنه قليل جدًّا»[(٢)].

وبالجملة أن ينتفع الإنسان بكل من خالطه وصاحبه:

فصاحـب البصـيرة النافـذة، والهمة العاليـة «ينتفع بكل من خالطـه وصاحبه، من كاملٍ، وناقص، وسيِّء الخلق وحَسنِهِ، وعديم المروءة، وغزيرها.

وكثـير مـن الناس يتعلم المروءة ومـكارم الأخلاق من الموصوفـين بأضدادها، كما روي عن بعض الأكابر أنه كان له مملوك سيِّئ الخلق، فظ، غليظ، لا يناسبه.

فسئل عن ذلك فقال: أدرس عليه مكارم الأخلاق.

وهـذا يكون بمعرفة مكارم الأخلاق في ضد أخلاقـه، ويكون بتمرين النفس على مصاحبته، ومعاشرته، والصبر عليه»[(٣)].

قال ابن حزم: «ولكل شيء فائدة، ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة، وهـي أنه توقَّد طبعي، واحتدم خاطري، وحمي فكري، وتهيج نشـاطي فكان ذلك سـببًا إلى تواليفَ لي عظيمةٍ.

---

(١) «العفو والاعتذار» لأبي الحسن محمد بن عمران المعروف بابن الرقام البصري تحقيق د. عبد القدوس أبو صالح ص: (٥١٢، ٥١٤).
(٢) «الأخلاق والسير» ص: [٢٥].
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٣٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولولا استثارتهم نشاطي، واقتداحهم كامني - ما انبعثت لتلك التواليف»[(١)].

بل إن كثيرًا من العقلاء يتعلم من الحيوانات البهم أمورًا تنفعه في معاشه، وأخلاقه، وصناعته، وحربه، وحزمه، وصبره.

قيل لرجل: مَنْ عَلَّمك البكور في حوائجك أَوَّلَ النهار لا تُخِلُّ به؟ قال: من علم الطير تغدو خماصًا كل بكرة في طلب أقواتها على قربها وبعدها، لا تسأم ذلك ولا تخاف ما يعرض لها في الجو والأرض.

وقيل لآخر من علمك السكون، والتحفظ، والتماوت حتى تظفر بإربك، فإذا ظفرت به وثبت وثوب الأسد على فريسته؟

قال: الذي علم الهرة أن ترصد جحر الفأرة، فلا تتحرك، ولا تَتَلوَّى، ولا تختلج، حتى كأنها ميتة، حتى إذا برزت الفأرة وثبت عليها كالأسد.

وقيل لآخر: من علمك حسن الإيثار والبذل والسماحة؟ قال: من علم الديك يصادف الحبة في الأرض، وهو يحتاج إليها ولا يأكلها، بل يستدعي الدجاج، ويطلبهن طلبًا حثيثًا حتى تجيء الواحدة منهن، فتلتقطها وهو مسرور بذلك، طيب النفس به.

وإذا وضعت له الحبَّ الكثير فوقه ههنا، وههنا، وإن لم يكن له دجاج؛ لأن طبعه قد أَلِفَ البذل والجودَ، فهو يرى أنه من اللؤم أن يستبد وحده بالطعام[(٢)]!

❁ توطين النفس على الاعتدال حال السراء والضراء:

فلقد مر بنا أن من أسباب سوء الخلق - الغنى، والمرَض، والكِبَرَ، والولايةَ، والعزل.

---

(١) «الأخلاق والسير» ص: [٤٨].

(٢) انظر ذلك مفصلًا في «شفاء العليل» لابن القيم ص: (١٤٧ - ١٦٤)



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولهذا فإنه يحسن بالعاقل الذي يروم نيل المعالي، واكتساب الفضائل أن يوطن نفسه على الاعتدال حال السراء والضراء؛ لأن من أدب صاحب المروءة أن يقف موقف الاعتدال في حالي الضراء والسراء.

ولست بمفراحٍ إذا الدهر سرني ... ولا جازع من صِرْفِهِ المتقلب[١]

ومن هنا نرى أن صاحب المروءة لا تطيش به الولاية في زهو، ولا ينزل به العزل في حسرة، ولا يحمله الغنى على الأشر والبطر، ولا ينحط به الفقر إلى الذلة والخنوع[٢].

قال الحكيم العربي:

خلقان لا أرضى اختلافهما ... تيهُ الغنى مذَلَّةُ الفقرِ

فإذا غنيت فلا تكن بطرًا ... وإذا افتقرت فَتِهْ على الدهر

واصبر فلست بواجد خلقًا ... أدنى إلى فرج من الصبر[٣]

وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابي:

كلا بلوتُ فلا النعماء تُبطرني ... ولا تَخَشَّعْتُ من لأوائها جزعًا[٤]

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصبحت والسراء والضراء مطيَّتان على بابي، لا أُبالي على أيهما ركبت»[٥].

وبهذا تستقيم أخلاق المرء، وتعتدل أفعاله وأحواله، فيسلم بذلك من التقلب واختلاف الأخلاق.

---

(١) «عيون الأخبار» (١/ ٢٧٦و ٢٨١).

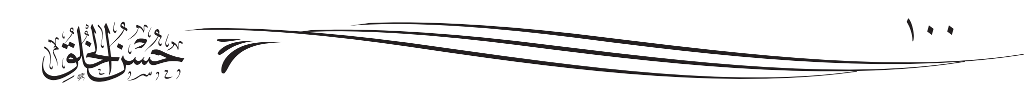
(٢) انظر: «رسائل الإصلاح» (١٠/ ٢١٠).

(٣) «عيون الأخبار» (١/ ٢٣٨).

(٤) مع الرعيل الأول لمحب الدين الخطيب ص: [١٧٤].

(٥) «الكتاب الجامع» (٢/ ٤٣٧).





معرفة أحوال الناس، ومراعاة عقولهم، ومعاملتهم بمقتضى ذلك:

فهذا الأمر دليل على جودة النظر في سياسة الأمور، وعلى حسن التصرف في تقدير وسائل الخير، وهو مما يعين على اكتساب الأخلاق الرفيعة، وعلى استبقاء المودة في قلوب الناس.

فالرجل العاقل الحكيم الحازم يُحْكِم هذا الأمر، وينتفع به عند لقائه بالطبقات المختلفة، فتراه «يَزِنُ عقولَ من يلاقونه، ويحس ما تكن صدورهم، وتنزع إليه نفوسهم، فيصاحب الناس، ويشهد مجالسهم، وهو على بصيرة مما وراء ألسنتهم من عقولٍ، وسرائرَ، وعواطفَ.

فيتيسر له أن يسايرهم إلا أن ينحرفوا عن الرشد، ويتحامى ما يؤلمهم إلا أن يتألموا من صوت الحق.

ومراعاة عقول الناس وطباعهم ونزعاتهم فيما لا يُقْعِدُ حقًا، ولا يقيم باطلًا - مظهرٌ من مظاهر الإنسانية المهذبة»[(١)].

وكما أن هذا الأمر عائد إلى الألمعية - وهي في أصلها موهبة إلهية - فهو كذلك يأتي بالدربة، والممارسة، وتدبر سير أعاظم الرجال، والنظر في مجاري الحوادث باعتبار، فهذا مما يقوي هذه الخصلة، ويرفع من شأنها.

۞ المحافظة على الصلاة:

فهي سبب عظيم لحسن الخلق، وطلاقة الوجه، وطيب النفس، وسموها، وترفعها عن الدنايا.

كما أنها في مقابل ذلك تنهى عن الفحشاء والمنكرِ.

(١) «رسائل الإصلاح» (١/ ٩٥).




www.alukah.net

وسوءُ الخلق من جملة ما تنهى عنه الصلاة.

ثـم إنها سـبب لعـلاج أدواء النفـس الكثـيرة كالبخل، والشـح والحسـد، والهلع، والجزع، وغيرها.

❁ الصيام:

فبالصيام تزكو النفس، ويستقيم السلوك، وتنشأ الأخلاق الرفيعة من رحمة، وكرم، وبر، وصلة، وبشاشة، وطلاقة، ونحو ذلك.

وبالصيام تعلو الهمة، وتقوي الإِرادة، ويتحقق الاطمئنان.

فهذه الأمور وغيرها من أعظم ما يعين على اكتساب حسن الخلق.

❁ قراءة القرآن بتدبر وتعقل:

فهـو كتاب الهدى والنـور، وهو كتاب الأخلاق الأول، وهو الذي يهدي للتي هي أقوم، وحسن الخلق من جملة ما يهدي إليه القرآن الكريم.

اقرأ على سـبيل المثال سورة الإِسراء، أو سورة النور، أو سورة الحجرات أو غيرها - تَجِدْ من الوصايا العظيمة الجامعة التي لا توجد في أي كتاب آخر، والتي لو أخذت بها البشرية لتغير مسارها، ولاستنارت سبلها، ولعاشت عيشة الهناءة والعز.

بـل إن آية واحدة في القـرآن جمعت مكارم الأخلاق، وهـي قوله تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأَعۡرَاف: ١٩٩].

ثم إن القرآن يدفع النفوس إلى الكمالات، ويملؤها بعظم الهمة. «وإذا رأينا من بعض قرائه همًا ضئيلة، ونفوسًا خاملة - فلأنهم لم يتدبروا آياتِه ولم يتفقهوا في حكمه»[(١)].

---

(١) «رسائل الإِصلاح» (٢/ ٨٨).


شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ **تزكية النفس بالطاعة:**

وبالجملة: فإن تزكية النفس بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم ما يكسب الأخلاق الفاضلة إن لم يكن أعظمه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا**﴾ [الشمس: ٩].

وقال: ﴿**قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ**﴾ [الأعلى: ١٤].

❁ **لزوم الحياء:**

فالحياء خلق سَنِيٌّ، يبعث على فعل الجميل وترك القبيح.

فإذا تحلى المرء به انبعث إلى الفضائل، وأقصر عن الرذائل.

والحياء كله خير، والحياء لا يأتي إلا بخير، والحياء خلق الإسلام، وهو شعبة من شعب الإيمان.

قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»(١).

وقال: «**إن لكل دين خلقًا وخلق الإسلام الحياء**»(٢).

وقال: «**الحياء شعبة من شعب الإيمان**»(٣).

وقال: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى - إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»(٤).

قال ابن حبان: «فالواجب على العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل، وبذر الخير، وتركه أصل الجهل، وبذر الشر»(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٧٣٥٤]، ومسلم [٣٧] عن عمران بن حصين.
(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه عن أنس [٤١٨١]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» [٢١٤٩].
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٤٥]، ومسلم [٣٥] عن أبي هريرة.
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٤٣٥٤] من حديث أبي مسعود.
(٥) «روضة العقلاء» ص: [٥٦].





قال الأصمعي: «سمعت أعرابيًا يقول: من كساه الحياء ثوبَه لم يرَ الناس عيبه»[(١)].

❁ **إفشاء السلام:**

فالسلام مدعاة للمحبة، ومجلبة للمودة، فإذا ما أفشى الناس السلام توادوا، وتحابوا، وإذا توادوا وتحابوا زكت نفوسهم، وزالت الوحشة فيما بينهم، فتحسن أخلاقهم تبعًا لذلك.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَ لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[(٢)].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن مما يُصَفِّي لك ودَّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسع له في المجلس»[(٣)].

❁ **إدامة النظر في السيرة النبوية:**

فالسيرة النبوية تضع بين يدي قارئها أعظم صورة عرفتها الإنسانية، وأكمل هدي وخلقٍ في حياة البشرية.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها - فلْيَقْتَدِ بمحمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليستعمل أخلاقه، وسيره ما أمكنه، أعاننا الله على الاتساء به بِمَنِّه آمين»[(٤)].

---

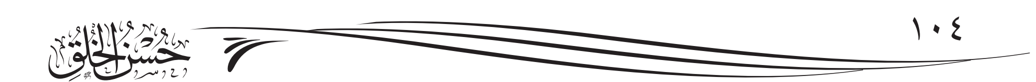
(١) «الآدب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٨٨).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٥٤]، وأخرجه أبو داود [٥١٩٣]، والترمذي [٢٦٨٨] عن أبي هريرة.

(٣) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٦٣). (٤) «الأخلاق والسير» ص: [٢٤].



www.alukah.net
شبكة الألوكة



* **النظر في سير الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:**

فهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وهم الذين ورثوا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هديه، وسمته، وخلقه.

فالنظر في سيرهم، والاطلاع على أحوالهم - يبعث على التأسي بهم، والاهتداء بهديهم.

* **قراءة سير أهل الفضل والحلم:**

فإن قراءة سيرهم، والنظر في تراجمهم مما يحرك العزيمة على اكتساب المعالي ومكارم الأخلاق؛ ذلك أن حياة أولئك تتمثل أمام القارئ، وتوحي إليه بالاقتداء بهم، والسير على منوالهم.

وكثيرًا ما بعث الناس إلى محاسن الأخلاق حكايةٌ قرؤوها عن رجل فاضل، أو حادثةٌ رويت عنه.

* **قراءة كتب الشمائل:**

فإنها تنبه الإنسان على مكارم الأخلاق، وتذكره بفضلها وتعينه على اكتسابها.

كما أنها تحذره من مساوئ الأخلاق، وتبين له سوء عواقبها، وطرق التخلص منها.

قال علي بن عبد الرحمن بن هذيل «اعلم أن الحكايات والأخبار سلوة للنفوس، وآدابٌ نافعة للرئيس والمرؤوس، والقلوب ترتاح إليها من شجونها، والآذان تصغي لسماع طرفها وفنونها، والوحيد يأنس بمطالعتها، والجليس ينبسط بمذاكرتها ومحاضرتها، والطباع تجم بها من مللها، ويذهب عنها قلة نشاطها وكثرة كسلها»(١).

---

(١) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٥٨].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «عليكم بطرائف الأخبار؛ فإنها من علم الملوك والسادة، وبها تنال المنزلة والحظوة منهم»(١).

وقال بعض ملوك الهند لبنيه: «أكثروا من النظر في الكتب، وازدادوا كل يوم حرفًا؛ فإن ثلاثة لا يستوحشون في غربة: الفقيه العالم، والبطل الشجاع، والحلو اللسان الكثير مخارج الرأي»(٢).

وقيل للمأمون: «ما أَلَذُّ الأشياء؟ قال: التنزه في عقول الناس. يعني قراءة أقوالهم»(٣).

۞ الاطلاع على الحكم المأثورة:

فالحكم أقوال مأثورة، وكلمات موجزة مؤثرة، تشتمل على رأي سديد، وحُكْم صائب، وقول ناتج عن تجربة، وخبرة، ودراية بالأمور ومجرياتها.

والحِكَمُ لا تصدر في الغالب إلا من عاقل حكيم، قد حَنَّكَتْهُ التجارب، وعَرَكَتْهُ الأيام، ووسمته بميسمها.

والحكم لها الأثر البالغ في النفوس؛ فهي تغري بالفضائل، وتبين معالمها، وترشد إلى المكارم والمعالي، وتدعو إلى اكتسابها، وتعين على التحلي بها.

ذلك أن الحِكَم وليدة التعقل، وثمرة التجربة، وعصارة الفكر(٤).

والحكمة توجد في الشعر والنثر على حد سواء.

---

(١) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٥٨].

(٢) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٥٨].

(٣) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٥٨].

(٤) انظر: «الأدب العربي وتاريخه» د. عبد العزيز الفيصل ص: (٢٧و ٦٨ - ٦٩، ١٦٩).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولقد ورد عن الأسلاف من الحكم الجامعة، والوصايا النافعة ما يتعذر جمعه واستقصاؤه.

وفيما يلي ذكر لشيء من ذلك زيادة على ما ذكر في تضاعيف هذا الكتاب.

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه ولا في ابنه، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده، يَقْسِمها الله لمن أحب: صدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسهن الحياء»(١).

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مكارم الأخلاق للمؤمن قوةٌ في لين، وحزمٌ في دين، وإيمان في يقين، وحرص على العلم، واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة، وقناعة في الفاقة، ورحمة للمجهود، وإعطاء في حق، وبر في استقامة»(٢).

وقال مَصْقَلَةُ بن هبيرة الشيباني: «سمعت صعصعة بن صوحان وقد سأله ابن عباس: ما السؤدد فيكم؟

قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النوال، وكفُّ المرءِ نفسَه عن السؤال، والتودد للصغير والكبير، وأن يكون الناس عندك في الحق شَرَعًا(٣)»(٤).

وقال أبو عمرو بن العلاء: «كان أهل الجاهلية لا يُسَوِّدون إلا من كانت فيه ست خصال، تمامها في الإسلام سابعة: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والبيان، والحسب، وفي الإسلام زيادة العفاف»(٥).

---

(١) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٠١ - ٦٠٢).
(٢) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٠١).
(٣) شرعًا: سواء.
(٤) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٠٢).
(٥) «بهجة المجالس» (٢/ ٦٠٣ - ٦٠٤)، و«روضة العقلاء» ص: [٢٧٤]، و«عين الأدب والسياسة» ص: [١١٣].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الشاعر أبو العميثل يمدح عبد الله بن طاهر، ويوصي مصعب بن عبد الله بن طاهر أن يسير على نول أبيه:

يا من يحاول أن تكونَ خِلالُه ... كخلالِ عبد الله أنصتْ واسمعِ
فَلأقْصَدَنَّكَ بالنصيحة والذي ... حجَّ الحجيجُ إليه فاقْبل أَوْدَعِ
إن كنت تطمع أن تحلَّ محلَّه ... في المجد والشرف الأشم الأرفع
فاصْدُقْ وعفَّ وبرَّ وارفقْ واتَّئدْ ... واحْلُمْ ودارِ وكافِ واصبرْ واشجعِ
والطفْ ولِنْ وتَأَنَّ وانصُرْ واحتملْ ... واحْزِمْ وجدَّ وحامِ واحمل وادفعِ
هذا الطريق إلى المكارم مهيعًا ... فاسلك فقد أبصرتَ قصدَ المهيعِ[(١)]

قال علي بن عبد الرحمن بن هذيل عن هذه الأبيات:

«وقد جمعت هذه الأبيات خلال المكارم، وموجبات السؤدد، وتفاريق المروءة»[(٢)].

وقيل لقيس بن عاصم: «بِمَ سوَّدك قومك؟.

قال: بكفِّ الأذى، وبذل الندى، ونصرة المولى»[(٣)].

وقيل في وصف المكارم:

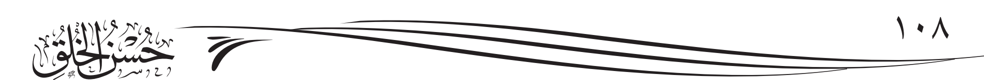
إن المكارمَ أخلاقٌ مُطهَّرةٌ ... فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والصبر خامسها والصدق ساديها
والشكر سابعها والجودُ ثامنها ... والرفق تاسعها واللين عاشيها[(٤)]

---

(١) «بهجة المجالس» ٠٢/ ٦١٥)، و«عين الأدب والسياسة» ص: [١١٥].
(٢) «عين الأدب والسياسة» ص: [١١٥].
(٣) «عين الأدب والسياسة» ص: [١١٣].
(٤) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٠٣].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



وقيل في وصف المروءة: «المروءة إنصاف الرجل من هو دونه، والسمو إلى من هو فوقه، والجزاء بما أوتي إليه»(١).

وقيل: «مروءة الرجل صدق لسانه، واحتمال عثرات جيرانه، وبذل المعروف لأهل زمانه، وكفه الأذى عن أباعده وجيرانه»(٢).

وقيل: «المروءة إذا أعطيتَ شكرتَ، وإذا ابتليت صبرتَ، وإذا قدرت غفرتَ، وإذا وعدت أنجزت»(٣).

وقيل: «المروءة حسن العشرة، وحفظ الفرج واللسان، وترك المرء ما يعاب به»(٤).

وقال حكيم لحكيم: «ما السؤدد؟ فقال: اصطناع العشيرة، واحتمال الجريرة.

قال: فما الشرف؟

قال: كف الأذى، وبذل الندى.

قال: فما الثناء؟

قال: استعمال الأدب، ورعاية الحسب.

قال: فما المجد؟

قال: احتمال المغارم، وابتناء المكارم.

قال: فما المروءة؟

قال: عرفان الحق، وتعاهد الصنيعة.

---

(١) «عين الأدب والسياسة» ص: [٢٣١].

(٢) «عين الأدب والسياسة» ص: [٢٣١].

(٣) «عين الأدب والسياسة» ص: [٢٣١].

(٤) «عين الأدب والسياسة» ص: [٢٣١].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال: فما السماحة؟

فقال: حب السائل، وبذل النائل.

قال: فما الكرم؟

فقال: صدق الإِخاء في الشدة والرخاء»[(١)].

❁ معرفة الأمثال السائرة:

فالأمثال أقوال موجزة، تُشَبِّه حالًا مُشاهَدةً منظورة بأحوال سابقة، والذي يجمع بين الحال السابقة والحال القائمة هو المماثلة.

هذا وللأمثال أثر في النفوس، وسيرورة في الناس؛ فهي تبعث على العمل، وتَقَوِّم السلوك، وتضيء السبل، وتهدي في معترك الحياة.

وذلك بسبب ما تتضمنه من توجيه أو تنبيه أوتعليم؛ فالعاقل يسترشد إذا سمع المثل، والغافل يتذكر بالمثل ما مضى من حوادث التاريخ، وهكذا.

وللأمثال أهداف تربوية وخلقية بما تدعو إليه من قيم نبيلة، ومثل عليا، وبما ترسمه للمرء في حياته من أنواع السلوك الحميد، واحتياط للأمور، وحسن التصرف فيها، وبما تنهى عنه من السلوك السيِّئ، والتصرفات الشائنة.

ذلك أن الأمثال خفيفة الظل، سريعة الحفظ، تمزج الهزل بالجد، وتشير إلى ما تريد بطرف خفي، فتعالج كثيرًا من الأمور بكلام يسير يصل إلى أعماق النفس.

وما من موقف يمر به الإنسان في حياته إلا ويجد من الأمثال ما يعبر عنه، ويُهَوِّن عليه بلاءه، أو يخفف من غلوائه، أو يوجهه الوجهة الصحيحة التي تقوم سلوكه، فَتُحَبِّبُه في الجميل، وتنفره من القبيح[(٢)].

---

(١) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٠٥].

(٢) انظر: «الأدب العربي» د. عبد العزيز الفيصل ص: (٢٧، ١٦٨).



قال علي بن عبد الرحمن بن هذيل: «وليس يكمل أدب المرء حتى يعرف المثل السائر، والبيت النادر، وما يحكي عن أهل العصور من الأخبار العجيبة، وما وقع لهم من الألفاظ البليغة، والمعاني الغريبة.

ففي ذلك العلمُ بالأمور، والعقل المكتسب، والأدب الصادر عن ذي المروءة والحسب»(١).

هذا وعند العرب رصيد ضخم من الأمثال لا يحويه كتاب، ولا يستوفيه مصنف.

ومما ورد عنهم من الأمثال مما يعين على مكارم الأخلاق ما يلي:

❁ إياك وأن يضربَ لسانُكَ عُنُقَك.

أي إياك أن تلفظ بما فيه هلاكك(٢).

❁ إياك وما يُعْتَذَر منه.

أي لا ترتكب أمرًا تحتاج فيه إلى الاعتذار(٣).

❁ تعجيل العقاب سفه.

أي أن الحليم لا يعجل بالعقوبة(٤).

❁ خير الناس هذا النمط الأوسط.

يعني بين الـمُقَصِّر والغالي(٥).

❁ تُقَطِّع أعناقَ الرجالِ المطامعُ.

---

(١) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٥٩].

(٢) «الأمثالة» لأبي عبيد ص: [٤١]، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٨٨).

(٣) «الأمثال» ص: [٦٤]، و«مجمع الأمثال» (١/ ٧٣).

(٤) «مجمع الأمثال» (١/ ٢١٨).

(٥) «مجمع الأمثال» (١/ ٤٣٢).



www.alukah.net

يضرب في ذم الجشع[١].

❁ الخطأ زادُ العَجُول.

يعني قلَّ من عجل في أمر إلا أخطأ قصد السبيل[٢].

❁ خير الغنى القُنوع، وشِر الفقر الخضوع[٣].

❁ ضربَ وجهَ الأمر وعينَه.

يضرب لمن يداور الأمور، ويُقلِّبها ظهرًا لبطن؛ من حسن التدبير[٤].

❁ المشاورة قبل المثاورة[٥].

❁ المداراة ملاك قوام المعاشرة، وملاك المعاشرة[٦].

❁ سَبَّك من بَلَّغك السبَّ.

أي من واجهك بما قفاك به غيره فهو الشاتم[٧].

❁ إذا أراد أحدكم أمرًا فعليه بالتؤدة[٨].

❁ إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون[٩].

---

(١) «مجمع الأمثال» (١/ ٢٥١)، و«المستقصي من أمثال العرب» للزمخشري (٢/ ٣٠).
(٢) «مجمع الأمثال» (١/ ٤٣٢).
(٣) «مجمع الأمثال» (١/ ٤٣١).
(٤) «مجمع الأمثال» (٢/ ٢٦٢).
(٥) «مجمع الأمثال» (٣/ ٢٩٢).
(٦) «مجمع الأمثال» (٣/ ٢٩٢).
(٧) «المستقصي» (٢/ ١١٥).
(٨) «الأمثال» ص: [٢٣٣].
(٩) «الأمثال» ص: [٢٣٧].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net


❁ الانقباض عن الناس مَكْسَبَةٌ للعداوة، وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء(١).

❁ إن من ابتغاء الخيرِ اتقاءَ الشرِّ(٢).

❁ ليس من العدل سرعةُ العذل(٣).

هـذا مـا تيسر جمعـه وتقييـده من الأسـباب والأمـور المعينة على اكتسـاب حسـن الخلق.



(١) «الأمثال» ص: [٢٠٢].

(٢) «الأمثال» ص: [١٥٩].

(٣) «الأمثال» ص: [٢٦٧].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

علامة حُسن الخُلق

قال يوسف بن أسباط: علامة حُسن الخلق عشرُ خصالٍ:

❁ **الخصلة الأولى:** قلّة الخلاف.

❁ **الخصلة الثانية:** حسن الإنصاف.

❁ **الخصلة الثالثة:** ترك طلب العثرات.

❁ **الخصلة الرابعة:** تحسين ما يبدو من السيئات.

❁ **الخصلة الخامسة:** التماس المعذرة.

❁ **الخصلة السادسة:** احتمال الأذى.

❁ **الخصلة السابعة:** الرجوع بالملامة على النفس.

❁ **الخصلة الثامنة:** التفرُّد بمعرفة عيوب نفسه دون غيره

❁ **الخصلة التاسعة:** طلاقة الوجه للصغير والكبير.

❁ **الخصلة العاشرة:** لطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

صور من مكارم الأخلاق

❁ **سب رجل عبد الله بن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، **فلما فرغ قال**: يا عكرمة هل للرجل حاجة فتقضيها؛ فنكس الرجل رأسه واستحى.

❁ وعن على بن الحسين بن على أنه سبه رجل، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم.

❁ **وشتم رجل سلمان الفارسي فرد عليه وقال**: إن خفت موازينى. فأنا شر مما تقول، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول.

❁ **وشتم رجل الربيع بن خُثيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **فرد عليه وقال**: يا هذا، سمع الله كلامك، وإن دون الجنة عقبة، إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول. وقالت له امرأة: يا مرائي، فقال: ما عرفني غيرك.

❁ **وقال على بن يزيد**: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول، فأطرق عمر زمنًا طويلًا، ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا.

❁ وشتم رجل الأحنف بن قيس، فسكت عنه، وأعاد الرجل فسكت عنه وأعاد فسكت عنه، فقال الرجل: والهفاه، ما يمنعه من أن يرد على إلا هواني عنده.

❁ **وقال رجل لمالك بن دينار**: بلغني أنك ذكرتني بسوء!! قال: أنت لست أكرم عليَّ من نفسى، إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي.

❁ وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك، فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به، فذبحت الغضب.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ **وكان الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **إذا قيل له**: إن فلانًا يقع في عرضك يقول: والله لأغيظن من أمره - يعني إبليس - ثم يقول: اللهم إن كان صادقًا فاغفرلي، وإن كان كاذبًا فاغفر له.

❁ وشتم رجل بكر بن عبد الله المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فبالغ في شتمه وهو ساكت فقيل له: ألا تشتمه كما شتمك؛ فقال: إني لا أعرف له شيئًا من المساوئ حتى أشتمه به، ولا يحل لي أن أرميه بالكذب.

❁ **وشتم رجل الإمام أحمد بن حنبل وسبه، فقيل له**: يا أحمد، ألا رددت على هذا، فقال: فأين القرآن إذن، ألا يقول الله: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

❁ **وقيل للأحنف بن قيس**: من أين تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم، قيل: وما بلغ حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره، إذ أتته جارية بسفود عليه شواء، فسقط من يدها، فوقع على ابن صغير له فمات، فدهشت الجارية، فقال لها: لا روع عليك، أنت حرة لوجه الله تعالى.

❁ **وقال رجل لسالم بن عبد الله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا شيخ السوء، فقال له سالم: ما أراك أبعدت يا أخي.

❁ **وقيل**: إن أُويسًا بن عامر القرني كان إذا رآه الصبيان يلقونه بالحجارة فكان يقول لهم: يا إخوتاه، إن كان ولابد فارموني بالصغار؛ حتى لا تُدموا ساقي، فتمنعوني عن الصلاة.

❁ **وقالت امرأة لمالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا مرائي. فقال: يا هذه وجدت اسمي الذي ضَلَّه أهل البصرة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ **وقيل**: إن أبا إسحاق نزع عمامته - وكانت بعشرين دينارًا - وتوضأ في دجلة، فجاء لصٌ فأخذها وترك عمامةً رديئةً بدلها، فطلع الشيخ فلبسها، وما شعر حتى سألوه وهو يُدرِّس، فقال لعلَّ الذي أخذها محتاج[1].

تَكْسُوْ المَحَامِدُ وَجْهَ المَرْءِ بَهْجَتَهَا ... كَمَا اكْتَسَى الزَّهْرُ زَهْرَ الرَّوْضِ بالمطرِ

يُخَلِّدُ الذِّكْرُ حَمْدًا طَابَ مَنْشَؤُهُ ... وَلَيسَ يَمْحُو المَزَايا سَالِفُ العُصُرِ

تَمَيَّزَ النَّاسُ بالفَضْل المُبينِ كَمَا ... تَمَيَّزُوْا بَيْنَهُمْ في خِلْقَةِ الصُّوَرِ

بقَدْرِ مَعْرِفَةِ الإنسان قِيمته ... وبالفَضَائِل كَانَ الفَرْقُ في البَشَرِ

مَا الفَضْلُ في بَزَّةٍ تَزْهو برَوْنَقِها ... وأيِّ فَضْلٍ لإبْريز عَلَى مَدَرِ

وإنما الفَضْلُ في علْمٍ وَفي أَدَبٍ ... وَفي مَكارمِ تَجْلُو صِدْقَ مُفْتَخِرِ

فَلا تُسَاوِ بأَخْلاقٍ مُهَذَّبةٍ أَخْلاقَ ... سُوءٍ أَتَتْ مِنْ سَارِحِ البَقَرِ



(١) هذه النماذج والصور من كتاب: «الإحياء» (٣/ ٧٦ - ٧٧ - ٧٨)، للشيخ الغزالي، ط: دار الصحابه وكتاب: «السير» (١٨/ ٣٤٩ - ٣٥٤)، (١٨/ ٤٥٢ - ٤٦٤)، للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معالم المداراة

فيما يلي ذكر لبعض المعالم التي تميز المداراة عن المداهنة(١).

❁ المداراة صدقة وفضيلة، والمداهنة خطيئة ورذيلة.

❁ المداراة ترجع إلى حسن اللقاء، وطيب الكلام، والتودد للناس، وتَجَنُّبِ ما يشعر بغضب أو سخط أوملالة، كل ذلك من غير ثلم للدين في جهة من الجهات.

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة»(٢).

❁ ومن المداراة أن يلاقيك ذو لسان أو قلم عرف بنهش الأعراض، ولمز الأبرياء، فتطلق له جبينك، وتحييه في حفاوة؛ لعلك تحمي جانبك من قذفه، أو تجعل لدغاتِهِ خفيفةَ الوقع على عرضك.

نقرأ في الصحيح عن عروة بن الزبير أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أخبرته: أنه استأذن على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل فقال: «**ائذنوا له فبئس ابن العشيرة**»، أو «**بئس أخو العشيرة**».

فلما دخل ألان له الكلام، وفي رواية «فلما جلس تَطَلَّق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجهه، وانبسط إليه، فقلت: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له القول!.

فقال: «**أيْ عائشةُ، إن شرَّ الناس منزلةً عند الله من تركه أو وَدَعَهُ الناسُ اتقاءَ فُحْشِهِ**»(٣).

---

(١) انظر: «روضة العقلا»، ص: (٧٠ - ٧١)، وانظر «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٤ - ٥٤٥)، و«عين الأدب والسياسة» ص: (١٥٢ - ١٥٧)، و«الدعوة للإصلاح» لمحمد الخضر حسين ص: (٥٠ - ٥٢، ٧٤)، و«رسائل الإصلاح» (١/ ١٣١ - ١٣٨)، (٢/ ١٠٠).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٥) لابن حجر العسقلاني.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٩٤٣٥] عن عائشة.



فلقاء رسول الله ﷺ - لهذا الرجل المعروف بالبذاء - من قبيل المداراة؛ لأنه لم يزد على أن لاقاه بوجه طلق، أو رفق به في الخطاب.

وقد سبق إلى ذهن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الذي بلغ أن يقال فيه «بئس ابن العشيرة» لا يستحق هذ اللقاء، ويجب أن يكون نصيبه قسوة الخطاب، وعبوس الجبين.

ولكن نظر رسول الله ﷺ أبعد مدىً، وأناته أطول أمدًا؛ فهو يريد تعليم الناس كيف يملكون ما في أنفسهم، فلا يَظْهَرُ إلا في مكان أو زمان يليق في إظهاره.

ويريد تعليمهم أدبًا من آداب الاجتماع، وهو رفق الإنسان بمن يقصد إلى زيارته في منزله، ولو كان شره في الناس فاشيًا.

على أن إطلاقك جَبِيْنَك لمثل هذا الزائر لا يمنعك من أن تشعره بطريق سائغ أنك غيرُ راض عما يشيعه في الناس من أذىً، ولا يعوقك عن أن تعالجه بالموعظَة الحسنة إلا أن يكون شيطانًا مريدًا.

❁ ومن المداراة أن تلقى ذا يدٍ باطشة، فتمنحه جبينًا طلقًا، وتتجنب في حديثك ما لا يكون له أثر في نفسه إلا أن يثير القصد إلى أذيتك.

وهذا محمل قول أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنا لنكشر[1] في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم»[2].

في هذا الأثر شاهد على أن التبسم في وجه الظالم اتقاء بأسه - ضرب من المداراة، ولا يتعداه إلى أن يكون مداهنة.

---

(١) **نكشر**: نضحك.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٩٤٣٥] معلقًا بصيغة التمريض، وله طرق أخرجها الحافظ ابن الحجر في «تغليق التعليق» (٥/ ١٠٢) وفي كل منها مقال، ولعل بعضها يشد بعضًا فيكون السند حسنًا لغيره.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

«قال محمد بن أبي الفضل: قلت لأبي: لِمَ نجلسُ إلى فلان، وقد عرفت عداوته؟.

قال: أخبي نارًا، وأقدح عن وُدٍّ»[(١)].

وقال المهاجر بن عبد الله:

وإني لأقصي المرء من غير بغضة　　　وأدني أخا البغضاء مني على عمدِ

لِيُحدِثَ ودًا بعد بغضاء أو أرى　　　له مصرعًا يردي به الله من يردي[(٢)]

«وقال عقال بن شَبَّة: كنت رديف أبي، فلقيه جرير على بغل فحياه أبي وألطفه.

فلما مضى قلت: أبعدما قال لنا ما قال؟.

قال أبي: أفأُوَسِّعُ جرحي؟»[(٣)].

❁ ومن المداراة التلطف في الاعتذار: وذلك أن يكون الرجل على حالة تقتضي صرفه عن بغية أو عمل، وتعرف أن في الاعتذار له بهذا الحال ما يثير في نفسه ألمًا، فتعرض عن ذكر ما يؤلم، وتذكر له وجهًا غيره مما هو واقع؛ حتى لا تجمع له بين الحرمان من بغيته وإيلامه بما لا يحب أن يعتذر له به.

❁ ومن المداراة أن تخالط الناس، فتسايرهم بالخير، وتعاشرهم بالمعروف، وتزايلهم بالشر، وتفارقهم بالمنكر.

وقد جاء في المثل السائر الذي ورد من السلف: «خالطوا الناس وزايلوهم».

أي عاشروهم في الأفعال الصالحة، وزايلوهم في الأفعال المذمومة[(٤)].

❁ ومن المداراة أن ترميك الغربةُ في بلدٍ ما، فتجد أن خلائق أهلها وعاداتهم على غير ما تعرف، فتترك كثيرًا مما كنت تعرف، وتأخذ بما يعرفون؛ فإن ذلك من حسن المداراة.

---

(١) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٢).

(٢) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٢).

(٣) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٢).

(٤) «الأمثال» ص: [١٥٧]، و«مجمع الأمثال» (١/ ٤٣٠).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فـدارهـم مـا دمـت فـي دارهـم وأرضـهـم مـا دمـت فـي أرضهم[(١)]

وكل هـذا مـشروط بألا يكون فيها تـأتي أو تذر محذور شرعي؛ فـإن كان ثَمَّ محذور شرعي تَعَيَّنَ تقديمُ الأمر الشرعي على كل عادة وعرف.

هـذا وقـد علم بالتَّتَبُّع والاستقراء أن كل عـرف خالف الشرع فإنـه ناقص مختل، وهذه قاعدة مطردة لا تُنتقض[(٢)].

❁ ومـن المداراة أن تسعى لتطلاب حقـك، أو إدراك حاجتك، فلا تقدر على ذلك بالغلبـة والاستعلاء، فتلجأ إلى الترفق، وحسـن المـداراة، والعرب تقـول: «إذا لم تغلبْ فاخْلُبْ»[(٣)].

❁ المداراة يبتغي بها رضا الناس، وتأليفهم في حدود ما ينبغي أن يكون، فلا يبعدك عنها قضاء بالقسط، أو إلقاء للنصيحة في رفق.

❁ المـداراة ترجـع إلى ذكاء الشـخص وحكمتـه؛ فهـو الـذي يراعـي في مقدارهـا وطريقتها ما ينبغي أن يكون؛ ذلك أن لأسباب العداوة مدخلًا في تفاوت مقادير المداراة واختلاف طرقها.

فإذا سـاغ لك أن تبالغ في مداراة من ينحرف عنك لخطأ في ظن يظنه بك، أو لعدم ارتياحـه لنعمة يسـوقها الله إليك - فَلِمُداراةِ من يحارب الحـق والفضيلة - إن صادفك، واقتضى الحال مداراته - حد قريب، ومسحة من التلطف خفيفة.

كما ينبغي أن تكون مداراتك لمن ترجو العود منه إلى الرشد، وتأنس من فطرته شيئًا من الطيب - فوق مداراتك لمن شـاب على عوج العقل، ولؤم الخلق، حتى انقطع أملك من أن يصير ذا عقل سليم، أو خلق كريم.

---

(١) «عين الأدب والسياسة» ص: [١٥٥]. (٢) انظر: «الرياض الناضرة» ص: [٢٨٤].
(٣) «الأمثال» لأبي عبيد ص: [١٥٦].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثـم إن لـك مع مـن فيه بقيـةٌ من العقـل ضربًا مـن المداراة لا تسـلكه مع مـن يَعُدُّ مداراتك له أثر الخوف من سـلاطة لسـانه، فيزداد فحشًـا، ليزداد الناس رهبة، فيزيدوه خضوعًا.

❁ ومـن المـداراة أن تثني على الرجل بما فيه إذا قصدت من ذلك أن تحمله إلى ما هو أرفع، أو أن تُقْصِرَه عما هو من القبيح.

❁ ومن المداراة أن تُذَكِّرَ المرء بسالف مجد آبائه؛ حتى تبعثه إلى اتباعهم، والسير على نولهم.

❁ ومن المداراة أن تحرك في الشخص نخوته، وشيمته، ومروءته.

❁ ومـن المـداراة أن تسـعى بالصلح بين اثنـين، فتنمي مـا قاله كلُّ واحـدٍ منهما في صاحبه من خير، وتغض الطرف عما قالاه في بعض من سوء.

❁ ومـن المـداراة أن تعمـد إلى إلقـاء النصيحـة عـلى قـوم حـادوا عـن الرشـد، أو وقعـوا في مخالفـة ما، فلا تسـتهلَّ حديثـك بمواجهتهم بـما يكرهون؛ خشـية نفورهم أو إعراضهم.

وإنـما تبتدئ بـما يخف على المخاطبين سـماعُه من المعاني الحائمة حـول الغرض، ثم تعبر عن المعنى المراد بلفظ مجمل، ثم تدنو من إيضاحه شيئًا فشيئًا؛ حتى لا تفصحَ عنه إلا وقد أَلِفَتْه نفوسُـهم، وهدأت إليه خواطرهم؛ فذلك التدرج من حسـن السياسة، وجميل المداراة.

❁ ومـن المداراة أن تُعَرِّض بالشيء وأنـت تريد غيره، من باب قول العرب في المثل المشهور: «إياكِ أعني واسمعي يا جارة»[(١)].

---

(١) «الأمثال» لأبي عبيد ص: [٦٥].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

مثال ذلك أن تتعمد رجلًا بالنصيحة، فتخشى باردة غضبه، إن أنت كاشفته بخطئه، فتسلك في نصحه سبلًا أخرى، دون أن تثير غضبه، أو تمس كبرياءه، أو أن تخجله لكونك اطلعت على خطئه.

فبدلًا من مواجهته مباشرة بإمكانك أن تداريه، وتوصل له ما تريد بعدة طرق لا يشعر معها أنك تريد نصحه.

❁ **منها**: أن تذكر له حالة أخرى مشابهة لحالته، وقد حدثت لشخص آخر وقع فيما وقع به صاحبك من خطأ، ثم تَخَلُص من ذلك إلى ذم ذلك الخطأ، وتقبيحه، والتنفير منه، والتحذير من الوقوع فيه.

❁ **ومنها**: أن تستحثه على نصح فلان من الناس؛ وقع في ذلك الخطأ، ثم تبين له وجه ذلك الخطأ وسبل علاجه.

❁ **ومنها**: أن تستشيره في علاج ذلك الخطأ؛ لِفُشُوِّه في الناس، ثم تنفذ من خلال ذلك إلى بيان خطئه، وإشعاره بخطره وضرره.

أو نحو ذلك من الطرق المناسبة، التي لا تريد من خلالها سوى لفت نظر صاحبك، وإشعاره بخطئه من طرف خفي.

❁ ومن المداراة أن تعرف أن أناسًا بأعيانهم قد وقعوا في مخالفة ما، فترغب أن ترشدهم إلى الصواب، وتلفت أنظارهم إلى ما هم فيه من الخطأ، فتتحامى ذكر أسمائهم بأعيانهم؛ خشية نفورهم وإعراضهم، فتلجأ إلى التعريض بهم من باب «ما بال أقوام».

فتشير إلى أن هناك ملاحظةً حول أمر ما، وهي كذا وكذا، أو تقول: إن أناسًا يعملون كذا وكذا وهم مجانبون للصواب في عملهم هذا.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويومئ إلى هذا الأسلوب ما كان يفعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما يبلغه من بعض أصحابه أنهم وقعوا في خطأ، فيسلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أحيانًا هذه الطريقة في علاج الخطأ.

جاء في صحيح البخاري أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة**»[(١)].

وقال: «**ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله**»[(٢)].

وقال: «**ما بال دعوى أهل الجاهلية**»[(٣)].

وقال: «**ما بال العامل نبعثه، فيأتي فيقول هذا لك وهذا ...**»[(٤)].

❁ ومن المداراة استعمال المعاريض إذا دعت الحاجة، واقتضت الحكمة؛ فقد يلاقي الإنسان حالًا ترغمه على أن ينطق بما يكره، ويسلك في القول ما لم يألف.

فلو عَرَضَتْ على وجه الندرة حال يكون حديث الرجل فيها على نحو ما يعلم جالبًا عليه أو على غيره ضررًا فاحشًا - لوجد في نظام الأخلاق مرونةً تسمح له أن يصوغ حديثه في أسلوب لا يجلب ضررًا.

فإذا وقع الإنسان في حال لا يليق معها التصريح بأمر واقع، ولم يكن بد من أن يقول في شأنه شيئًا - فها هنا يفسح له أن يأخذ بالمعاريض.

وهي ألفاظ محتملة لمعنيين؛ يفهم السامع منها معنى، ويريد المتكلم منها معنى آخر.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٤٧٥].
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٧٥].
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٤٣٢].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٤٣٧٤].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن شئت فقل: هي ألفاظ ذات وجهين:

أحدهما- غير حقيقة، وهو ما يسبق إلى فهم المخاطب.

وثانيهما- حقيقة، وهو ما يقصده المتكلم.

وهذا ما يفعله الذين أشربوا صدق اللهجة، متى عرفوا أن في القول الصريح حرجًا أو خطرًا.

❁ ومن المداراة أن يوجه الداعي أو الناصح الإنكار إلى نفسه وهو يعني السامع.

قال تَعَالَىٰ فيما يقصه عن مؤمن آل ياسين حين أراد دعوة قومه إلى عبادة الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢].

فإنه أراد تقريع المخاطبين؛ إذ أعرضوا عن عبادة خالقهم، وعكفوا على عبادة ما لا يغني عنهم شيئًا، فأورد الكلام في صورة الإنكار على نفسه؛ تلطفًا في الخطاب، وإظهارًا لإخلاصه في النصيحة؛ حيث اختار لهم ما يختاره لنفسه.

وبالجملة فالمداراة خصلة كريمة، يحكمها الأذكياء، ولا يتعدى حدودها الفضلاء؛ فالنفوس المطبوعة على المداراة نفوس أدركت أن الناس خلقوا ليكونوا في الائتلاف كالجسد الواحد، وشأن الأعضاء السليمة أن تكون ملتئمة على قدر ما فيها من حياة، ولا تنكر عضوًا رُكِّب معها في جسد إلا أن يصاب بعلة يعجز الأطباء أن يصفوا له بَعْدُ دواءً.




شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معالم المداهنة

وبعد أن اتضحت بعض معالم المداراة يحسن أن توضح بعض معالم المداهنة؛ لأن الأشياء إنما تتميز بضدها، فإليك أيها القارئ بعض تلك المعالم.

❁ المداهنة هي إظهار الرضا بما يصدر من الظالم أو الفاسق من قول باطل، أو عمل مكروهٍ، فهي بلادة في النفس، واستكانة للهوى، وقبول ما لا يرضى به ذو دين، أو عقل، أو مروءة.

وأصل المداهنة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء، ويستر باطنه.

❁ المداهنة خلق قذر، لا ينحط فيه إلَّا مَنْ قَلَّ في العلم وزنُه، أو من نشأ نشأةَ صغار ومهانةٍ.

❁ تضم المداهنة بين جناحيها الكذب، وإخلاف الوعد.

أما الكذب فلأن المداهن يصف الرجل بغير ما يعرفه منه، ومن دخل الكذب من باب سهل عليه أن يأتيه من أبواب متفرقة.

وأما إخلاف الوعد فلأن المداهن يقصد إلى إرضاء صاحبه في الحال، فلا يبالي أن يعده بشيء وهو عازم على أن لا يصدق في وعده.

ليس من الصعب على المداهن وقد مرد على الكذب أن يخلف الوعد، ويختلق لإخلافه عذرًا، وهذا الاختلاف لا يرتكبه الراسخ في كرم وإن كلفه الوفاء بالوعد أمرًا جللًا.

قال المثقب العبدي:

حسنٌ قول نعم من بعد لا وقبيحٌ قول لا بعد نعم



شبكة الألوكة - قسم الكتب

إن لا بعد نعم فاحشة ... فبـ «لا» فابدأ إذا خفت الندم
وإذا قلت نعم فاصبر لها ... بنجاح القول إن الخلف ذم
واعلم أن الذم نقص للفتى ... ومتى لا يَتَّقِ الذمَّ يذم[(١)]

❁ المداهن لا يتريث في أن يعد؛ لأنه لا يتألم من أن يخلف، ولا يصعب عليه أن يصور من غير الواقع عذرًا.

أما الراسخ في الفضل فلا يَعِدُ إلا عند العزم على أن يصدق فيما وعد، فإن وقف أمامه عائق كشف لك عن وجهه الحق، فإذا لم يساعده الحال على إنجاز الوعد لم يَفُتْهُ الصدق فيما يلقيه إليك من عذر.

❁ من المداهنة أن تثني على الرجل في وجهه، فإذا انصرفت عنه أطلقت لسانك في ذمه.

❁ من المداهنة أن يدخل الرجل على من يضطره الحال إلى الثناء عليه مع استغنائه عن الدخول عليه، ثم يبدأ بالثناء عليه وإطرائه.

أما إذا اضطر إلى الدخول على ذي قوة لا يخلص من بأسه إلا أن يسمعه شيئًا من الإِطراء - فهو في سعة أن يطريه بمقدار ما يخلص من بأسه، ولا تُلْحِقُه هذه الحالُة بزمرة المداهنين.

❁ من المداهنة - بل من أسوأ المداهنة - أن يلاقي المداهن الرجلين بينهما عداوة، فيغري بعضهما ببعض، ويظهر لكل واحد منهما الرضا عن معاداته لصاحبه، ويوافقه على دعوى أنه المحق، وأن صاحبه المبطل.

❁ من المداهنة أن يجعل المداهن لسانه طوع بغية الوجيه:

---

(١) المفضليات للمفضل الضبي تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ص: [٢٩٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فتراه يسبق هوى الوجيه، ويعجل إلى قول ما يشتهيه الوجيه، فيمدح ما يراه الوجيه حسنًا، ويذم ما يراه الوجيه سيئًا، بغض النظر عن قناعة هذا المداهن من عدمها.

قال شوقي في إحدى حكاياته الشعرية قصيدة عنوانها «نديم الباذنجان» قال فيها:

كان لسلطانٍ نديمٌ وافِ ... يُعيد ما قال بلا اختلاف
وقد يزيد في الثنا عليه ... إذا رأى شيْئًا حلا لديه
وكان مولاه يرى ويعلمُ ... ويسمع التَمْليقَ لكن يكتم
فجلسا يومًا على الخِوَان[1] ... وجيء في الأكل بباذنجان
فأكل السلطانُ منه ما أكل ... فقال: هذا في المذاق كالعسل
قال النديم: صدق السلطانُ ... لا يستوي شَهْدٌ[2] وباذنجان
هذا الذي غنى به الرئيس[3] ... وقال فيه الشعر جالينوسُ
يذهب ألف عِلَّةٍ وعِلَّهْ ... ويبرد الصدر ويشفي الغُلَّهْ
قال[4]: ولكن عنده مرارهْ ... وما حمدت مرة آثاره
قال: نعم مرٌ وهذا عيبه ... مذ كنتُ يا مولاي لا أحبه
هذا الذي مات به بُقْراطُ ... وسُمَّ في الكأس به سقراط
فالتفت السلطان فيمن حوله ... وقال: كيف تجدون قوله
قال النديم: يا مليكَ الناسِ ... عذرًا فما في فعلتي من باس
جعلت كي أنادم السلطانا ... ولم أنادم قط باذنجانا[5]

---

(١) **الخوان**: المأدبة.
(٢) **الشهد**: العسل.
(٣) **الرئيس**: ابن سينا.
(٤) يعني: السلطان.
(٥) «الشوقيات» (٤/ ١٢١).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذه هي حال أهل المداهنة، يراوغون، ويخاتلون، ويخادعون ويكذبون، ويسترون وجه الحقيقة الأبلج، ولا يبالون بما يترتب على ذلك من عواقب.

أما الذين يعرفون ما في المداهنة من شر، ويحزنهم أن يظهر الشر على من في استطاعته الخير - فيربأون بألسنتهم أن تساير في غير حق، ويؤثرون نصح الوجيه على أن يزينوا له ما ليس بزين؛ لعلمهم بأن المداهنة خيانة، وتفريط في أداء الأمانة، وأنها ضرر محض على أصحابها، وعلى من يسايرونه في باطله.

ثم إن الوجيه الحازم يكره المداهنة، ويملأ عينيه باحترام من يوقظه لوجه الخير إذا كان في غفلة منه، ولوجه الشر إذا اشتبه عليه.

كذلك من عظماء الرجال من يبغض المداهنة، ولا يقبل من جليسه مبالغة في مدح، أو مسايرة في باطل.

والأجلاء من علماء الدين، الذين كانوا يداخلون رجال السياسة، فينعقد بينهم التئام أو صداقة - كانوا يأخذون بسنة المداراة، ولم يكونوا فيما نقرأ عنهم يتلطخون برجس المداهنة.

وما شاعت المداهنة في جماعة إلا تَقَلَّصَت الكرامة في ديارهم، وكانت الاستكانة شعارهم ودثارهم.

ومن ضاعت كرامتهم، وداخلت الاستكانة نفوسهم - جالت أيدي البغاة في حقوقهم، وكان الموت أقرب إليهم من حبال أوردتهم.



الصدق

الصدق: هو منزلُ القوم الأعظم، الذي منه تنشأُ جميع منازل السالكين. والطريق الأقوم الذي مَن لم يَسِرْ عليه فهو من المنقطعين الهالكين. وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسُكان الجنان من أهل النيران. وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلًا إلا أرداه وصرعه، من صال به لم تُردَّ صولتُه، ومن نطق به علت على الخصوم كلمتُه، فهو روح الأعمال، ومحكُ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال. وهوأساس بناء الدين، وعمود فسطاطِ اليقين، ودرجته تاليةٌ لدرجة «النبوة» التي هي أرفع العالمين. ومن مساكنهم في الجنات: تجرى العيون والأنهار إلى مساكن الصِّدِّيقين. كما كان من قلوبهم إلى قلوبهم في هذه الدار مددٌ متصلٌ ومعين.

فضائل الصدق:

قد أمر الله عَزَّوَجَلَّ أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين، وخص المُنعم عليهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين؛ فقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التَّوبَة: ١١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النِّسَاء: ٦٩].

ولا يزال الله يُمِدُّهم بأنعُمِه وألطافه إحسانًا منه وتوفيقًا. ولهم مرتبةُ المعية مع الله؛ فإن الله مع الصادقين. ولهم منزلةُ القرب منه؛ إذ درجتهم منه ثاني درجة النبيين.

وأخبر تَعَالَىٰ أن من صدقه فهو خير له؛ فقال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٢١].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأخبر تَعَالَىٰ عن أهل البرّ، وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم - من الإيمان والإسلام، والصدقة، والصبر - بأنهم أهل الصدق، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾

[البَقَرَة: ١٧٧]

وهـذا صريح في أن «الصدق» بالأعمال الظاهرة والباطنة، وأن «الصدق» هو مقام الإسلام والإيمان.

وقسـم الله عَزَّوَجَلَّ الناس إلى صـادق ومنافق؛ فقـال سُبْحَانَهُ: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزَاب: ٢٤].

والإيـمان أساسُـه الصدق، والنفاقُ أساسُـه الكـذب، فلا يجتمع كـذبٌ وإيمان إلا وأحدُهما محارِبٌ للآخر.

وأخـبر سـبحانه أنـه في يـوم القيامـة لا ينفع العبـد ويُنجيه مـن عذابـه إلا صدقُه؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المَائِدَة: ١١٩].

وقد أمر الله رسـوله أن يسـأله أن يجعل مُدخله ومُخرجه عـلى الصدق؛ فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾

[الإسرَاء: ٨٠]

وأخبر عن خليله إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سأله أن يهَب له لسان صدقٍ في الآخرين، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٤]. وبشر عباده بأن لهم قدم صدق، ومقعد صدق؛ فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يُونُس: ٢].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net


وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

[القمر: ٥٤ – ٥٥]

وحقيقةُ الصدق في هذه الأشياء: هو الحقُ الثابت المتصل بالله، والموصل إلى الله. وهو ما كان به وله؛ من الأقوال والأعمال، وجزاءُ ذلك في الدنيا وفي الآخرة.

فمُدخل الصدق، ومُخرج الصدق أن يكون دخولُه وخروجُه حقًا ثابتًا بالله، وفي مرضاته. كمُخرجه ﷺ هو وأصحابه يوم بدر، وكذلك مُدخلُه ﷺ المدينة كان مُدخل صدقٍ بالله ولله، وابتغاء مرضاة الله، فاتصل به التأييدُ والظفرُ والنصر، وإدراكُ ما طلبه في الدنيا والآخرة.

فكلُ مُدخلٍ ومُخرجٍ كان بالله ولله، فصاحبُهُ ضامنٌ من على الله، فهو مُخرجُ صدقٍ ومُدخَلُ صدق.

وكان بعضُ السلف إذا خرج من داره رفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أخرج مخرجًا لا أكون فيه ضامنًا عليك».

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصُدقُ حتى يُكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا**»(١).

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٦٠٩٤]، ومسلم [٢٦٠٧].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: حفظت من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دع ما يريبُك**(١) **إلى ما لا يريبُك، فإن الصدق طُمأنينةٌ، والكذب ريبةٌ**»(٢).

وعن أبي ثابت، وقيل: أبي سعيد، وقيل أبي الوليد، سهل بن حنيف وهو بدريٌّ(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغهُ منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»(٤).

وعن أبي سفيان صخر بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل في قصة هرقل، وقال هِرقلُ: فماذا يأمُرُكُم - يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال أبو سفيان: قُلتُ: يقول: «اعبُدُوا الله وحدهُ لا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقُولُ آباؤكُمُ، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف، والصلة»(٥).

وعن أبي خالد حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بُورك لهما، وإن كتما وكذبا مُحقت بركة بيعهما**»(٦).

---

(١) **ما يريبك**: اترك ما تشك في حِلِّهِ واعدل إلى ما لا تشُكُ فيه.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٥١٨]، والنسائي [٥٢٢٠]، وصححه الشيخ الألباني في «الظلال» برقم [١٧٩].

(٣) **بدريٌّ**: شهد غزوة بدر، والمشاهد كلها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٤) **صحيح**: رواه مسلم [١٩٠٩]، وفي الحديث: أن صدق القلب سبب لبلوغ الأرب، وأن من نوى شيئًا من عمل البر أثيب عليه وإن لم يتفق له عمله. دليل الفالحين (١/ ٢٥٨).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٧]، ومسلم [١٧٧٣]، **والعفاف**: الكف عن المحارم وخوارم المروءة. **والصلة**: صلة الأرحام. «دليل الفالحين» (١/ ٢٥٧).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري [٢٠٧٩]، ومسلم [١٥٣٢].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عبد الله بن مسعود: «إن الرجل ليصدُقُ حتى يُكتب عند الله صديقًا، ويتحرى الصدق حتى ما يكون للفجور في قلبه موضعُ إبرةٍ يستقر فيه. وإن الرجل ليكذبُ ويتحرى الكذب حتى ما يكون للبرِ في قلبه موضعُ إبرةٍ يستقرُّ فيه».

وقال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عليكم بالصدق؛ فإنه مع البرِ وهما في الجنة».

وقال إبراهيم الخواص: «الصادق لا تراه إلا في فرضٍ يؤدِّيه، أو فضلٍ يعملُ فيه».

وقال يوسف بن أسباط: «لأن أبيت ليلة أعاملُ الله بصدق، أحبُّ إليَّ من أن أضرب بسيفي في سبيل الله».

وقال الحارث المُحاسبي: «الصادق هو الذي لا يُبالي لو خرج كلُّ قدرٍ له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يُحبُ اطلاع الناس على مثاقيل الذَّرِّ من حُسْن عمله».

وقال سهلُ بنُ عبد الله: «أولُ خيانةِ الصديقين: حديثُهم مع أنفسهم».

وقال أبو قراب النخشبي: «إذا صدق العبدُ في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت عمله. كأنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وجد ريح الجنة قبل أن يقاتل».

وقال محمد بن سعيد المروزي: «إذا طلبت الله بالصدق، آتاك الله تَعَالَىٰ مِرآة بيدك، تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة».

وقال محمد بن كعب: «إنما يكذبُ الكاذبُ من مهانِه نفسِه عليه».

وقال الجُنيد: «الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة، والمُرائي يَثبُت على حالةٍ واحدة أربعين سنة».




www.alukah.net

وقال بعضهم: «من لم يُؤدِّ الفرض الدائم، لم يُقبل منه الفرض المؤقت. قيل: وما الفرض الدائم؛ قال: الصدق».

وقيل: «من طلب الله بالصدق، أعطاه الله مِرآة يُبصر فيها الحق والباطل.

وقيل: «ثلاث لا تُخطئ الصادق: الحلاوة، والملاحةُ والهيبة».




شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

درجات الصدق

الصدق في القول:

قال الجُنيد: «**حقيقة الصدق:** أن تصدق في موطنٍ لايُنجيك منه إلا الكذب».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يصلحُ الكذب في هزلٍ ولا جد، ولا أن يَعِدَ أحدُكم حبيبه شيئًا ثم لا ينجزه به».

وقال إسماعيل بن عُبيد الله المخزومي: «أمرني عبدُ الملك بنُ مراوان أن أُعلم بنيه الصدق كما أعلِّمهم القرآن، وأن أجنِّبهم الكذب وإن كان فيه القتل».

كلَّم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيءٍ، فقال له: «كذبت. فقال عمر: ما كذبتُ مذ علمت أن الكذب يُشين صاحبه».

وقال مطرفُ: «ما أُحبُّ أني كذبتُ وأن لِي الدنيا وما فيها».

وقال إياس بن معاوية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما يسرني أني كذبتُ كذبةً فغفرها الله عَزَّوَجَلَّ لي وأُعطي عليها عشرة آلاف درهم، ويعلمُ بها أبي - معاويةُ بنُ قرَّة -» يعني إجلالًا لأبيه لا يطلع عليه.

وقال الفضيل بن عياض: «ما من مُضغةٍ أحبُ إلى الله من لسان صدوق، وما من مضغةٍ أبغض إلى الله من لسان كذوب».

وقال أبو سليمان: «اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله تَعَالَىٰ غاية طِلبتك».

وقال: «من كان الصدقُ وسيلته، كان الرضا من الله جائزته».

وقال ذو النون المصرى: «الصدقُ سيفُ الله في أرضه، ما وضع على شيء إلا قطعه».



الصدق في النية والإرادة:

وذلك يرجع إلى الإخلاص، وهو أن يكون لا باعث له في الحركات والسكنات إلا الله تعالى، إن مازجه شوبٌ من حظوظ النفس بطل صدق النية، وصاحِبُه يجوز أن يُسمى كاذبًا. ففي الحديث: «**أول من تُسعر بهم النار**»: كذبت بل أردت أن يُقال: فلان عالم»[(١)].

فإنه لم يُكذِّ به ولم يقل له: «لم تعمل» ولكن كذَّبه في إرادته ونيته، قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧].

فمن شهد في إخلاصه الإخلاص، احتاج إخلاصُه إلى إخلاص.

الصدقُ في العَزم:

فإن الإنسان قد يقدِّم العزم على العمل، فيقول مثلًا في نفسه: «إن رزقني الله مالًا تصدقتُ بجميعه». وهذه العزيمة قد يصادفُها من نفسه، وهي عزيمةٌ جازمةٌ صادقة، وقد يكون في عزمه نوعُ ميل وتردُّد وضعف يُضادُّ الصدق في العزيمة.

والصادق في عزمه: هو الذي تُصادف عزيمتُه في الخيرات كُلها قوة تامة ليس فيها ميلٌ ولا ضعفٌ ولا تردُدٌ، بل تسخُو نفسه أبدًا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات، وهو كما قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «لأن أقدم فتَضرب عُنقى، أحبُّ إليَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ».

ومراتب الصِّدِّيقين في العزائم تختلف؛ فقد يصادف العزمَ، ولا ينتهي به إلا أن يرضى بالقتل فيه، ولكن إذا خُلي ورأيه لم يُقدمْ، ولو ذُكر له حديثُ القتل لم ينقض عزمه، بل في الصادقين والمؤمنين من لو خُير بين أن يُقتل هو أو أبو بكر، كانت حياته أحبَّ إليه من حياة أبي بكر الصديق.

(١) **صحيح**: رواه مسلم [١٤٧٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصدقُ في الوفاء بالعزم:

فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحالِ؛ إذ لا مشقة في الوعد والعزم، فإذا حُقت الحقائق، وما جت الشهوات، وانجلت العزيمة لم يتحقق الوفاء بالعزم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال عمى أنسُ بن النضر - سُميتُ به -، ولم يشهد «بدرًا» مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكَبُر عليه، فقال: أولُ مشهدٍ قد شهده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غبتُ عنه! أما والله لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما بعد لَيَرينَّ الله ما أصنع.. قال: فهاب أن يقول غيرها..فَشَهِدَ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم «أُحُد» من العام القابل، فاستقبله سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أبا عمرو، إلى أين؟ قال: واهاً لريح الجنة أجدُها دون أُحُد..فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضعٌ وثمانون ما بين ضربةٍ وطعنةٍ ورميةٍ، فقالت عمتى الرُّبِّيعُ بنت النَّضر فما عرفت أخى إلا ببنانهِ.. ونزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣][(١)].

لله درُّه من صادق رباني!! يجد حلاوة العمل قبل الشروع فيه، يجد ريح الجنة قبل أن يقاتل! وما هذا إلا لصدقه في الوفاء والعزم.

الصدق في الأعمال:

مخالفةُ الظاهر للباطن عن قصدٍ هي الرياء، وإن كانت عن غير قصدٍ، يَفُوت بها الصدقُ؛ فقد يمشي الرجل على هيئةِ السكونِ والوقار وليس باطنهُ موصوفًا بذلك الوقار، فهذا غير صادق في عمله، وإن لم يكن مرائيًا.

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٨٠٥]، ومسلم [١٩٠٣]، والترمذي [٣٢٠١].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال يزيدُ بن الحارث: «إذا استوت سريرة العبد وعلانيتهُ فذلك النصفُ، وإذا كانت سريرتُه أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإذا كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور».

وقال عبد الواحد بن زيد: «كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمل الناس به، وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له، ولم أر أحدًا قطُّ أشبه سريرةً بعلانية منه».

وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول: «إلهي، عاملتُ الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة، وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة» ويبكي.

وقال أبو يعقوب النهرجوري: «الصدق موافقة الحقِّ في السر والعلانية».

الصدقُ في مقاماتِ الدين:

ومنها: الصدق في المحاسبة والمجاهدة والتوبة.

قال جعفر الصادق: الصدق هو المجاهدة، وأن لا تختار على الله غيره، كما لم يخير عليك غيرك؛ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

والصدق في التوبة يكون بالتوبة النصوح، لا يعودُ إلى الذنب مرةً ثانية حتى يعود اللبن في الضَّرْع.

الصدق في التوكل:

أن يَردَ عليك موارد الفاقات، فلا تسمو إلا إلى من إليه الكفايات، والاستسلام لتدبير الربِّ لك فيما يفعله بك، لا فيما أمرك بفعله، وأن تُنزل أمورك كلَّها بالله طلبًا واختيارًا، لا تحرجًا واضطرارًا.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن رجلًا من بني إسـرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسـلِفَه ألف دينار، فقال: ائتني بالشـهداء أُشـهدهم. فقال: كفى بالله شـهيدًا. قـال: فأتنـي بالكفيل. قال كفى بالله كفيلًا. قال: صدقـت: فدفعها إليه إلى أجل مسـمًّى، فخـرج في البحر فقضـي حاجته، ثم التمس مركبًـا يركبها يَقدُمُ عليها للأجل الذي أجَّله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبةً، فنقرها، فأدخل فيها ألفَ دينار، وصحيفـةً منـه إلى صاحبه، ثم زجَّ[(١)] موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: «اللهم إنك تعلمُ أني تسـلَّفتُ فلانًا ألف دينار، فسـألني كفيلًا فقلتُ: كفى بالله كفيلًا، وسـألني شـهيدًا فقلت: كفى بالله شـهيدًا. فرضى بك، وإني جهدتُ أن أجد مركبًا أبعـث إليه الـذي له فلم أجد، وإني أسـتودعُكها». فرمى بها البحـر، حتى ولجت[(٢)] فيه، ثم انصرف، فخرج الرجلُ الذي كان أسـلفه، ينظر لعلَّه يجد مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حَطبًا، فلمَّا نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدِم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، وقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركبٍ لآتيك بمالك، فما وجدتُ مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه. قال: كنت بعثت إليَّ شيئًا؛ قال: أُخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئتُ فيه. قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة. فانصرِف بالألفِ دينار راشدًا**»[(٣)].



(١) **زجَّ**: أي سوّى موضع النقر وأصلحه.

(٢) **ولجت**: دخلت.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٣١٤٣]، وأحمد (٢/ ٣٤٨).



www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأدب

الأدب: عنوان سعادة الإنسان وفلاحه، فما استُجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب. والأدب إن تطّمعت به نجع، وإن تعطَّرت به سطع، وإن ارتديت به نفع. وأن من اكتسب أدبًا اكتسب نسبًا، وأن الأدب سبب لمُلْكِ الأرب، ولقطات الأدب قرضات الذهب.

قال عبد الله بن المبارك: «من تهاون بالأدب عُوقب بحرمان السُنن، ومن تهاون بالسُنن عُوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عُوقب بحرمان المعرفة»[١].

وقال الهروى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأدب حفظُ الحدِّ بين الغلوِّ والجفاء بمعرفة ضرر العدوان».

وقال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الأدب في العمل علامةُ قبول العمل»[٢].

وقال يحيى بن مُعاذ: «من تأدب بأدب الله صار من أهل محبة الله»[٣].

وقال عبد الله بن المبارك: «نحن إلى قليل من الأدب أحوجُ منا إلى كثير من العلم»[٤].

أنواع الأدب:

- الأدب مع الله.
- الأدب مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- الأدب مع الخلق.
- الأدب مع النفس.

---

(١) «شرح الأدب المفرد» (٢/ ٣٩٧) للإمام البخاري، ط: دار الصفوة.

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩٧) لابن القيم، ط: دار الأدب العربي.

(٣) «شرح الأدب المفرد» (٢/ ٣٩٢) تحقيق: الشيخ الألباني، ط: دار ابن حزم.

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٩٢).


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولًا- الأدب مع الله:

والأدب مع الله ثلاثة أنواع:

أحدها- صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة.

ثانيها- صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره.

ثالثها- صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

وعن معاذٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أوصاني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعشر كلمات. قال: «**لاتَشرك بالله شيئًا وإن قُتِلت وحُرِقت، ولا تعُقن والديك وإن أمراك أن تخرُج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة مُتعمدًا؛ فإن من ترك صلاة مكتوبة مُتعمدًا فقد برئت منه ذمةُ الله، ولا تشربن خمرًا، فإنه رأس كل فاحشةٍ، وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حلَّ سخط الله** عَزَّوَجَلَّ**، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناسُ. وإن أصاب الناس مُوتانٌ وأنت فيهم فاثبت، وأنفق على عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبًا، وأخِفهُم في الله**»[١].

قال عبد الله المبارك: «الأدبُ للعارف كالتوبة للمستأنف».

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٥/ ٢٣٨)، واللفظ له، والهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢١٥)، والمنذري في «الترغيب» (١/ ٣٨٣)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٥٧٣] من حديث أبي الدرداء.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال يحيى بن مُعاذ: «من تأدب مع الله، صار من أهل محبة الله».

وقال أبو علي الدقاق: «العبد يصل بطاعة الله إلى الجنة، ويصل بأدبه في طاعته إلى الله».

وقال سهل: «القوم استعانوا بالله على مراد الله، وصبروا لله على آداب الله».

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أنفع الأدب، فقال: «التفقُّه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بما لله عليك».

الأنبياء أكملُ الناس أدبًا مع الله:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتأمل أحوال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مع الله وخطابهم وسؤالهم، كيف تجدها كلها مشحونة بالأدب قائمة به».

قال آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ولم يقل: رب قدرت عليَّ، وقضيت علي.

وقال الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** ﴾ [الشعراء: ٧٨ - ٨٠]. ولم يقل: «وإذا أمرضني»؛ حفظًا للأدب مع الله.

وقال أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ **مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. ولم يقل: «فعافني واشفني».

وقال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **لأبيه وإخوته:** ﴿ **هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ** ﴾ [يوسف: ١٠٠]. **ولم يقل:** «أخرجني من الجُب» حفظًا للأدب مع إخوته، وتفتيًا عليهم ألا يخجلهم بما جرى في الجب.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]. **ولم يقل:** «أطعمني».

وقال الخضر في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]. **ولم يقل:** «فأراد رُبك أن يُعيبها».

وأكمل الناس وأكمل الأنبياء أدبًا مع الله، هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ **في وصف أدب النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]

أفق وضيء طليق مرفرف، عاش فيه قلب رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبصره.. لحظات خُصَّ بها القلب المصفى، وأدب من بصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتجاوز رتبته وكله شوق، فأعطاه الله ما لم يعط أحدًا غيره.

قال ابن القيم: «إن هذا وصف لأدبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك المقام؛ إذ لم يلتفت جانبًا، ولا تجاوز ما رآه، وهذا كمال الأدب. والإخلال به أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلع أمام المنظور، فالالتفات زيغ، والتطلُّع إلى ما أمام المنظور: طغيان ومجاوزة؛ فكمالُ إقبال الناظر على المنظور: أن لا يصرف بصره عنه يمنة ولا يسرةً، ولا يتجاوزه».

وهذا معنى ما حصَّلْته عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي هذه الآية أسرار عجيبة، وهي من غوامض الآداب اللائقة بأكمل البشر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تواطأ هناك بصره وبصيرته، وتوافقا وتصادفا فيما شاهده بصرُه، فالبصيرة مواطئة له، وما شاهدته بصيرته فهو أيضًا حقٌّ مشهود بالبصر، فتواطأ في حقِّه مشهد البصر والبصيرة. ولهذا قال سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١١ - ١٢][1].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٨٢) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العربي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صور من الأدب مع الله:

قال أبو عُبيد القاسم بن سلام: «دخلتُ مكة، فكنتُ ربما أقعد بحذاء الكعبة، وربما كنتُ أستلقى وأمدُ رجلى فجاءتني عائشة المكية، فقالت لي: «يا أبا عُبيد، يُقال: إنك من أهل العلم؛ اقبل مني كلمة: لا تجالسه إلا بادب ، وإلا فيمحي اسُمك من ديوان القرب. قال أبو عبيد: وكانت من العارفات»(١).

ودخل عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل على أبيه، فرآه جالسًا في الغرفة وحده وقد انضبط في جلسته، فقال يا أبتاه لم تجلس هكذا؟ قال: تذكرت موقفي وحدي في قبري لا جليس معي، فقال عبد الله: ولم لا تجلس منبسطًا؟ فقال أما يقول الله: «أنا جليس من ذكرني» فهو معي(٢).

ثانيًا- الأدب مع رسول الله ﷺ:

فرأس الأدب مع رسول الله ﷺ: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، ومن الأدب مع رسول الله ﷺ أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف، حتى يأمر أو ينهي ويأذن؛ قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾ [الحجرات: ١]، وهذا باقٍ إلى يوم القيامة ولم يُنسخ، فالتقدم بين يدى سنته بعد وفاته: كالتقدُّم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم. ومن الأدب مع رسول الله ﷺ، أنهم إذا كانوا معه على أمرٍ جامع - من خطبة، أو جهاد أو رباط - لم يذهب أحدٌ منهم مذهبًا في حاجته حتى يستأذنه؛ كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ**﴾ [النور: ٦٢].

---

(١) «عوارف المعارف» ص: [١٩٨] للسهروري، ط: دار التوحيد.

(٢) المصدر السابق، ص: [١٩٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صور من أدب الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من أبرز المواقف في الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم وأمَّ أبو بكر الناس في الصلاة، فلما أحس بقدوم النبي صلى الله عليه وسلم ما استطاع أن يتقدم بين يديه أدبًا منه وقال: ما كان ينبغي لابن أبي قُحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فانظر إلى أدب الصديق كيف أورثه مقامه، والإمامة بعده فكان ذلك التأخر إلى خلفه – وقد أوْمأ إليه أن اثبت في مكانك – جمزًا، وسعيا إلى قدام.

مـن لـي بـمـثـلِ سـيـرك المُدلل — تـمـشي رُويـدًا وتـجـيء في الأَول

وذكر الذهبي أن عمر رضي الله عنه: «عمد إلى ميزاب للعباس على ممر الناس فقلعه، **فقال:** أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي وضعه في مكانه. فأقسم عمر: لتصعدن على ظهري ولتضعنَّه موضعه»[١].

نَسينا فـي وِدَادِكَ كُـلَّ غـالٍ — وأنْـت الْـيَـوْمَ أَغْـلَـى مَـا لَـدَيْـنَـا
نُـلامُ عَـلَـى مَـحَّـبـتِـكُـمْ وَيَـكْـفِـي — لَـنَـا شَـرَفٌ نُـلامُ وَمَـا عَـلَـيْـنَـا
تَـسَـلـى الـنَّـاسُ بـالـدُّنْـيَـا وإنَّـا — لَـعَـمْـرُ الله بَـعْـدَكَ مـا تَـسلَيْنَا

ثالثًا- الأدب مع الخلق:

إن العلاقة بين الأدب في التعامل مع الخلق وحُسن الخلق علاقةٌ واضحةٌ لا ريب فيها لأن حسن الخلق هو الجانب النفسي الذي تنتُج عنهُ الآداب الحميدة وأنواع السلوك المرضية، وحسن الخلق هو الذي يُشكل قواعد السلوك أو الأدب مع الخلق وقد كشف الصادق المصدوق الذي أُوتي جوامع الكلم القناع عن القاعدة الأساسية التي أسسها

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٥٠١) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

حُسن الخلق وتطبيقها سلوك الأدب مع الخلق عندما قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحب لنفسه**»(١).

والأدب مع الخلق يكون على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم، فلكل مرتبة أدب **فمع الوالدين**: أدب خاصٌ، **ومع العالم**: أدب آخر. **ومع السلطان**: أدب يليق به. **ومع الأقران**: أدب يليق بهم.

ومع الأجانب: أدب غير أدبه مع أصحابه وذوي أنسه. **ومع الضيف**: أدب غير أدبه مع أهل بيته. **ولكل حال أدب**: فللأكل آداب، وللشرب آداب، وللركوب آداب، وللدخول والخروج والسفر آداب، وللنوم آداب، وللبول آداب، وللكلام آداب، وللسكوت آداب، وللاستماع آداب.

أمثلة عطرة في الأدب مع الخلق:

حدث أبوبُردة بن أبي موسى الأشعري أن ابن عمر شهد رجلًا يمانيًا يطوف بالبيت، حمل أُمه وراء ظهره يقول:

إنــي لـهـا بـعـيُـرهـا الـمـذلَّـلْ إنْ أُذ عِـرتْ ركـابُـهـا لـم أُذْ عَـرْ

اللهُ ربــي ذو الــجـلالِ الأكـبـرْ

حـمـلْـتـهـا أكـثـر مَّـمـا حملتْ فـهـل تـرى جـازيْـتُـهـا يـا ابـنَ عمرْ

ثم قال: يا ابن عمر «أتراني جزيتُها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٧٥٣].

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» [١١] وابن المبارك في «البر والصله» (١/ ٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٤٥)، وصححه الشيخ الألباني في «شرح صحيح الأدب المفرد» (١/ ١١).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ وكان زينُ العابدين بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كثير البر بأمه، حتى قيل له: «إنك من أبر الناس بأُمك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة؛ فقال: أخاف أن تسبق يدى إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها»(١).

❁ وكان طلق بن حبيب من العباد والعلماء، وكان يُقبل رأس أمه، وكان لا يمشي فوق ظهر بيتٍ وهي تحته؛ إجلالًا لها(٢).

وعن حُبيب مولى العباس، قال: «رأيتُ عليًا يُقبل يد العباس ورجله ويقول: يا عم، ارض عني»(٣).

وعن أبي رُزيق قال: «قيل للعباس: أنت أكبر أو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: هو أكبر مني وأنا وُلدتُ قبله»(٤).

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أبو بكر سيدنا أعتق بلالًا سيدنا»(٥).

وقال يحيى بن سعيد: «ذكر عمر فضل أبي بكر، فجعل يصف مناقبه.. ثم قال: وهذا سيدنا بلال حسنةٌ من حسناته»(٦).

وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لم يلق أسامة قط إلا قال: «السلام عليك أيُها الأمير ورحمة الله. تُوفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنت عليَّ أمير»(٧).

---

(١) «بر الوالدين»، ص: [٧٨] للطرطوشي، ط: دار ابن الأثير.
(٢) المصدر السابق ص: [٧٨].
(٣) «سير علام النبلاء» (٢/ ٩٤) للذهبي، ط: مكتبه الصفا.
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٩٧) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.
(٥) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٥٩) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.
(٦) المصدر السابق (٢/ ٩٦).
(٧) «الطبقات» (٤/ ٢٠) لابن سعد، ط: دار التراث العربي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

شبكة الألوكة

قال سفيان بن عُيينة: «لما مات مسلم بن يسار، قال الحسن البصري: وا معلِّماه»[١].

وقال ابن جُريج: عن عطاء قال: «إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصِت له كأني لم أسمعه، وقد سمعتُه قبل أن يُولد»[٢].

رابعًا- الأدب مع النفس:

قال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم أن النفس مجبولة على شيم مُهملةٍ وأخلاقٍ مُرسلةٍ لا يستغنى محمُودُها عن التأديب، ولا يكتفي بالمروِيِّ منها عن التهذيب[٣].

ومن صور الأدب مع النفس:

❁ مُجانبةُ الكبر والإعجاب، وما ذلك إلا لأنهما يسلبان الفضائل، ويُكسبان الرذائل.

❁ **التحلي بُحسن الخُلُق**: ذلك أن الإنسان إذا حَسُنت أخلاقُهُ كثُر مُصافُوهُ وقل مُعادُوهُ، فتسهلت عليه الأُمُور الصعابُ ولانت لهُ القُلُوب الغِضابُ.

❁ **التحلي بـ «الحياء»**: الخيْرُ والشرُ معانٍ كامِنةٌ تُعرفُ بسمات دالةٍ. وسمةُ الخير: الدعة والحياءُ، وسمةُ الشر: القحةُ والبذاءُ. وكفى بالحياءِ خيرًا أن يكون على الخير دليلًا، وكفى بالقحة والبذاء شرًا أن يكونا إلى الشر سبيلًا.

❁ **التحلي بـ «الحلم»**: ذلك أن الحلم من أشرف الأخلاق، وأحقها بذوي الألباب، لما فيه من سلامةِ العِرضِ، وسلامة الجسد واجتلاب الحمد.

---

(١) «التاريخ» (١٦/ ٢٤٩) لابن عساكر، ط: الكتاب العربي.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٨٦) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.

(٣) «أدب الدنيا والدين» ص: [٢٢٦] للماوردي، ط: دار الكتب العلمية.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ **التحلي بصفة الصدق**: التحلي بصفة الصدق والتخلي عن الكذب.

❁ **التخلي عن الحسد**: ذلك أن الحسد خُلُقٌ ذميمٌ يُضرُ بالبدن، وفيه فسادٌ للدين ولو لم يكُن من ذم الحسد إلا أنه خُلُقٌ دنيء لكانت النزاهةُ عنهُ كرمًا والسلامة منه مغنمًا(١).

من فوائد الالتزام بالأدب:

إن الأدب هو الدين كُلُه، والالتزام بالأدب يُحقق فوائد عديدة للإنسان المسلم بل وللمجتمع كله. **ومن هذه الفوائد:**

❁ يُصفى سُلُوك الفرد مما يَشينه وينقصُهُ.

❁ يجعل الناس يتحلون بالمحامد والمكارم ويبتعدون عن النقائص.

❁ يُهذب الأخلاق ويُصلحُ العادات.

❁ الالتزام بالأدب مع الله يُحقق التقوى في قلب الإنسان.

❁ يُحقق الالتزام بالأدب قاعدة اجتماعية قوية.

❁ يحقق الالتزام بالأدب تحريًا للخير، ودعوة إلى القيم الرفيعة.

❁ يُحقق الالتزام بالأدب وحدة دائمة وانسجامًا في الإنسان وسلوكه الفردي.

❁ يُحقق الالتزام الوحدة في أدب التلقي والتعلم.

❁ يُحقق الالتزام بالأدب الإيجابية في الحياة، وإتاحة الفرصة للإبداع والابتكار والحيوية في السلوك(٢).



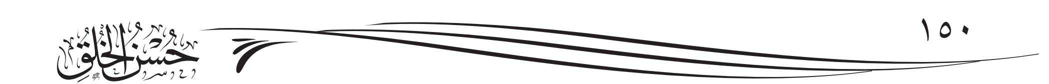
(١) «نضرة النعيم» (٢/ ١٥٣) إعداد مجموعة من المختصين تحت إشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حُميد، والشيخ عبد الرحمن بن مُلوح. باختصار، ط: مؤسسة الوسيلة.

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٧٠).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



الصبر

الصبر: هو حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، وقيل: وهو حبس النفس عن الجزع، **أي:** منعها من الاستسلام للجزع، كي لا يترتب عليه فعل ما لا ينبغي فعله، وحبس النفس عن الجزع يمنعها عن محارم الله، بأداء فرائض الله.

وقيل: هو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

وقيل: هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغني مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقيل: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الغني في البلوى بلا ظهور شكوى.

وقيل: هو تجرع المرارة من غير تعبس[١].

من معاني الصبر:

قال الفيروز آبادي: وربُما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه[٢].

- فإن كان حبسُ النفس لمُصيبة سُمى صبرًا.
- وإن كان في محاربة سُمى شجاعة.
- وإن كان في إمساك الكلام سُمى كتمانًا.
- وإن كان عن فضول عيش سُمى زُهدًا.

---

(١) «هؤلاء يحبهم الله» ص: (٦٥ – ٦٦) للمؤلف، ط: دار الكنوز، وط: دار أهل السُنة.

(٢) «بصائر ذوى التمييز» (٣/ ٣٨٣) لفيروز آبادي، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

❁ وإن كان عن شهوة الفرج سُمي عفة.

❁ وإن كان عن شهوة طعام سُمي شرف نفس.

❁ وإن كان عن إجابة داعي الغضب سُمي حِلمًا.

فضل الصبر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]

وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أوتملأ - ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة بُرهان، والصبر**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضياء، والقرآن حجة لك[(١)] **أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»**[(٢)].

وعن أبي يحيى صُهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[(٣)].

وعن أبي سعيد بن مالك سنان الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر»[(٤)].

أقسام الصبر:

ينقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام: الصبر على طاعة الله - والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة.

---

(١) **حُجة لك:** أي إذا امتثلت أوامره واجتنبت نواهية، وحجة عليك إن لم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهية. «دليل الفالحين» (١/ ١٧١)، وهذا ليس خاصًا بالقرآن بل يشتمل كل علوم الشريعة فما علمناه إما أن يكون حجة لنا وإما أن يكون حجة علينا، فإن عملنا به فهو حجة لنا وإن لم نعمل به فهو حجة علينا، وهو وبال أي إثم وعقوبة. انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام» (١/ ٤١).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم [٢٢٣].

(٣) **صحيح:** رواه مسلم [٢٩٩٩].

(٤) **صحيح:** رواه البخاري [١٤٦٩]، ومسلم [١٠٥٣]، وفي الحديث: الحث على التعفف والقناعة، والصبر على ضيق العيش وغيره من مكاره الدنيا. انظر: «شرح النووي على مسلم» (٤/ ١٤٥) للإمام النووي، ط: مكتبة الإيمان.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أولًا- الصبر على طاعة الله:

والصبر على طاعة الله يكون بالصبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها ويُداوم عليها، فأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، وكان النبي ﷺ إذا عمل عملًا أثبته أي: داوم عليه. فأداء الطاعات، والمسارعة في الخيرات، والنهوض إلى عمل القربات، يحتاج إلى جهاد نفس طويل: فالنهوض إلى الصلاة عند سماع النداء يحتاج إلى صبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى صبر، ومجاهدة الكافرين والمنافقين والشياطين يحتاج صبر، ومجاهدة النفس وحملها على الطاعة يحتاح صبر.

صبر النبي ﷺ على الطاعة:

كان رسول الله ﷺ أصبر الناس على طاعة الله، شأن النهم الذي لا يشبع من العبادة، وإليك طرفًا من صبر النبي ﷺ على طاعة الله.

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء، قيل: وما هممت به؛ قال: «هممت أن أجلس وأدعه»(١).

وقال عبد الله بن الشخير: دخلت على رسول الله ﷺ فوجدته يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء»(٢).

وَفِينَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ ما قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١١٣٥]، ومسلم [٧٧٣]، وأحمد [٣٧٦٦].

(٢) **حسن**: رواه أبو داود [٩٠٤]، والنسائي [١٢١٤]، وحسنه العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند برقم [٢١٧٢٣]، **والمرجل**: هو القدر إذا استجمع غليانًا.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان يصوم حتى نقول: قد صام، ويُفطر حتى نقول: قد أفطر، ولم أره صام شهرًا قط أكثر من صيامه من شعبان»(١).

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد رأيتنا ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره في اليوم الحار، الشديد الحر، وإن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما في القوم أحد صائم إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعبد الله بن رواحة»(٢).

يصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيواصل الليل بالنهار ثلاثة أيام وأربعة لا يأكل شيئًا، فيرُيد الصحابة أن يواصلوا كما يواصل، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني لست كهيئتكم، إني أبيت يُطعمني ربي ويسقيني**»(٣) يُفيض الله عليه من الحكم والمعارف والفتوحات والإلهامات ما يسد مسد الطعام والشراب، فيُعطيه قوة الآكل والشارب، فيقوى على العبادة من غير ضعف في القوة، ولا كلال في الإحساس.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله تَعَالَى على كل أحيانه»(٤).

يُـرَادُ مِـنَ الـقَـلْـبِ نِـسْـيَـانُـكُـمْ وَتَـأْبَـى الـطِّـبَـاعُ عَـلَـى الـنَّـاقِـلِ

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس(٥).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [١١٦٠]، وأبو داود [٢١١٧]، والترمذي [٧٦٣] وابن ماجه [١٧٠٩].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٠٨] وابن ماجه [١٦٦٢].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [١٩٦٤]، مسلم [١١٠٥]، وأبو داود [٢٣٦٠]، والترمذي [٧٧٨]، وأحمد [٦١٢٥].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم [١٦٩]، وأبو داود [١٥]، وأحمد [٢٦٢٥٤].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٥٠٤٨]، ومسلم [٧٩٣].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما سُئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء قط فقال: لا[(١)].

مَا قَالَ: لا، إلاَّ فِي تَشَهُّدِهِ   لَوْلا التَّشَهُّدُ كَانَتْ لاؤه نَعَمُ

وعن أبي موسى بن أنس عن أبيه قال: «ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا إلا أعطاه، **قال**: فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا. فإن محمدًا يُعطي عطاء من لا يخشى الفاقة»[(٢)].

صور عظيمة من صور الصبر على الطاعة:

قال الذهبي: قال نافع: كان ابن عمر يُحيى ما بين الظهر إلى العصر[(٣)].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتينِ، فقال: «ما هذا؟»، فقالوا: هذا حبل لزينب، تطرد عن نفسها النعاس، فقال: «حُلُّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد»[(٤)].

وقال عروة: «كانت عائشة تسرد الصوم»[(٥)].

وقال حماد بن زيد: «كان سعيد بن المسيب يسرد الصوم»[(٦)].

وقال عكرمة: «كان أبو هريرة يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، يقول: أسبح بقدر ديتي»[(٧)].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠٣٣]، ومسلم [٢٣٠٧].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣١٢].

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٣٥) للإمام الذهبي، ط: دار الصفا.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [١١٥٠]، ومسلم [٧٨٤].

(٥) «حُسن الأُسوة» (١/ ٣٣١) لصديق حسن خان، ط: دار ابن خزيمة.

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٢) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.

(٧) المصدر السابق (٣/ ٣٠٧).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال سلمة بن شبيب: «كان خالد بن معدان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وضع على سريره ليُغسل، فجعل بإصبعيه كذا يُحركها - يعني بالتسبيح»(١).

وقال الأوزاعي: «كان حسان بن عطية إذا صلى العصر يذكر الله تَعَالَىٰ في المسجد حتى تغيب الشمس»(٢).

تَارِيخُنَا مِن هَؤُلاءِ مِبْدَاهُ فَمَا عَدَاهُ فَلا ذِكْرٌ وَلا شَانُ

ثانيًا- الصبر عن معصية الله:

والصبر عن معصية الله إنما يكون بالصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، والصبر عن المعصية ينشأ من أسباب عديدة:

❁ **منها**: علمُ العبد بقُبحها ورذالتها ودناءتها، وأن الله حرمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل.

❁ **ومنها**: الحياء من الله سُبْحَانَهُ. فإن العبد متى علم بنظره إليه ومقامه عليه وأنه بمرأى منه ومسمع استحِي من ربه أن يتعرض لمساخطه.

❁ **ومنها**: مراعاة نعمه عليك وإحسانه إليك.

❁ **ومنها**: خوفُ الله وخشيته والخوف من عقابه: وهذا إنما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده والإيمان به وبكتابه وبرسوله ﷺ. وهذا السبب يُقَّوي بالعلم واليقين، ويضعف بضعفهما. قَالَ تَعَالَىٰ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

❁ **ومنها**: محبة الله سُبْحَانَهُ: وهي من أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه. فإن المحب لمن يحب مطيع.

---

(١) «حليه الأولياء» (٥/ ٢١٠) لأبي نُعيم، ط: مكتبة السعادة.

(٢) المصدر السابق (٦/ ٧٠).



www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ **ومنهـا**: شـرف النفس وزكاؤها وفضلهـا وأنفتها وحميتها أن تختار الأسـباب التي تحطها وتضع قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها، وتسوى بينها وبين السِّفلة.

❁ **ومنها**: قوة العلم بسـوء عاقبة المعصية، وقبح أثرها والضرر الناشـئ عنها من سـواد الوجه، وظلمـة القلب، ومرضه الذي اسـتحكم به الموت، فـإن الذنوب تُميت القلوب.

❁ **ومنها**: قصر الأمل، وعلمه بسـرعة انتقاله، وأنه كمسـافر دخل قرية وهو مُزمع الخروج منها[١]، أو كراكب قال[٢] في ظل شجرة ثم سار وتركها.

❁ **ومنها**:مجانية الفضول في مطعمه ومشـربه وملبسه ومنامه واجتماعه بالناس، فـإن قـوة الداعي إلى المعاصي إنما تنشـأ من هـذه الفضلات، فإنها تطلـب لها مصرفًا فيضيق عليها المباح فتتعداه إلى الحرام.

ومن أعظم الأشياء ضررًا على العبد بطالته وفراغه، فإن النفس لا تقعد فارغة، بل إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل.

❁ **ومنهـا**: وهـو الجامعه لهذه الأسـباب كلها: ثبات شـجرة الإيمـان في القلب، فصبر العبد عن المعاصي إنما هو بحسب قوه إيمانه، فكلما كان إيمانه أقوى كان صبره أتمّ، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر.

صور عظيمة من صور الصبر عن معصيه الله:

أعظم ما يُضرب به المثل في الصبر عن معصية الله هو نبي الله يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، هـذا النبي الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، يوسـف بن اسـحاق بن يعقوب بن إبراهيم، نبي بن نبي بن نبي بن نبي.

---

(١) أزمع الأمر، به، وعليه: عزم عليه وثبت وجد في مضائه.

(٢) **قال**: من القيلولة: وهي نومة النهار وتكون بعد الظُهر للاستجمام.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

لله درُّ نبـي الله يوسـف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في موقفه مع امرأة العزيـز، كان مثالًا للعفَّة؛ فكلُّ الظروف من حوله كانت تدفعُه دفعًا إلى الفاحشـة، فقد كان شـابًا عزبًا، وقد كان غريبًا، والغريـب لا يسـتحي من الناس، لأنهـم لا يعرفونه، وإنه كان عبدًا لهـا، والعبد لا يأنفُ مما يأنفُ منه الحُر، وهي سيدتُه، وهي الآمرة، فدافعُ الشهوة أكبرُ حين تكون المرأة طالبة، وهـي حسـناء جميلة، وقد غـاب الرقيـبُ، وغلقت الأبـواب، وهي تُهدده بالسـجن إن لم يفعل، وتكرر التهديدُ منها أكثر من مرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤].

فهمُّ امرأة العزيز همٌ محرم، فإنه همُّ عزم وتصميم، لأنها أخذت بأسباب الفاحشة، بدليل أنها شـقت قميصه من دُبر، ومثلُ هـذا التصميم على المعصية معصيةٌ يؤاخذ عليها صاحبهـا، بدليـل الحديـث الثابـت عـن رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا التقى المسلمان بسـيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»، قالوا: يا رسـول الله، قد عرفنا القاتل، فما بالُ المقتـول؟ قـال: «**إنه كان حريصًـا على قتل صاحبه**»، فـصرح صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تصميمه وعزمه على قتل صاحبه معصيةٌ أدخله اللهُ بسببها النار.

أمـا همِّ يوسـف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بها فخاطـر قلبي صرفه عنه وازع التقـوى، خطرت على قلبه الفاحشة فلم يأخذ بالأسباب وصرف الله عنه هذا السوء.

ومـما يُضرب به المثل في الصبر عن معصية الله الرجل الذي خرج مع صاحبيه حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا الله أن تدعُوا الله بصالح أعمالكم.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

فتوسل أحدهم ببره لوالديه، والآخر توسل إلى الله بأمانته، وقال الذي توسل إلى الله بعفته وتركه للمعصية: «اللهم إنه كانت لي ابنةُ عم، كانت أحب الناس إلي - وفي رواية: كُنتُ أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فراوتها عن نفسها[١] فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين[٢] فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخَلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرتُ عليها - وفي رواية: فلما قعدت بين رجليها، قالت اتق الله ولا تفُض الخاتم إلا بحقه[٣] فانصرفتُ عنها وهي أحبُ الناس إلي وتركتُ الذهب الذي أعطيتُها. اللهُم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة.[٤]» وخرجوا من الغار سالمين آمنين.

العارُ في مُدَّةِ الدُنيا وقلَّتها ... يَفنَي ويبقى الذي في العارِ يُؤذيني

والنارُ لاَ تنقضي ما دام بي رَمَقٌ ... ولستُ ذامَيتةٍ منها فتُفنيني

لكن سأصبرُ صبرَ الحُرِّ مُحتسِبًا ... لعلَّ ربي من الفردوسِ يُدنِيني

صورة أخرى عظيمة من صور الصبر عن المعصية:

الربيعُ بن خُثيم: سيد من سادات التابعين، وسيد من سادات أهل العفاف. قال له عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لو رآك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحبك.

روى أصحابُ السير والتراجم أن قومًا أمروا امرأة ذات جمالٍ بارع أن تتعرض للربيع بن خُثيم لعلها تفتَنُه، جعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهمٍ.

---

(١) كناية عن الجماع.

(٢) أصابها شيء من الفقر والعوز.

(٣) لا تفض الخاتم إلا بحقه: **الفض**: الكسر والفتح، والخاتم كناية عن الفرج وعذرة البكارة، وحقه التزويج المشروع. «دليل الفالحين» (١/ ٨٤).

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٢٢١٥]، ومسلم [٢٧٤٣].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه من الطيب، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة.

فقال لها الربيع: كيف بك لو قد نزلت الحُمى بجسمك، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟!

أم كيف بكِ لو قد نزل مَلكُ الموت فقطع منك حَبْلَ الوتين(١)؟! أم كيف بك لو سألك منكرٌ ونكير(٢)؟!

فصرخت صرخةً فسقطت مغشيًا عليها.

فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادة ربها أن :كانت يوم ماتت كأنها جذعٌ مُحترقٌ من خشية الله عَزَّوَجَلَّ، وكانت تُلقب بعابدة الكوفة.

قال عمر بن عبد العزيز: «أفضل الجهاد جهاد الهوى».

وقال سفيان الثوري: «أشجعُ الناس أشدُّهَم من الهوى امتناعًا».

وكان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين:

تَفنى اللذاذةُ مِمن نالَ صفوتَها ... من الحرام ويَبقى الوِزْرُ والعارُ
تبقى عواقبُ سُوءٍ في مَغبتِّها ... لا خيرَ في لذةٍ من بعدِها النارُ

قال الإمام أحمد بن حنبل: «الفتوة ترك ما تهوي لما تخشى».

ونفسَك أَكْرِمْ عن أُمورٍ كثيرةٍ ... فما لكَ نفسٌ بعدَها تستعيرُها

---

(١) **الوتين:** عرق في القلب أو متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه.
(٢) «التوابين» ص: [٢٧٣] لابن قدامة، ط. الدار السلفية و «صفة الصفوة» (٣/ ١٦١) لابن الجوزي، ط: دار ابن الهيثم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا تَقْرَبِ المرعَي الحرامَ فإنما حلاوتُهَ تفنى ويَبقى مريرُها

ثالثًا- الصبر على البلاء وعلى أقدار الله المؤلمة:

والصبر على البلاء وعلى أقدار الله المؤلمة إنما يكون بعدم التسخط عليها، وهو ينشأ من أسباب عديدة:

❁ **منها**: شهود جزائها وثوابها، فالله عَزَّوَجَلَّ أعطي الصابرين على البلاء ثوابًا عظيمًا وأجرًا جزيلًا، قال: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾

[البَقَرَة: ١٥٥-١٥٧]

❁ **ومنها**: شهود تكفيرها للسيئات ومحوها لها، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما يزالُ البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وما له حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**»(١).

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**ما يُصيب المسلم من نصب، ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى، ولا غم، حتى الشوكة يُشاكُها إلا كفر الله بها من خطاياه**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**من يرد الله به خيرًا يُصب منه**»(٣).

❁ **ومنها**: شهود القدر السابق الجاري لها، وأنها مقدرة في أم الكتاب قبل أن يُخلق فلا بد منها، فجزعه لا يزيده إلا بلاءً.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٧١٥]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٥٨١٥].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٤٧٧]، ومسلم [١٧٩٢].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٥٦٤٥].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يَخْلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

❁ **ومنها**: شهود حق الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها بالصبر بلا خلاف بين الأئمة، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه.

❁ **ومنها**: شهود ترتبها عليه بذنبه، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

❁ **ومنها**: أن يعلم أن الله قد ارتضاها له واختاره، وأن العبودية تقتضي رضاه بما رضى له به سيده ومولاه، فلينزل إلى مقام الصبر عليها.

❁ **ومنها**: أن يعلم أن هذه المُصيبة هي دواءٌ نافع ساقه إليه الطبيب العليم بمصلحته الرحيم به، فليصبر على تجرعه، ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلًا.

❁ **ومنها**: أن يعلم أن في عُقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم يحصل بدونه، فلينظر إلى عاقبته وحُسن تأثيره. قال تَعَالَىٰ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

لعل عتبك محمودٌ عواقِبهُ ... ورُبما صحتَ الأجسامُ بالعِلَلِ

❁ **ومنها**: أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين حِينئذٍ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟

❁ **ومنها**: أن يعلم أن الله تَعَالَىٰ يبتلى عبده بالسراء والضراء، والنعمة والبلاء، فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٦٥٣].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ **ومنها**: أن يعلم العاقل أن الإنسان ما دام في هذه الدار، فهو معرض للبلايا، والرزايا، والأمراض، والأسقام، وأنه كالهدف الذي يُرمي بالسهام. ولينظر إلى قول الله تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البَلَد: ٤].

❁ **ومنها**: أن يعلم العاقل أن الجزع لا يُفيد شيئًا، بل يشمت عدوه، ويسوء صديقه، ويغضب ربه، ويسر شيطانه، ويحبط أجره، ويضعف نفسه.

إذا بُليتَ بالكُرهِ فكُن بِالصَبر لَوَّاذا
وإلا ذهب الأجْرُ فلا هَذَا ولاَ هذَا

❁ **ومنها**: أن يتذكر العاقل المصاب، ما ورد في الحديث: «إن لله ما أخذ وما أعطى، وكُلّ شيء عنده بأجل مُسمى»(١).

وإن أموالنا وأولادنا؛ إنما هي عندنًا ودائع، ولابد لصاحب الوديعة أن يأخذها من الدهر.

وما المالُ والأهْلون إلا وديعةٌ ولابدّ يومًا أن يُردّ الودائِعُ

❁ **ومنها**: أن العاقل يتسلى بمصيبة النبي ﷺ عن كُلّ مصيبة.

عَرَفْنَا اللَّيالِي قَبْلَ مَا نَزَلَتْ بِنَا فَلَماَّ دَهَتْنَا لَمْ تزِدْنَا بَها عِلْمًا!

وقال آخر:

اصْبْر علَىَ مَضَضِ الإدْلاجِ في السَّحَرِ وَفي الرَّوَاحِ إلى الطَّاعاتِ وَالبكَرِ
إنّي رَأيْتُ وفي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ للصبر عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةُ الأثَر
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ في أَمْرٍ تَصَّلَبهُ واستَصحَب الصَّبْرَ إلاَّ فَازَ بالظَّفرِ

وقال آخر:

والصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرْمَذَاقَتُهُ لَكِنْ عَوَاقِبَهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٦٥٥]، ومسلم [٩٢٣].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال آخر:

بَنَى اللهُ لِلأخيارِ بَيْتًا سَمَاؤُهُ ... هُمُومٌ وَأَحْزانٌ وَجُدْرانُهُ الضُّرُ
وَأَدْخَلَهُم فيهِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ ... وَقَالَ لَهُمْ مِفْتَاحُ بَابِكُمُ الصَّبْرُ

جبال الصبر وعلو همتهم عند المصائب:

جعل الله سُبْحَانَهُ الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يهزم، وحصنًا لا يهدم، ولا يثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد، ومحله من الظفر محل الرأس من الجسد، وللصابرين معية مع الله، ظفروا فيها بخيري الدنيا والآخرة، وفازوا فيها بنعمه الظاهرة والباطنة، ولقد جعل الله سُبْحَانَهُ الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين، فقال تَعَالَىٰ وبقوله اهتدى المهتدون: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما أخذوا برأس الأمر، صاروا رؤوسًا».

وأخبر سبحانه عن محبته للصابرين بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظي بها إلا الصابرون، فقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].

وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي أربابها لا تبور، فقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وكذلك قيل: الصبر من معالم العظمة وشارات الكمال، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها، ولذلك كان «الصبور» من أسماء الله الحسنى، فهو يتمهل ولا يتعجل ويبطئ بالعقاب إن أسرع الناس بالجريمة، ويرسل أقداره لتعمل عملها على الرغبات الفائرة، والمشاعر الثائرة.

والصبر من عناصر الرجولة الناضجة والبطولة النادرة، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله، لم يستأجر له أطفالًا أو مرضى أو خوارين، إنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة، والمناكب الشداد، كذلك الحياة، لا ينهض برسالتها الكبرى، ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال عمالقة، وأبطال صابرون، ومن ثم كان نصيب القادة من العناء والبلاء مكافئًا لما أوتوا من مواهب، ولما أدوا من أعمال.

وأصبر الناس على الطاعة وعلى البلاء وعن المعاصي الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم الأمثل فالأمثل، ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يبتلي الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه. وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»(١).

فاختلاف أنصبة الناس من الجهد والتبعة والهموم الكبيرة يعود إلى طاقتهم في التحمل والثبات.

صبر النبي ﷺ:

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم**» ثم دفعه إلى أم سيف، امرأة قين(٢) يقال له: أبو سيف، فانطلق يأتيه،

(١) **حسن صحيح**: رواه ابن ماجه [٤٠٢٣]، وقال الألباني: حسن صحيح. انظر: «المشكاة» [١٥٦٢]، و«الصحيحة» [١٤٣].
(٢) **قين**: حَدَّاد.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

واتبعته، فانتهينا على أبي سيف، وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخانًا. فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ فقلت: يا أبا سيف! أمسك جاء رسول الله ﷺ فأمسك. فدعا النبي ﷺ بالصبي. فضمه إليه، وقال ما شاء الله أن يقول. فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد[1] بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا. والله! يا إبراهيم! إنا بك لمحزونون**»[2].

صبر نبي الله أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وصف الله تَعَالَى بالصبر خاصة أوليائه وأحبابه، فقال عن أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ [ص: ٤٤]، ثم أثنى عليه فقال: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، فكم كان صبره حتى ضرب به المثل، وكم كان أدبه في صبره إذ قال تَعَالَى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

صبر نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناسًا في القسمة، فأعطي الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطي عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطي ناسًا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه

---

(١) **يكيد بنفسه**: أي يجود بها، ومعناه: وهو في النزع وشدة الاحتضار.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٣٠٣]، ومسلم [٢٣١٥].

وقال النووي: قوله: فدمعت عينا رسول الله ﷺ إلى آخره فيه جواز البكاء على المرض والحزن، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر، بل هو رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما المذموم الندب والنياحة، والويل والثبور، ونحو ذلك من القول الباطل، ولهذا قال ﷺ: «**ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**» انظر: «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٦٨)، ط: مكتبة الإيمان.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ، فأتيته فأخبرته بما قال، فتغير وجهه حتى كان كالصرف. ثم قال: «**فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟**»، ثم قال: «**يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»، **فقلت:** لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثًا(١).

صور من صبر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم

عروة بن الزبير «جبلٌ من جبال الصبر»:

قال ابن القيم: قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد، وكان من أحسن الناس وجهًا، فدخل يومًا على الوليد في ثياب وشي(٢)، وله غديرتان وهو يضرب بيده، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش فعانه(٣)، فخرج من عنده متوسنًا، فوقع في إصطبل الدواب فلم تزل الدواب تطؤه بأرجلها حتى مات، ثم إن الآكلة وقعت في رجل عروة، فبعث إليه الوليد الأطباء، فقالوا له: إن لم تقطعها سرت إلى باقي الجسد فتهلك. فعزم على قطعها، فنشروها بالمنشار، فلما صار المنشار إلى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة، فغشي عليه، ثم أفاق والعرق يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكبر، فأخذها وجعل يقلبها في يده، ثم قال: «أما والذي حملني عليك، إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرام، ولا إلى معصية، ولا إلى ما لا يرضي الله. ثم أمر

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣١٥٠]، ومسلم [١٠٦٢].

وفي الحديث: دليل على أن للإمام أن يعطي من يرى في عطيته المصلحة أكثر من غيره، إذا كان في هذا مصلحة للإسلام - وليست مصلحة شخصية يحابي من يحب ويمنع من لا يحب - وزاد في العطاء فإن هذا إليه، وهو مسئول أمام الله، ولا يحل لأحد أن يعترض عليه فإن اعترض عليه فقد ظلم نفسه.

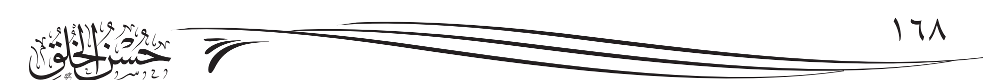
انظر: «شرح رياض الصالحين» (١/ ١٤٧) للشيخ العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، ط: دار البصيرة.

(٢) **ثياب وشي**: أي معلمة ومخططة.

(٣) **فعانه**: أي حسده وأصابه بعينه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب



بها فغسلت وطيبت وكفنت في قطيفة، ثم بعث بها إلى مقابر المسلمين، فلما قدم من عند الوليد إلى المدينة، تلقاه أهل بيته وأصدقاؤه يعزونه، فجعل يقول: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، ولم يزد عليه، ثم إنه قال: «إن سلبت فلطالما أعطيت، وإن أخذت فطالما أبقيت، وأبقيت لنا فيك الأمل، يا بر يا وصول»[(١)].

لَعَمْرُكَ مَا مَدَدْتُ كَفِّي لِرِيبةٍ ... وَمَا حَمَلَتْنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رِجْلي

وَلا دَلَّنِي فِكْرِي لَهَا وَلا عَقْلِي ... وَلا قَادَنِي لَهَا سَمْعِي ولا بَصَري

وَأَعْلَمُ أَني لَمْ تُصِبْنِي مُصِيبَةٌ ... إلاَّ وَقَدْ أَصَابَتْ فَتىً قَبْلي

أم سليم «الرميصاء» وعلو همتها في الصبر:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** كان ابن لأبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشتكي، فخرج أبو طلحة، فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة، قال: ما فعل ابني؟ قالت أم سليم وهي أم الصبي: هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى، ثم أصاب منها، فلما فرغ، قالت: واروا الصبي، فلما أصبح أبو طلحة أتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره، فقال: «**أعرستم الليلة؟**»، قال: نعم، قال: «**اللهم بارك لهما**»، فولدت غلامًا، فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعث معه بتمرات، فقال: «أمعه شيء؟»، قلت: نعم، تمرات. فأخذها النبي فمضغها، ثم أخذها من فيه فجعلها في فيّ الصبي، ثم حنكه وسماه عبد الله[(٢)].

---

(١) «تاريخ الإسلام» (٦/ ٢٤٧) للإمام الذهبي، ط: دار الكتاب العربي، وانظر: «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٢٠ - ٢١) للمزي، ط: مؤسسة الرسالة.

(٢) **صحيح:** رواه البخاري [٥٤٧٠]، ومسلم [٢١٤٤].

وفي الحديث فوائد منها: دليل على قوة صبر أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه جواز التورية، أي أن يتكلم الإنسان بكلام تخالف نيته ما في ظاهر هذا الكلام، وفيه أنه يستحب التسمية بعبد الله، انظر: «شرح رياض الصالحين» (١/ ١٥٠) لابن عثيمين، ط: دار البصيرة.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي رواية للبخاري: قال ابن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن، **يعني:** من أولاد عبد الله المولود.

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَا ذَكَرْنَا ... لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
وَمَا التَّأْنِيثُ لاِسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ ... وَمَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلالِ

امرأة من أهل الجنة:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله تَعَالَى لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تَعَالَى أن يعافيك**» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها[1].

ما يعين على الصبر والرضا في البلاء:

الصبر على البلاء من آكد المنازل في طريق محبة الله للعبد، وهو بضاعة الصديقين، وهو من أعظم الطاعات والقربات التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ، ويحب أهلها، قال تَعَالَى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ ثواب الصبر بغير حساب، قال تَعَالَى: ﴿**قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ**﴾ [الزمر: ١٠].

ودونك أخي الكريم أهم الأسباب التي تعين على الصبر والرضا عند نزول البلاء:

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٥٦٥٢]، ومسلم [٢٥٧٦].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١- ملاحظة حسن الجزاء:

فعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته، يخف حمل البلاء لشهود العوض من الله عَزَّوَجَلَّ. قال الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»[(١)].

٢- انتظار روح الفرج:

يعني راحته ونسيمه ولذته، فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة.

وَكَمْ لله مِن لُطْفٍ خَفِيّ ... يَدِقُّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ

٣- تهوين البلية:

بأن يعد الإنسان نعم الله عليه الظاهرة والباطنة وأياديه عنده، فإن عجز عن عدها، وأيس من حصرها، هان عليه ما هو فيه من البلاء ورآه - بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه - كقطرة من بحر.

قال تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٤- النظر في حال من ابتلي بمثل هذا البلاء:

قالت الخنساء:

وَلَوْلا كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِي ... عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أخي وَلَكِنْ ... أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُمْ بالتَّأَسِّي

---

(١) صحيح: رواه مسلم [٢٩٩٩].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- فتح باب الدعاء:

فالمصائب تفتح على العبد أبوابًا من العبادات، كالدعاء، والإنابة، والرجاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [الرُّوم: ٣٣].

فيا أخا الإسلام:

دَعِ الأَقْدارَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ ... وَطِبْ نَفْسًا إذَا حَكَمَ القَضَاءُ
وَلا تَجْزَعْ لِحَادَثَةِ اللَّيَالِى ... فَمَا لِحَوادثِ الدُّنْيَا بَقاءُ
وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الأَهْوَالِ جَلدًا ... وشيمتك السَّماحَةُ وَالوفَاءُ

ثِمار الصَّبْر:

للصبر ثمرات مُحققة وعظيمة ومن جملة هذه الثمرات.

* نيل الأجر بلا حدود:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

قال سليمان بن القاسم: كل عملٍ يُعرف ثوابه إلا الصبر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزُّمَر: ١٠] قال: «كالماء المنهمر».

* نيل معية الله تَعَالَىٰ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣].

والمعية على قسمين:

معية عامة: وهي المعية بالعلم والقدرة، وهذه عامة في حق كل أحد.

ومعية خاصة: وهي المعية بالعون والنصرة، وهذه خاصة بالصابرين ونحوهم كالمحسنين والمتقين والمتوكلين والمقسطين وغيرهم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب


www.alukah.net

* **نيل إمامة الدنيا والآخرة:**

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].

* **نيل صلوات الله تعالى ورحمته وهدايته:**

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

* **سبيل النصر على الأعداء:**

قال تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

* **تكفير السيئات:**

فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما يُصيبُ المؤمن من نصب، ولا وصب، ولا هم، ولا حزن، ولا أذى، ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**»(١).

* **طريق إلى الجنة:**

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥].



(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٤٧٧]، ومسلم [١٧٩٢].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرفق

الرفـق: هو زينـة الأعمال وبهاؤها، وسر جودتها وجمالهـا، وهو من أحب الفضائل والخلال إلى الحق عَزَّوَجَلَّ، ومن أبلغها أثرًا وتوثيق صلاتهم وروابطهم بالكون أجمع، ومن هنا دعانا الإسلام إليه، ورغبنا فيه، ونوه بأنه - في بابه - لا عِدْل له في نتائجه وآثاره، وأن الله عَزَّوَجَلَّ أوفي الجـزاء عليه في الدنيا والآخرة. وهو لين الجانب ولطافة الفعل، وصاحبه رفيق. والرفق ضد العنف، **يقال:** رفق بالأمر وله وعليه.

قال عمرو بن العاص لابنه عبد الله: «ما الرفق؟ قال: أن تكون ذا أناة وتلاين. قال: فما الخرق؛ قال: معاداة إمامك، ومناوأة من يقدر على ضرك.

وقـال سـفيان الثـوري لأصحابه: أتـدرون ما الرفـق؟ قالوا: قل، قـال: «أن تضع الأمـور في مواضعها، والشـدة في مواضعها، واللين في موضعه، والسـيف في موضعه؟، والسوط في موضعه[(١)].

فضائل الرفق:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

قـال القاسـمي: العافـين عن النـاس أي ظلمهـم لهم، ولو كانـوا قد قتلـوا منهم، فلا يؤاخذون أحدًا بما يجنى عليهم ولا يبقى في أنفسهم موجدة[(٢)].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قـال القاسـمي: «خذ العفـو» أي مـكان الغضب ليكونـوا أقبل للنصيحـة «وأمر بالعـرف» أي بالجميل المستحسـن من الأفعال فإنها قريبـة من قبول الناس من غير نكير.

---

(١) «هؤلاء يحبهم الله» ص: [١٧٣-١٧٤] للمؤلف، ط: دار الكنوز، وط: دار أهل السُنة.

(٢) «محاسن التأويل» (٢/ ١٣٩) لجمال الدين القاسمي، ط: دار الحرمين.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«وأعرض عن الجاهلين» أي المصرين على جهلهم، فلا تكافئ السفهاء بمثل سفههم، ولا تمارهم، واحلم عنهم[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾

[فصلت: ٣٤-٣٥]

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣].

قال الجزائري رحمه الله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾: أي ولمن صبر ولم ينتصر لنفسه وغفر وتجاوز عمن أساء إليه. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي إن ذلك الصبر والتجاوز عن المسيء: ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾: أي لمن معزومات الأمور المطلوبة شرعًا[(٢)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: **«إن فيك خصلتين يُحبُهما الله: الحلمُ والأناة»**[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزعُ من شيء إلا شانه»**[(٤)].

وعنها رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إن الله رفقٌ يحب الرفق، ويُعطي على الرفق، ما لا يُعطي على العُنف، وما لا يُعطي على ما سواه»**[(٥)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بال أعرابيٌّ في المسجد، فقام الناس إليه ليقعُوا فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«دَعُوهُ وأريقُوا على بوله سجلا[(٦)] من ماءٍ، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بُعثتم مُيسرين ولم تُبعثوا معسرين»**[(٧)].

(١) المصدر السابق (٣/ ٦٨٤).
(٢) «أسير التفاسير» (٢/ ١٤٠٧) للجزائري، ط: مكتبة العلوم والحكم.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥].
(٤) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٩٤].
(٥) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٩٣].
(٦) **سجلًا**: هو الدلو الممتلئ بالماء، وكذلك الذَّنُوبُ.
(٧) **صحيح**: رواه البخاري [٢٢٠].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعـن أنـس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عـن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**يسـروا ولا تعسـروا، وبشـروا ولا تُنفرُوا**»(١).

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سـمعتُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **يقول**: «**من يُحرم الرفق، يُحرم الخير كله**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رجُلًا قال للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أوصني **قال**: «**لا تغضب**» فردد مرارًا، قال: «**لا تغضب**»(٣).

وعن أبي يعلى شـداد بـن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إن الله كتب الإحسـان على كل شـيء فإذا قتلتمُ فأحسـنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحدَّ أحدُكُمْ شفرته، وليُرح ذبيحته**»(٤).

وعـن عائشـة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالـت: قـال رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله رفيقٌ يُحبُ الرفَقَ في الأمر كله**»(٥).

«إن الله رفيـق» أي لطيف بعبـاده، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فلا يكلفهم فوق طاقتهم، بل يسامحهم ويلطف بهم.

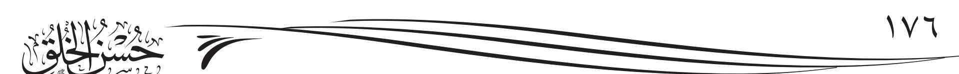
«**يحب الرفق**» **أي**: يحب أن يرفق بعضكم ببعض، ويحب أن يرفق بعباده، «ويعطي عليه» في الدنيا من الثناء الجميل، ونيل المطالب وتسهيل المقاصد، وفي العقبى من الثواب الجزيل «ما لا يُعطي على العنف» ووصف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالرفق إرشادًا وحثًا لنا على تحري الرفق في الأمر كله.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٩]، ومسلم [١٧٤٣].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٩٢].
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٦١١٦].
(٤) **صحيح**: رواه مسلم [١٩٥٥].
(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٦٩٢٧]، ومسلم [٢١٦٥].



شبكة الألوكة - قسم الكتب



أنواع الرفق: اعلم أخي الكريم أن الإسلام حث على الرفق في كل الأمور وفي كل الأحوال، فمن ذلك:

الرفق في الدين:

فالإسلام دين اليسر والرفق، ولا يمكن أن تلمس حرجًا أو مشقة في جانب من جوانبه، أو تشريع من تشريعاته.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٢٨].

ولقد دعا الإسلام إلى الرفق في العبادة، ونهى عن الغلو فيها، والتعسير في أدائها فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق**»(١).

«إن هذا الدين متين» **أي:** صلب، «فأوغلوا» **أي:** سيروا «فيه برفق» من غير تكلف، ولا تحملوا أنفسكم ما لا تطيقونه، فتعجزوا وتتركوا العمل ولقد كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو القدوة يلتزم جادة الحق ومنطق الفطرة.

ولذلك كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قالت عائشة: «ما خير رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أمرين إلا أخذ أيسر هما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»(٢).

ولذلك كان من يسر الإسلام أن رخص للمسافر الفطر في سفره، والقصر في صلاته، وأن يصلي جالسًا أو على جنب إن كان مريضًا، ولكن ظن بعض الناس الذين

(١) **حسن:** رواه أحمد [٧٤٧٥]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٢٤٧].

(٢) **صحيح:** رواه البخاري [٤٧٢١].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

نقص حظهم من العلم الشرعي والفقه في الدين أن اليسر في الدين معناه ترك أوامره، وتعدي حدوده!! فترى وتسمع تارك الصلاة يقول: «الدين يسر»!! وآكل الربا يقول: «الدين يسر»!! وشارب الخمر يقول: «الدين يسر»!! وهذا الفهم السقيم للدين قد أوقع الناس في الآثام، وحق عليهم قول ربنا: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

الرفق بالنفس في العبادة:

لقد توخي الإسلام في كل عباداته وتشريعاته حق النفس؛ رفقًا بها ورحمة لها، ولحرص النبي ﷺ بأمته، وشفقته عليهم، أرشدهم إلى مصالحهم، وحثهم على ما يطيقونه من المداومة على العبادة، ونهاهم عن إجهاد النفس في الطاعة، مخافة الملل والسآمة، وترك العبادة بالكلية، أوترك بعض منها.

فقال ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل**»(١).

ولقد كان ﷺ أعبد الناس، وأخشاهم لله، ومع ذلك كانت عبادته قصدًا بين الطول والقصر، يصوم ويفطر، ويصلي وينام، ولذلك قال ﷺ: «**أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة**»(٢).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه **قال**: «كنت أصلي مع رسول الله ﷺ، فكانت صلاته قصدًا، وخطبته قصدًا»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا**»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٦٥]، ومسلم [٧٨٢]، وأحمد [١٠٣٨٣].
(٢) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٢٨٣]، وأحمد [٢١٠٨]، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٨٨١].
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٨٦٦].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٦٣]، **والدلجة**: آخر الليل.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد ربى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على التوسط والاعتدال في العبادة.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحيانًا يواصل الصيام، فيصوم ثلاثة أيام وأربعة لا يأكل شيئًا، فأراد الصحابة أن يواصلوا كما يواصل، **فقال لهم: «إني لست كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»**(١).

يفيض الله عليه من الحكم والمعارف والفتوحات والإلهامات ما يسد مسد الطعام والشراب، فيعطيه قوة الآكل والشارب، فيقوي على العبادة من غير ضعف في القوة، ولا كلال في الإحساس.

وانظر إلى هؤلاء الرهط الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسألون عن عبادته، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

قال أحدهم: أما أنا فأُصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(٢).

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: دخل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحبل مشدود بين ساريتين **فقال**: «ما هذا؟»، قالوا: لزينب، تصلي فإذا كسلت أو فترت أمسكت به، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُلُوه ليصل أحدكم نشاطه. فإذا كسل أو فتر قعد**»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٩٦٤]، ومسلم [١١٠٥]، وأبو داود [٢٣٦٠]، والترمذي [٧٧٨]، وأحمد [٦١٢٥].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٥٠٦٣]، ومسلم [١٤٠١]، والنسائي [٣٢١٧].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [١١٥٠]، ومسلم [٧٨٤].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

فـإن الله تَعَالَىٰ غني عن تعذيب أحدنا لنفسـه؛ ولذلـك قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦].

وعـن حنظلـة الأسـدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان مـن كتـاب رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: لقيني أبو بكـر فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقـول؟ قـال: قلت: نكـون عنـد رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكرنـا بالنار والجنـة، حتى كأنـا رأي العين، فـإذا خرجنا من عند رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عافسـنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسـينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقي مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وما ذاك؟**»، قلـت: يـا رسـول الله نكون عنـدك تذكرنا بالنـار والجنة، حتـى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عندك عافسـنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسـينا كثيرًا، فقال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**والذي نفسـي بيده لـو تدومون على ما تكونـون عندي، وفي الذكـر، لصافحتكـم الملائكـة على فرشـكم وفي طرقكـم، ولكن يا حنظلة سـاعة وساعة**» ثلاث مرات(١).

لذا كان التوسـط والاعتدال، والعمل القليل المسـتمر، المـداوم عليه، أفضل وأبرك من العمل الكثير، الذي سرعان ما يتركه العبد، وينقطع عنه؛ ولذلك ذم الله أقوامًا أكثروا من العبادة، ثم فرطوا فيها، كالذي نقض عهده بعد توكيده، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النَّحل: ٩٢].

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٧٠٥]، والترمذي [٢٥١٤]، وابن ماجه [٤٢٣٩]، وأحمد [١٧٨١٤]، والطبراني في «الكبير» [٣٤٩٠]، والبيهقي في «الشعب» [١٠٢٨].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا عبد الله! لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الله**»(١).

الرفق في الدعوة:

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش، وأمر الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة، فهي محكمة من جهة العصاة من الموحدين(٢).

ومن الدعوة بالحكمة مراعاة مقتضي الحال، ومخاطبة كل قوم بما يعرفون، وأخذهم بالرفق والتلطف، واختيار الوقت المناسب للموعظة التي يراد وعظهم بها، حتى تتقبلها النفوس، وتنتفع بما فيها من خير، فالدعوة إلى الله تحتاج إلى بصيرة نافذة، تتغلغل في خفايا النفس الإنسانية وتضع يدها على مواطن البلاء، ثم تختار من الدواء ما يشفي العلة، ويذهب الداء.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١١٢٥]، ومسلم [١١٥٩].

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٥٩١) للقرطبي، ط: النور الإسلامية.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أجـل..إن الرفـق أداة مثلى من أدوات الدعوة، لا ينجـح الداعية إلا به، ولا يدخل بدعوتـه إلى القلوب والعقول إلا على متنه، وفي رفقته، به تلين العقول، وتنفتح القلوب، وتستجيب النفوس للدعوة والإرشاد والنصح.

فـلا يأمـر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا رفيق فيما يأمـر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهي عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهي عنه.

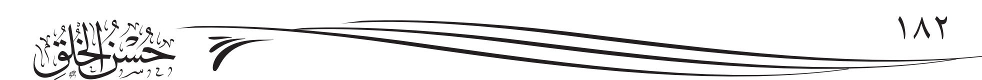
وهـذه صـورة من صـور رفـق النبـي ﷺ، تـضرب أروع الأمثلـة في الحلم والرفق.

جلس عمـير بـن وهب الجمحـي مع صفوان بـن أميـة في الحجر[١] بعـد مصاب أهـل بـدر بيسـير، وكان عمير بـن وهب شـيطانًا من شـياطين قريش، وممـن كان يؤذي رسـول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسـاري بدر، فذكـر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفـوان: والله ما إن في العيش بعدهـم خيرًا، قال له عمير: صدقت، أما والله لو لا دين على ليس عندي قضاؤه، وعيال أخـشي عليهـم الضيعـة بعدي، لركبـت إلى محمد حتى أقتلـه، فإن لي فيهم علـة[٢]، ابني أسـير في أيديهـم، فاغتنمها صفوان بـن أمية، فقال: علي دينك أنـا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم على شأني وشـأنك، قال: سـأفعل ثم أمر عمير بسـيفه فشـحذ[٣] له وسُـمَّ[٤]، ثم انطلق حتى قدم المدينـة، فبينـما عمر بن الخطـاب في نفر من المسـلمين يتحدثون عن يوم بـدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحًا السيف[٥]، فقال: هذا الكلب عدو الله، عمير بن وهب ما جاء إلا لشر،

(١) **الحجر**: مكان في الكعبة إلى الجانب الغربي.
(٢) **علة**: سبب.
(٣) **شحذ**: أحد.
(٤) **سم**: جعل فيه سم.
(٥) **متوشحًا السيف**: متقلدًا السيف.



www.alukah.net
شبكة الألوكة



وهـو الذي حـرش[١] بيننا وحزرنا للقـوم يوم بدر، ثم دخل على رسـول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشـحًا سـيفه، قال: «فأدخله»، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سـيفه في عنقـه فلببه[٢] بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسـول الله ﷺ فاجلسـوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غـير مأمون، ثم دخل به على رسـول الله ﷺ فلما رآه رسـول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه، قال: «أرسله يا عمر، ادن يا عمير»، فدنا ثم قال: أنعم صباحًا وكانت تحية أهل الجاهلية فيما بينهم فقال رسـول الله ﷺ: «**قد أبدلنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالإسلام تحية أهل الجنة**»، **قال**: أما والله يامحمد، إن كنت بها لحديث عهد، **قال**: «فما جاء بك يا عمير؟»، قال: جئت لهذا الأسـير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: «فما بال السيف في عنقك؟»، قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت عنا شيئًا، قال: «اصدقني ما الذي جئت له؟»، قال: ما جئت إلا لذلك، **قال**: «بل قعدت أنـت وصفـوان بن أمية في الحجر، فذكرتمـا أصحاب القليب من قريـش، ثم قلت: لولا ديـن عـلى وعيال عندي لخرجت حتـى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفـوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني، والله حائل بينك وبين ذلك».

فقال عمير: أشـهد أنك رسـول الله، قد كنا يا رسـول الله نكذبك فيما كنت تأتينا به من خبر السـماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسـلام، وسـاقني هذا المسـاق، ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله ﷺ: «**فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره**»[٣].

---

(١) **حرش**: أفسد. (٢) **لببه**: أخذه بتلابيبه وجره.

(٣) «حيـاة الصحابة» (١/ ١٦٥-١٦٧) للكندهلوي، ط: المكتبة العصرية، وانظر: «الإصابة» (٣/ ٣٦)، «والبداية والنهاية» (٣/ ٣١٣) لابن كثير، ط: مكتبة الإيمان.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرفق بالوالدين:

إن الرفـق بالوالدين، والإحسـان إليهما، واللين لهما، ومعرفـة حقهما، وإجلال شـأنهما، والتلطف معهما، كل ذلك من الواجبات على الإنسـان بل هو طليعة ما يجب عليـه لبشـر ما، بعد مـا يجب عليه من فرائض ربـه، وقد تفضل اللـه تعالى فجعل ذلك حكمًـا فاصـلًا، وأمـرًا مقضيًّا لا نقض فيه ولا إبـرام، ابتداء من أكبر مـا يجب لهما إلى أبسط الأمور التي قد تكون عقوقًا ولا يؤبه بها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قـال أبـو البـداح النجيبي: قلت لسـعيد بن المسـيب: كل ما في القـرآن من بر الوالدين قد عرفته إلا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. ما ذا القول الكريم؟ قال سعيد بن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ[(١)].

الرفق بالنساء:

النسـاء شـقائق الرجال، خلقن منهم واقتـرن بهم، فيجب أن تتسـم الصلة بينهما بالمودة والرحمة، والرفق والمعروف والبر، ثم الحلم وسعة الصدر.

قـال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

قـال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **المـودة والرحمة:** عطف قلوبهم بعضهم على بعض، وقال السـدي: **المـودة:** المحبـة، **والرحمة:** الشـفقة. وقال ابـن عباس: **المـودة:** حب الرجل امرأته، **والرحمة:** رحمته إياها أن يصيبها بسوء[(٢)].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٦/ ٣٢) للإمام القرطبي، ط: النور النور الإسلامية.
(٢) المصدر السابق (٧/ ١٠٥).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الرفق بالنساء وحسن الخلق معهن: أن يحترم الإنسان حقوقهن، وألا يتعدى عليهن، وألا تتسم المعاملة معهن بالغطرسة والغلظة والشطط، وإنما بالمعروف والبر.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

الرفق بالرعية:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»(١).

وعن ابن مريم الأزدي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من ولاه الله عز وجل شيئًا من أمر المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره**»(٢).

رفق الإسلام بأسرى الحرب:

الإسلام دين البر والرحمة والرفق والقسطاس والقصد، والوقوف عند حدود الله من غير تعد ولا تجاوز، والمسلم الحق لا تبطره النعمة، ولا تستذله المحنة، ولا يستخفه الزهو.

وإذا خاض المعارك في سبيل الله، وتمخض عنها من الأساري ما يكون من ذلك عادة، فإن الإسلام يدعو المسلم إلى أن يكون بهم أرفق من الرفق، يتروى في أمرهم، ويهتم

(١) **صحيح:** رواه مسلم [١٨٢٨].

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود [٢٩٤٨]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن» أبي داود برقم [٢٩٤٨].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بهم في طعامهم وشرابهم وسائر شئونهم. فمبادئ الإسلام تقوم على العدل والإنصاف لا على التشفي والانتقام.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

الرفق بالحيوان:

ويمتد الرفق في الإسلام حتى يشمل الطير في الهواء، والحيوان على الأرض، فقد أوصي الإسلام بكل ذات كبد رطبة، وانظر إلى قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها، إذ حبستها. ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(١).

وانظر إلى هذا الموقف الذي تهيأت فيه الجنة لاستقبال رجل أحسن وتعطف على كلب!!!

واستمع إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يسكب النصح والرشد في آذان أتباعه: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر، فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقي الكلب، فشكر الله له، فغفر له... في كل ذات كبد رطبة أجر»(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٦٣]، ومسلم [٢٢٤٣]، والنسائي [١٤٩٦]، وأحمد (٢/ ١٥٩)، من حديث أبي هريرة.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٩٢٣٦٣]، ومسلم [٢٢٤٤]، وأبو داود [٢٥٥٠]، وأحمد (٢/ ٣٧٥)، =



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعـن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن امـرأة بغيًّا رأت كلبًا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها**(١) **فغفر لها**»(٢).

صنِ الحُسْنَ بالتَّقْوى وإلاّ فَيَذْهَبُ	فَنُور التُقَى يَكْسُو جَمَالًا وَيَكْسِبُ
وَمَا يَنفَعُ الوَجْهَ الجَمِيلَ جَمَالُهُ	وَلَـيْـسَ لَـهُ فِـعْـلٌ جَـمِـيْـلٌ مُـهَـذَّبُ



= ومالك في «الموطأ» [٩٢٩].

(١) **الموق**: الخف.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٤٦٧]، ومسلم [٢٢٤٥] واللفظ له.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجود

الجـود: هو أشرفُ ملابس الدُنيا، وأزينُ حُللها، وأجلبُها لحمـدٍ، وأدفعُها لذم، وأسترها لعيب - كرمُ طبيعةٍ يتحلى بها السمح السري، والجواد السخى.. ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفةٌ من صفات الله تعالى تسمى بها، فهو الكريم عَزَّوَجَلَّ، ومن كان كريمًا من خلقه، فقد تسمى باسمه، واحتذى على صفته(١).

والجواد، هو الذي يُعطي بلا مسألة صيانة للأخذ من ذُل السؤال(٢).

فضائل الجود:

من شرف الجود أن الله عَزَّوَجَلَّ قرن ذكره بالإيمان، ووصف أهله بالفلاح، والفلاح أجمعُ اسمٍ للدارين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣-٥]، وحق للجود أن يقترن بالإيمان، فلا شيء أخصُ به وأشد مجانسة له منه، فمن صفة المؤمن انشراح الصدر: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأَنعَام: ١٢٥].

وهما من صفات الجواد والبخيل؛ لأن الجواد يوصف بسعة الصدر للإنفاق، والبخيل يُوصف بضيق الصدر للإمساك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٦١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كمثل زارع زرع في الأرض حبة، فأنبتت الحبة سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، فشبه المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر، فيعطيه الله بكل

(١) «العقد الفريد» (١/ ٢٢٥) لابن عبد ربه، ط: دار الكتب العلمية.

(٢) «تنبيه المغترين» ص: [٢٢٢] للشعراني، ط: دار ابن حزم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صدقة له سبعمائة حسنة، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] **أي:** على سبعمائة، فيكون مثل المتصدق كمثل الزارع حين يكون حاذقًا في عمله، ويكون البذر جيدًا وتكون الأرض عامرة، يكون الزرع أكثر، فكذلك المتصدق إذا كان صالحًا، والمال طيبًا، ويضعه موضعه، يصير أكثر»[(١)].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٧].

قال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ورديئه، وهو خبيثه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»[(٢)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تَعَالَىٰ جوادٌ يحبُ الجُود، ويحبُّ معالي الأخلاق، ويكره سفسافها**»[(٣)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ: أنفق أُنفق عليك**»[(٤)].

وعن بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنفق يا بلالُ، ولا تخش من ذى العرش إقلالا**»[(٥)].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٥٢٩) للإمام القرطبي، ط. النور الإسلامية.
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٢٧) للحافظ ابن كثير، ط. دار المعرفة.
(٣) **صحيح:** رواه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٤٧) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٨٠١].
(٤) **صحيح:** رواه البخاري [٤٤٠٧]، ومسلم [٩٩٣] وأحمد (٢/ ٤٦٤)، وابن [٢١٢٣].
(٥) **صحيح:** رواه الطبراني في «الكبير» [١٠٢٠]، والبزار (٥/ ٣٤٨) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٥١٢].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي رواية: «أنفق بلال».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مامن يوم يُصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللهم أعط مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»**(١).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من تصدق بعِدْلِ تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يتقبلُها بيمينه، ثم يُربيها لصاحبها، كما يُربي أحدُكم فلُوَّه(٢)، حتى تكون مثل الجبل»**(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«حُوسب رجلٌ ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيءٌ، إلا أنه كان رجُلا مُوسرًا، فكان يُخالط الناس، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر»**، فقال الله تَعَالَىٰ: **«نحن أحقُّ بذلك منه، تجاوزوا عنه»**(٤).

وعن أبي اليسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من أنظر معسرًا، أو وضع عنه، أظلَّه الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلاَّ ظلُّه»**(٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله له بكل عُضو منها عضوًا من النار، حتى فَرْجَه بفرجِهِ»**(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٣٧٤]، ومسلم [١٠١٠]، وابن حبان [٣٣٢٩].

(٢) **الفلُوُّ**: المُهرُ؛ لأنه يُفلي؛ أي يُفطم، والجمع أفلاء.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [١٣٤٤]، ومسلم [١٠١٤]، والترمذي [٢٦٦١]، والنسائي [٢٥٢٥]، وأحمد [٢/ ٣٣١]، وابن ماجه [١٨٤٢]، ومالك [١٨٠٦].

(٤) **صحيح**: رواه الترمذي [١٣٠٧]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٩٣]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣١٥٩].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم [٣٠٠٦]، والترمذي [١٣٠٦]، وأحمد (٢/ ٣٥٩).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري [٦٣٣٧]، ومسلم [١٥٠٩]، والترمذي [١٥٤١].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«بَيْنَا رجلٌ بفلاةٍ من الأرض، فسمع صوتًا في سحابةٍ يقول: «اسق حديقة فُلان» فتنحى ذلك السحابُ، فأفرغ ماءهُ في حَرَّةٍ، فإذا شرجةٌ من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كلَّه، فتتبع الماء، فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يُحوِّل الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمُك؛ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة - فقال له: يا عبد الله، لم تسألُني عن اسمى؛ قال: إني سمعتُ صوتًا في السحاب - الذي هذا ماؤه - يقول: اسقِ حديقة فلان - لاسمك - فما تصنع فيها؛ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظُرُ إلى ما يخرجُ منها فأتصدق بثلثه، وآكُلُ أنا وعيالي ثلثًا، وأرُدُّ فيها ثلثًا»**[(١)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«قال الله تَعَالَى: يا عبدي أنفق أُنفق عليك»**. وقال: **«يدُ الله ملأي لا يغيضها نفقةٌ، سَّحاءُ الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خَلَقَ السموات والأرض، فإنه لم يغض ما بيده، وكان عرشُه على الماء، وبيده الأُخرى الميزان، يخفضُ ويرفعُ»**[(٢)].

وعن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك، وإن تُمسكه شرٌ لك، ولا تُلام على كفافٍ، وابدأ بمن تعُولُ، واليدُ العُليا خيرٌ من اليد السُفلى»**[(٣)].

لِكُلّ نَفْسٍ وإن كانت على وَجلٍ	**من المنيَّة آمال تُقوِّيها**
المَرْءُ يَبْسطها والدّهر يَقْبضها	**والنَّفس تَنْشُرها والموت يطويها**
إنّ المكارم أخْلاقٌ مَطْهرة	**الديِّن أوَّلها، والعَقْل ثانيها**
والعِلْم ثالثها، والحِلْم رابعها	**والجود خامسها والفَضْل سادسها**

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٩٨٤]، وأحمد (٢/ ٢٩٦]، وابن حبان [٣٣٥٥].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٤٤٠٧]، ومسلم [٩٩٣]، والترمذي [٣٠٤٥]، وابن ماجه [١٩٧].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [١٠٣٦]، والترمذي [٢٣٤٣]، وأحمد (٢/ ٣٦٢).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والبرّ سابعها، والشكر ثامنها والصَّبْر تاسعها، واللِّين باقيها
والنّفس تعلم أنّي لا أُصادِقها ولستُ أُرْشَد إلا حين أعْصيها
لا تركننَّ إلى الدّنيا وما فيها فالموتُ لاشك يُفنينا ويُفنيها
واعمل لدار غدًا، رضْوان خازنها والجار أحْمد، والرحمنُ ناشِيها
قصورها ذَهبٌ، والمِسْك طينتها والزّعفران حَشِيشٌ نابتٌ فيها

مراتب الجود:

الجود له مراتب عشر:

أولها- الجود بالنفس:

وهو أعلى مراتب الجود، كما قال الشاعر:

يجودُ بالنّفْس إذْ ضَنّ الجوادُ بِها والجُودُ بالنَّفْس أَقْصَى غاية الجُودِ

عن عِمران بن حُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن امرأة من جُهينة أتت نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي حبلي من الزنى، فقالت: يا نبي الله، أصبتُ حدًا فأقمه على، فدعا نبيُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليها، فقال: «**أحسن إليها، فإذا وضعت فائتني بها**».

ففعل، فأمر بها نبيُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشدت عليها ثيابها[(١)]، ثم أمر بها فرُجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تُصلي عليها يا نبي الله، وقد زنت؟! فقال: «**لقد تابت توبةً لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لو سعتُهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله** تَعَالَىٰ»[(٢)].

ثانيها- الجودُ بالرياسة:

وهو ثاني مراتب الجود، فيحمل الجواد جوده على امتهان رياسته، والجود بها، والإيثار في قضاء حاجات الملتمس.

---

(١) حتى لا تنكشف عورتها.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [١٦٩٦].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذا كجود الحسن بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، جاد بالخلافة على «معاوية» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليُصلح بين طائفتين من المسلمين... فهو سيد من سادات المسلمين الأجواد.

قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: «آخر ما يخرج من رأس الصديقين: حُبُ الرياسة».

فلا يتحررُ من حُبها بعد نيلها إلا من كُملت نفسه.

ثالثها- الجود براحته ورفاهيته:

فيجود بها تعبًا وكدًا في مصلحة غيره، ومن هذا جُودُ الإنسان بنومه ولذته لمسامره، كما قيل

مُتَيَّمٌ بالنّدى لو قال سَائِلُه هب لي جميع كَرى عيْنَيك، لم يَنَمِ

قاسم الحسنُ الله ماله ثلاث مرات، حتى كان يعطي الخُفَّ ويُمسِك النَّعْل.

رابعها- الجود بالعلم وبذله:

وهو أيضًا من أعلى مراتب الجود، والجود به أفضلُ من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرفُ من المال.. وأفضل الجود ما يقربك من مولاك خُطوة، ويُدنيك من الجنة، أو يُعينك بالعلم على طلبها، ويدُلُك على طريقها، لا من يُطعمك الدنيا.

ورحم الله أُمَّ البنين بنت عبد العزيز - أخت عمر بن عبد العزيز حين قالت كلمة تساوي الدنيا وما عليها: «البخيلُ كُلُ البخل من بخل على نفسه بالجنة».

والناس في الجُود بالعلم على مراتب مُتفاوتة. وقد اقتضت حكمةُ الله وتقديره النافذ: أن لا ينفع به بخيلًا أبدًا.

ومن الجود به: أن تبذُله لمن يسألك عنه، بل تطرحُه عليه طرحًا.

ومن الجود به: أن السائل إذا سألك عن مسألة، استقصيت له جوابها جوابًا شافيًا، لا يكون جوابك له بقدر ما تدفعُ به الضرورة.



خامسها- الجود بالنفع بالجاه:

كالشفاعة، والمشي مع الرجل إلى ذي سلطانٍ، ونحوه..وذلك زكاة الجاه المُطالب بها العبد، كما أن التعليم وبذل العلم زكاته.

سادسها- الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه:

كما قال ﷺ: «**يُصبح على كل سُلامي من أحدكم صدقة كل يوم تطلُع فيه الشمس، يعدلُ بين اثنين صدقة، ويُعين الرجل على دابته؛ فيحمله عليها، أو يرفعُ له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خُطوةٍ يمشيها الرجلُ إلى الصلاة صدقة، ويُميط الأذى عن الطريق صدقة**»(١).

سابعها- الجودُ بالعِرض:

كجود عُلبة بن زيد بن حارثة الأنصاري «المتصدق بعرضه»(٢).

❁ وقد كان عُلبة بن زيد بن حارثة رجلًا من أصحاب النبي ﷺ، فلما حض النبي ﷺ أصحابه على النفقة لتجهيز جيش «العسرة»(٣)، سارع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فأنفقوا من أموالهم وجهزوا أنفسهم وغيرهم، سوى «سبعة» من فقراء الصحابة انتهت النفقة عندهم، من بينهم «عُلبة بن زيد» فقام «عُلبه» بالليل وبكى، وقال: «اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها من مال، أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس، فقال النبي ﷺ: «**أين المتصدق هذه الليلة؟**».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٨٢٧]، ومسلم [١٠٠٩].

(٢) كان من البكائين الذين نزل فيهم قول الله تَعَالَى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

(٣) الجيش القاصد «تبوك».



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي رواية: «**أين المتصدق بعرضه البارحة؟**» فلم يقم أحدٌ، ثم قال: «**أين المُتصدق، فليقم**».

فقام إليه فأخبره، فقال النبي ﷺ: «**أبشر فوالذي نفس محمدًا بيده لقد كُتبت في الزكاة المُتقبلة**»(١).

ثامنها- الجُود بالصبر، والاحتمال، والإغضاء:

هذه مرتبةٌ شريفةٌ من مراتبه.. وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال وأعزُّ له وأنصر، وأملك لنفسه، وأشرف لها ..ولا يقدرُ عليها إلا النفوسُ الكبار، كما قال ﷺ: «**من كظم غيظا - وهو قادرٌ على أن يُنفذه -، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّره من الحور العين، يُزوجه منها ما شاء**»(٢).

فمن صُعب عليه الجود بماله، فعليه بهذا الجود، فإنه يجتني ثمرة عواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة. وهذا جودُ الفتوة.

قال تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ [المائدة: ٤٥]

وفي هذا الجود: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

تاسعها- الجود بالخُلق والبشر والبسطة:

وهو فوق الجود بالصبر، والاحتمال والعفو. وهو الذي بلغ بصاحبه درجة

---

(١) **صحيح**: ذكره ابن اسحاق بدون إسناد، وله طريق موصول وصححه الشيخ الألباني في «فقه السيرة» برقم [٤٥١].

(٢) **حسن**: رواه أبو داود [٤٧٧٧]، والترمذي [٢٠٢١]، وابن ماجه [٤١٨٦]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» برقم [٤٧٧٧].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصائم القائم، وهو أثقل ما يوضع في الميزان قال ﷺ: **«لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك ووجهك مُنبسط إليه»**(١).

عاشرها- الجود يترك ما في أيدي الناس:

فلا يلتفتُ إليه ولا يستشرف له بقلبه، ولا يتعرض له بحاله، ولا لسانه..وهذا الذي قال عبد الله بن المبارك فيه: «سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضلُ من سخاء النفس بالبذل».

صور من جود الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-

أبو الضيفان خليلُ الرحمن نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كان أول من أضاف الضيف إبراهيم»**(٢).

قال المناوي: كان يُسمى «أبا الضيفان»، كان يمشى الميل والميلين في طلب من يتغذى معه «في الكشَّاف»: كان لا يتغذى إلا مع ضيف»(٣).

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾

[الذاريات: ٢٤-٢٧]

قال مجاهد: «سماهم «مكرمين» لخدمة إبراهيم إياهم بنفسه»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٦٢٦]، وأبو داود [٤٠٨٤]، وأحمد (٥/ ١٧٣).

(٢) **حسن**: رواه ابن أبي الدنيا في «قرى الضيف» [٣٤٧]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٤١٥].

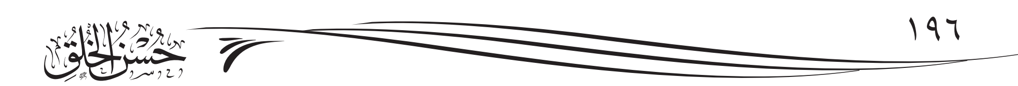
(٣) «فيض القدير» (٤/ ٥٤٣) للمناوي، ط: دار إحياء التراث العربي.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٦٢١٥) للإمام القرطبي، ط: النور الإسلامية.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



يوسف الكريم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الكريم ابنُ الكريم ابنُ الكريم ابنُ الكريم يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»**(١).

قال المناوي: «أي أكرمُهم أصلًا يوسف؛ فإنه جمع شرف النُّبُوة وشرف النسب، وكونه ابن ثلاثة أنبياء متناسقة، فهو رابعُ نبي في نسقٍ واحدٍ، ولم يقع ذلك لغيره، وضمَّ له أشرف علم - الرُّؤيا - ورئاسة الدنيا، وحياطةُ الرعية، وشفقتُه عليهم»(٢).

جود رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أجود الناس:**

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس»(٣).

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان النبيُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلةٍ من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة»(٤).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما سُئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شيء قط فقال: لا»(٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يدخرُ شيئًا لغدٍ»(٦).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣١٩٤]، ومسلم [٢٣٧٨]، وأحمد (٢/ ٤٣١).

(٢) «فيض القدير» (٢/ ٩٠) للمناوي، ط: دار إحياء التراث العربي.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٢٨٧٥]، ومسلم [٢٣٠٧]، والترمذي [١٦٨٧]، وأحمد (٣/ ١٤٧)، وابن ماجه [٢٧٧٢].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٦]، ومسلم [٢٣٠٨]، والنسائي [٢٠٩٥]، وأحمد (١/ ٢٨٨).

(٥) **صحيح**: روه البخاري [٢١٧٤]، ومسلم [٢٣١١]، وأحمد (٣/ ٣٠٧).

(٦) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٣٦٢]، وابن حبان [٦٣٥٦]، وصححه الشيخ الألباني في «التعليق الرغيب» (٢/ ٤٢).


شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن كان الرجلُ ليُسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يُمسى حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وماعليها»(١).

وعن صفوان بن أُمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقد أعطاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أعطاني وإنه لمن أبغض الناس إلىَّ، فما برح يُعطيني حتى إنه لأحبُّ الناس إلىَّ»(٢).

كان جُودُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجميع أنواع الجود: من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده، وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، ولم يزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في أوَّل مبعثه: «والله لا يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصلُ الرحم، وتقرى الضيف، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتُعين على نوائب الحق.

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتى لَو انَّهُ ... ثَناها لِقَبْضٍ لم تُجِبْهُ أنامِلُهْ
تَـراهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلا ... كَأنَّكَ تُعطيهِ الذي أنتَ سائِلُهْ
هو البَحْرُ من أيِّ النَّواحي أتيتَهُ ... فَلُجَّتُهُ المعروفُ والجُودُ ساحِلُهْ

صور عظيمة من جود الصحابة والتابعين

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي صدق بالوحي:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مالُ أبي بكر**».. فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣١٥]، وأحمد (٣/ ١٧٥)، وابن حبان [٦٣٧٣].
(٢) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣١٣].
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٣٦٥٤]، ومسلم [١٠٨]، والترمذي [٣٦٦١]، وأحمد (٢/ ٢٥٣)، وابن ماجه [٩٤].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أنفق زوجًا - أو قال زوجين - من ماله - أراه قال: في سبيل الله -، دعته خزنة الجنة: يا مسلم هذا خيرٌ، هلُم إليه**».

فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذا رجُلٌ لاَتـوَى عليه(١). فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما نفعني مالٌ قط إلا مال أبي بكر**». قال: فبكى أبو بكر وقال: وهل نفعني الله إلا بك؟! وهل نفعني الله إلا بك؟! وهل نفعني الله إلا بك؟!(٢).

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلتُ: اليوم أسبقُ أبا بكر، إن سبقتُه يومًا. فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أبقيت لأهلك؟**». فقلتُ: مثله. قال: وأتي أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيتُ لهم الله ورسولهُ: قلت: لا أُسابقُك إلى شيءٍ أبدًا»(٣).

مَنْ لي بِمثلِ سَيْرِكَ الْمدَلَّلْ ... تَمْشِي رُوَيْدًا وتَجي في الأوَّلْ

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا»..يعني بلالا(٤).

أبُو بكرٍ حَبَا في الله مالا ... وأعْتَقَ في محبَّتِه بِلالا

وقد وَاسَى النبَّي بِكُلِّ فَضْلٍ ... وأسَرعَ في إجابته بِلاَ «لاَ»

لو أنَّ البَحْرَ يقصِدُه بِبَعضٍ ... لَمَا تَركَ إلا لهُ بِلالاَ

---

(١) أي: لا ضياع ولا هلاك.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٦٨٦]، ومسلم [١٠٢٧]، وابن حبان [٤٦٤١].

(٣) **حسن**: رواه أبو داود [١٦٧٨]، والترمذي [٣٦٧٥]، والدارمي [١٦٦٧]، وحسنه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٦٠٢١].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٥٣٤٤]، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٥٣).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال الأعمش: «كنتُ يومًا عند عمر، فأُتي باثنين وعشرين ألف درهم، فلم يقُم من مجلسه حتى فرقها، وكان إذا أعجبه شيءٌ من ماله تصدق به، وكان كثيرًا ما يتصدق بالسُكر، فقيل له في ذلك فقال: إني أُحِبُّه، وقد قال تَعَالَىٰ: ﴿**لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال مجاهد: «كتب عُمر بن الخطاب إلى أبي موسى أن يبتاع له جارية من سبى جلولاء، ففعل، فدعاها عُمر فأعتقها، ثم تلا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢][١].

قَدَ كُنتَ أعدى أعَادِيها — فصرتَ بِفَضل الله حِصنًا لِمن يُعاديها

عثمان ذو النورين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

اشترى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بئر رُومة بأربعين ألف درهم، وأنفق في جيش العُسرة عشرة آلاف درهم.

عن أبي عبد الرحمن أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حُوصِر،، أشرف عليهم وقال: «أنشُدُكم الله، ولا أَنْشُد إلا أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ألستم تعلمون أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من حفر رُومة فله الجنة**»، فحفرتها؟ ألستم تعلمون أنه قال: «**من جهز جيش العُسرة فله الجنة**». فجهَّزته؟ قال: فصدقُوه بما قال[٢].

سيد الخزرج سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الصحابي الجليل، والسيد الكبير، النقيب الأنصاري أبو قيس.

---

(١) «الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود» ص: [٦٤] لعبد الرؤوف المناوي، ط: دار الصحابة بطنطا.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٦١٦]، والدار قطني (٤/ ١٩٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٦/ ١٦٧).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابنُ سيرين: «كان سعدُ بن عُبادة يرجعُ كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصُفة يُعشيهم»(١).

سيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي: سبط وريحانة رسول الله ﷺ.

قيل له: من الجواد؟ قال: «الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها، لرأى على نفسه بعد ذلك حقوقًا»(٢).

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعطي الرجل الواحد مائه ألفٍ(٣).

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه خطب، وقال: «إن الحسن قد جمع مالًا، وهو يريدُ أن يَقسمه بينكم، فحضر الناس، فقام الحسن، فقال: إنما جمعته للفقراء، فقام نصف الناس(٤).

اللهُ أَعْطَاكَ فَابْذُلَ مِنْ عَطِيَّتِهِ فَالْمَالُ عَارِيَةٌ والْعُمرُ رَحَّالُ
الْمَالُ كَالْمَاءِ إِنْ تَحبْس سَوَاقِيه يَأْسن وَإِنْ يَجرْ يَعْذُبْ مِنْهُ سَلْسَالُ

أويس بن عامر القرني عابد وزاهد اليمن:

عن مغيرة قال: «إن أُويسًا القرني ليتصدق بثيابه، حتى يجلس عُريانًا لا يجد ما يروحُ فيه إلى الجمعة».

وقال أصبغ بن زيد: «كان أويسٌ إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم يقول: اللهم من مات جوعًا فلا تُؤاخذني به، ومن مات عُريانًا فلا تُؤاخذني به»(٥).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٧٦) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.
(٢) «لباب الأدب» ص: [١٠٩] للأمير أسامة بن منقذ، ط: دار الكتب السلفية.
(٣) المصدر السابق ص: [٨٤].
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٥٣) للإمام الذهبي، ط: مكتبة الصفا.
(٥) «حلية الأولياء» (٢/ ٨٤) لأبي نُعيم، ط: دار الصحابة.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net



الربيع بن خُثيم سيد من سادات التابعين:

قال مُنذرٍ: «كان الربيع بن خُثيم إذا أخذ عطاءه فرَّقه، وترك قدر ما يكفيه(١).

وكان لا يُعطي السائل كِسرةً ولا شيئًا مكسورًا ولا ثوبًا خِلقًا، ويقول: أستحي أن تُقرأ صحيفتي على الله تَعَالَىٰ وفيها الأشياء التافهةُ التي أعطيتهُا لأجله»(٢).

أيها المسلمون: حركُوا هممكم إلى الخير وأزعجوا، وحُثوا عزائمكم على الجد وأدجلوا، والتفتوا عن الحرص على المال وعرجُوا، وآثروا الفقير بما تُؤثرون ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢].

ويحكُم السير حثيث، ولا منجد لكم ولا مُغيث، فبادروا بالصدقة المواريث: ﴿**وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ**﴾ [البقرة: ٢٦٧]. ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢].

كم قطعت الآمالُ بتا، كم مُصيفٍ ما أربع ولا شتى، كم عازم على إخراج ما تأتي، سبقته المنُون ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢].

يا حريصًا ما يستقر، يا طالبًا للدنيا ما يقر، إن كنت تُصدق بالثواب فتصدق في السر بالمحبوب المصون ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢].

يا بخيلًا بالفتيل، وشحيحًا بالنقير، يا صريعًا بالهوى إلى متى عقير، تختار لنفسك الأجود ولربك الحقير، وما لا يصلح لك من الشيء تُعطيه الفقير، فما تختارُ لنا كذا يكون ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢].

---

(١) «التبصرة» (٢/ ٢٥٥) لابن الجوزي، ط: دار ابن الهيثم.

(٢) «تنبيه المغتربين» ص: [٩٣] للشعراني، ط: دار ابن القيم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اكتسابك على أغراضك أنفقت، أمرجت نفسك في الشهوات وأطلقت، ونسيت الحساب غدًا وما أشفقت، فإذا رحمت الفقير وتصدقت، أعطيت الَّرديَّ والدُّون: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. أما المسكين أخوك من الوالدين، فكم كففت عن إعطائه اليدين، كيف تحثُ على النفل والزكاة عليك دين؛ وأنتم فيها تتأولون ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].يا وحيدًا عن قليل في رمسه، يا مُستوحشًا في قبره بعد طُول أُنسه، لو قدم خيرًا نفعه في حبسه ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

تجمع الدينار على الدينار لغيرك، وينساك من أخذ كل خيرك، ولا تزودت منه شيئًا لسيرك هذا هو الجنون ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢][١].



(١) «التبصرة» (٢/ ٢٦٠) لابن الجوزي، ط: دار ابن الهيثم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التواضع

التواضع: هو الاستسلام للحق، وترك الاعتراض في الحكم، وهو خفض الجناح ولين الجانب، وأن تخرج من بيتك ولا تلقي مسلمًا إلا رأيت له عيلك فضلًا، وأن تخضع للحق وتنقاد له، وتقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبى قبلهُ، ولو سمعه من أجهل الناس قبله(١).

فضل التواضع:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال فخر الدين الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كمال فضل الله في حق محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه عرفه مفاسد الفظاظة والغلظة، «ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك، وفات المقصود من البعثة والرسالة(٢).

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]

قال القاسمي: يقول تَعَالَىٰ: ناهيًا عباده عن التجبر والتبختر في المشية ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي متبخترًا متمايلًا مشي الجبارين ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: لن تقطع الأرض بمشيك ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ أي: بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك(٣).

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٤٢) لابن القيم، ط: دار الأدب العربي، «وإحياء علوم الدين» (٣/ ٣٤٢) للغزالي، ط: دار الصحابة.

(٢) «التفسير الكبير» (٩/ ٥٢) للإمام فخر الدين الرازي، ط: المكتبة التوفقية.

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٨) للحافظ ابن كثير، ط: مؤسسة الخلود.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

قال أبو حيان: «من اتبعك مؤمنًا فتواضع له»[١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي ألِن جانبك لمن آمن بك، وتواضع لهم»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي سكينة ووقارًا متواضعين، غير أَشِرين ولا مرحين ولا متكبرين». وقال الحسن: «علماء حكماء»

وقال محمد ابن الحنفية: «أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سُفِه عليهم حلموا»[٣].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي بسكينة ووقار، من غير جبرية ولا استكبار»[٤].

وقال عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر أن صفاتهم أكمل الصفات، ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم: ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أي: ساكنين متواضعين لله وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة، والتواضع لله ولعباده»[٥].

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته. وإذا تكبر قيل للملك: دع حكمته**»[٦].

---

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٤٦) لأبي حيان، ط: المكتبة التوفقية.
(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٢٥١) للقرطبي، ط: النور الإسلامية.
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٧) لابن القيم، ط: دار «الأدب العربي».
(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٩٩) لابن كثير، ط: مؤسسة الخلود.
(٥) «تيسير الرحمن» (٥/ ٤٩٣) للشيخ السعدي، ط: الدار السلفية.
(٦) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢١٨) وحسنه الشيخ في «السلسلة الصحيحة» برقم [٥٣٥]، و«صحيح الجامع» [٥٥٥١].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله أوحي إلى: أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد**»(١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تعالى أوحي إليَّ: أن تواضعوا، ولا يبغ بعضكم على بعض**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما استكبر من أكل معه خادُمه، وركب الحمار بالأسواق، واعتقل الشاة فحلبها**»(٣).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال: «**اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين**»(٤).

قال ابن الأثير: «أراد به التواضع والإخبات، وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين»(٥).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «تنويهًا بشرف هذا المقام وفضله»(٦).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمسكين المحمود هو المتواضع الخاشع لله، ليس المراد بالمسكنة عدم المال، بل قد يكون الرجل فقيرًا من المال وهو جبار.. فالمسكنة خُلُق في

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٨٦٥] وأبو داود [٤٨٩٥]، وابن ماجه [٤١٧٩]، وأبو نعيم في «الحليه» (٢/ ١٧).

(٢) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٤٢٦]، وابن ماجه (٤/ ٤٢) وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم [٢٥٧٠] و«صحيح الجامع» برقم [١٧٢٢].

(٣) **حسن**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٥٥٠]،والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٨٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم [٢٢١٨]، و«صحيح الجامع» برقم [٥٤٠٣].

(٤) **حسن**: رواه الترمذي [٢٣٥٢]، وابن ماجه [٤١٢٦]، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١٦٧) وحسنه الشيخ الألباني في «إرواء الغليل» (٣/ ٣٦٣).

(٥) «النهاية في غريب الحديث والآثر» (٢/ ٣٨٥) لابن الأثير، ط: دار ابن جزيمة.

(٦) «الخشوع في الصلاة»، ص: [١٠] لابن رجب، ط: دار ابن القيم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النفس، وهو التواضع والخشوع، واللِّين ضدُّ الكبر، كما قال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢](١).

وقال السُبكي مُخبرًا عن والده: «وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم أحيني مسكينًا**»: إن المراد به استكانةُ القلب»(٢).

فمن استكان قلبُه لله عَزَّ وَجَلَّ له، وتواضع لجلاله وكبريائه، وعظمته وخشيته، ومحبته ومهابته - جبره الله.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عِزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(٣).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: **«وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»:**

فيه وجهان: أحدهما- يرفعه الله في الدنيا، ويُثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويُجِلُّ مكانه.

والثاني- أن المراد ثوابه في الآخرة، ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا»(٤).

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وجدنا الكرم في التقوى، والغني في اليقين، والشرف في التواضع».

وقال مُصعب بن الزبير: «التواضع مصايد الشرف».

وقال إبراهيم بن شيبان: «الشرف في التواضع، والعزُّ في التقوى، والحرية في القناعة».

---

(١) «مجموع الفتاوي» (١٨/ ٣٨٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: دار رحمة.

(٢) «طبقات الشافعية» (٣/ ١٣٤) لابن السبكي، ط: دار ابن الأثير.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٨٨].

(٤) «شرح مسلم» (١٦/ ١٤٣) للإمام النووي، ط: مكتبة الإيمان.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net


وقال عروة بن الورد: «التواضع مصائد الشرف، وكلُّ نعمة محسودٌ عليها صاحبها إلا التواضع».

التواضع علامة على محبة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه صفات المؤمنين الكُمل؛ أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليِّه، مُتعزِّزًا على خصمه وعدوِّه»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لما كان الذلُّ منهم ذُلَّ رحمة وعطف وشفقة وإخبات، عدّاه بأداة «على» تضمينًا لمعاني هذه الأفعال؛ فإنه لم يُرد به ذل الهوان الذي صاحبهُ ذليل، وإنما هو الذل والانقياد الذي صاحبهُ ذلول، فالمؤمن ذَلُولٌ. وقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. هو عزَّة القوة والمنعة والغلبة. قال عطاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «المؤمن للمؤمن كالوالدِ لولده، وعلى الكافرين كالسَّبعُ على فريسته». كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. وهذا عكس حال من قيل فيهم:

كِبْرًا علينا وجُبنًا عن عدوِّكُمُ ... لَبئْستِ الخلَّتانِ: الكِبْرُ والجبْنُ[٢]

والعلو كلُّ العلوِّ في الدارين للمتواضعين؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]. قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يخبر تَعَالَىٰ أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٨٣]. أي ترفعًا على خلق الله، وتعاظُمًا عليهم، وتجبرًا عليهم، ولا فسادًا فيهم»[٣].

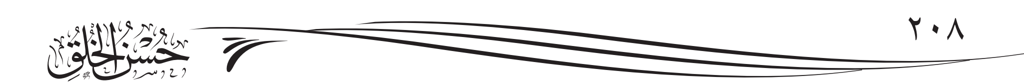
---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٧٣) للحافظ ابن كثير. ط: دار المعرفة.

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٧-٣٢٨) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العربي.

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٠٢) للحافظ ابن كثير، ط: دار المعرفة.


شبكة الألوكة - قسم الكتب



التواضعُ المحمودُ على نوعين:

النوع الأول: تواضع العبد عند أمر الله تَعَالَىٰ امتثالًا، وعند نهيه اجتنابًا، فإن النفس لتطلب الراحة تتلكأُ في أمره فيبدو منها نوعُ إباء وشرود هربًا من العبودية، وتثبتُ عند نهيه طلبًا للظفرِ بما مُنِع منه، فإذا وضع العبدُ نفسه لأمر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية.

والنوع الثاني: تواضع لعظمة الرب وجلاله، وخصوعه لعزته وكبريائه، فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وَتَفُردَهُ بذلك، وغضبه الشديد على من نازعه ذلك، فتواضعت إليه نفسه، وانكسر لِعَظمة الله قلبُه واطمأن لهيبته، وأخبت لِسُلطانه، فهذا غاية التواضع، وهو يستلزمُ الأول من غير عكس والمتواضع حقيقة رُزق الأمرين معًا[1].

الفرق بين التواضع والمهانة:

والفرق بين التواضع والمهانة «أو الذل»: أن التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه – ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولد من ذلك كله خلق هو «التواضع» وهو انكسارالقلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة لعباده، فلا يرى له على أحد فضلًا، ولا يرى له عند أحدٍ حقًا، بل يرى الفصل للناس عليه والحقوق لهم قِبَلَه، وهذا خلُقُ إنما يُعطيه اللهُ عَزَّوَجَلَّ من يُحبّهُ ويُكرمُه وَيُقرِّبُهُ.

وأما المهانة «الذُل»: فهي الدناءةُ والخسةُ وبذلُ النفس أو ابتذا لُها في نيل حُظُوظها وشهواتها كتواضع السَّفل في نيل شهواتهم، وتواضع طالب كلّ حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضِعةٌ لا تواضع، والله – سبحانه- يُحبُ التواضع ويبغُضُ الضِّعة والمهانة.

---

(١) «الروح» ص: (٢١٠–٢١١) للإمام ابن القيم، ط: دار الإيمان



www.alukah.net
شبكة الألوكة

درجات التواضع:

قال شيخ الإسلام الهروي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التواضع على ثلاث درجات:

الدرجة الأول- التواضعُ للدِّين: وهو أن لا يُعارض بمعقولٍ منقولًا، ولا يتهم للدِّين دليلًا، ولا يرى إلى الخلاف سبيلًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التواضع للدين»: هو الانقياد لما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاستسلام له، والإذعان.

الدرجة الثانية: أن ترضى بما رضي الحقُّ به لنفسه، عبدًا من المسلمين أخًا، وأن لا تردَّ على عدوِّك حقًا، وأن تقبل من المعتذر معاذيره.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان الله قد رضى أخاك المسلم لنفسه عبدًا، أفلا ترضى أنت به أخًا؟! فعدم رضاك به أخًا وقد رضيه سيِّدك الذي أنت عبدُه - عبدًا لنفسه- عينُ الكبر. وأيُّ قبح من تكبر العبد على عبد مثله، لا يرضى بأخوته، وسيده راض بعبوديته؟!

الدرجة الثالثة: «أن تتواضع للحق، فتنزل عن رأيك وعوائدك في الخدمة ورؤية حقك في الصحبة، وعن رسمك في المشاهدة».

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول: «التواضع» بأن تخدم الحق سبحانه وتعبده بما أمرك به، على مقتضى أمره لا على ما تراه من رأيك، ولا يكون الباعث لك داعي العادة، كما هو باعث من لا بصيرة له، غير أنه اعتاد أمرًا فجرى عليه، ولو اعتاد ضدَّه لكان كذلك.

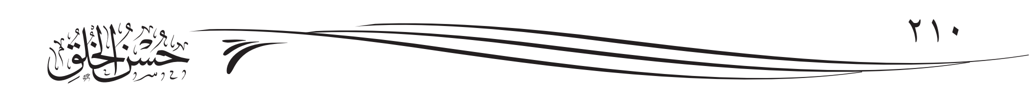
صور من تواضع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشدِّ الناس تواضعًا مع ربه، ومع أهل بيته، ومع الناس جميعًا، ولقد برز ذلك واضحًا جليًا في سيرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإليك جانبًا من تواضعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



تواضعه مع ربه عَزَّ وَجَلَّ:

لقد اختار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون عبدًا رسولًا عن أن يكون ملكًا نبيًّا؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جلس جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا ملك ينزل، فقال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: أن هذا الملك ما نزل يوم خُلِق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربُّك قال: أفملكًا نبيًا يجعلك، أو عبدًا رسولًا؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد قال: «بل عبدًا رسولًا»(١).

تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الناس:

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان يمرُّ على الصبيان فيُسلم عليهم**»(٢).

وعن جرير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كان يمُر بالنساء فيُسلم عليهن**»(٣).

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كانت الأمة تأخذ بيده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتنطلق به حيث شاءت»(٤).

وعن سهل بن حنيف قال: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم»(٥).

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ٢٣١)، وابن حبان [٦٣٦٥]، وأبو يعلى [٦١٠٥]، وصححه الشيخ الأرنؤوط في «تحقيق المسند» برقم [٤٥٧٣].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٤٢]، ومسلم [١٧٣٢].

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢٧٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٣٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٨٩١].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٥٤١٧].

(٥) **صحيح**: رواه الحاكم (٢/ ٢٥٣)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٤٥) وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٢١١٢].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: إن كان رسول الله ﷺ ليُخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير، ما فعل النُغير؟»[(١)].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ يتخلف في المسير فيزجي الضعيف، ويردف، ويدعو لهم»[(٢)].

ماذا يقولُ الواصفون لهُ فإن صفاتهِ جلتَ عن الحصرِ

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه ذُكر رسول الله ﷺ فقال: «لا والله، ما كانت تُغلق دونه الأبواب، ولا يقوم دونه الحجاب، ولا يُغدي عليه بالجفان، ولا يروح عليه بها، ولكنه كان بارزًا، من أراد أن يلقى نبي الله لقيه، وكان يجلس بالأرض، ويُضع طعامُه بالأرض، يلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويُردف عبده ويعلف دابته بيده»[(٣)].

وعن ابن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: «كان يُكثر الذكر، ويُقلُّ اللَّغْوَ، ويُطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي له حاجته»[(٤)].

تواضعه ﷺ مع أهل بيته:

عن الأسود بن يزيد قال: «سُئلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة، قام إلى الصلاة»[(٥)].

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٧٧٨]، ومسلم [٢١٥٠]، والترمذي [٣٣٣]، وأبو عمير: أخٌ لأنس من أمه، وهو ابن أبي طلحة الأنصاري. **والنُغير**: تصغير النُغر، وهو عصفور صغير.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [٢٦٣٩]، والحاكم (٢/ ١٢٦) وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم [٢٠٢١].

(٣) «صفة الصفوة» (١/ ١٦٨ - ١٦٧) لابن الجوزي، ط: دار ابن الهيثم.

(٤) **صحيح**: رواه النسائي [١٤١٤]، والحاكم (٢/ ٦٧١)، وابن حبان [٦٤٢٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٨٨١].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٤].



وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إنما كان فراش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ينام عليه، أدمًا حَشوه ليفٌ»(١).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضيف»(٢).

وعن أنس قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤتي بالتمر فيه دُود، فيفتشه، ويُخرج السُّوس منه»(٣).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أكل طعامًا، لعق أصابعه الثلاث»(٤).

وعنه أيضًا قال: «ما علمتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكل على سُكُرُّجة قط، ولا خُبز له مرقَّق قط، ولا أكل على خِوان قط».

قيل لقتادة: «فعلام كانوا يأكلون؛ قال: على السفر»(٥).

كَفَاكَ عَنْ كُلِّ قَصْرٍ شَاهِقٍ عُمُدهُ ... بَيْتٌ مِنَ الطِّينَ أَوْ كَهْفٌ مَنِ الْعَلَمِ

تَبْنِي الْفَضَائِل أَبْرَاجًا مُشَيَّدَةً ... نَصْبَ الخْيامِ التَّي مَنْ أَرْوَعِ الْخِيَمِ

إِذَا مُلُوكُ الْوَرَى صَفُّوا مَوَائِد هُمْ ... عَلَى شَهِيٍّ مِنَ الأَكَلاتِ وَالأُدُمِ

صَفَفْتَ مَائِدَةً لِلرُّوحِ مَطْعَمُها ... عَذْبٌ مِنَ الوَحْي أَوْ عَذْبٌ مِنَ الْكَلِمِ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٠٨٢].

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ١٢٩) وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ١٥٥).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود [٣٨٣٢] وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم [٢١١٣].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم [٢٠٣٢].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٥٠٧١].

والخوان: هو الشيء المرتفع يهيأ ليُؤكل الطعام عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صور مُشرقة من تواضع الصحابة والتابعين والصالحين

قال أبو بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وددتُ أني شعرةٌ في جنب عبد مؤمن».

وقالت أُنسية: نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين ثنتين قبل ما يُستخلف، وسنة بعد ما استخلف فكان جواري الحيّ يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن.

وعن حزام بن هشام، عن أبيه، قال: «رأيتُ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرَّ على امرأةٍ وهي تعصد عصيدة لها، فقال: ليس هكذا يُعْصد. ثم أخذ المسوط فقال: هكذا. أراها».

تواضع تكنْ كالنجم لاحَ لناظرٍ … على صفحَاتِ الماءِ وهْوَ رفيعُ
ولا تكُ كالدُّخانِ يعلو بنفسهِ … إلى طبقاتِ الجوِّ وهْوَ وضِيعُ

عن ميمون بن مهران قال: «أخبرني الهمداني أنه رأى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بغلة، وخلفه عليها غُلامه نائل وهو خليفة

وقال أيضًا: رأيتُ عثمان نائمًا في المسجد في ملحفة، ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين».

وقال سعد بن الحسن التميمي: «كان عبد الرحمن بن عوف لا يُعرف من بين عبيده. **يعني**: من التواضع في الزِّيِّ».

وقال عبد الله بن أبي الهذيل: «رأيتُ عمارًا اشترى قتًا[1] بدرهم،وحمَله على ظهره وهو أمير الكوفة».

قال يوسف بن أسباط:

وكفى بمُلتمِسِ التواضع رِفْعةً … وكفى بمُلْتمِسِ العُلوِّ سِفالا

(١) **القت**: الفصفصة، وهي الرطبة من علف الدواب.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر:

إنَّ التواضعَ مِن خصالِ المتقي ... وبِه التقيُّ إلى المعالي يرتقي

قال يحيى بن معين: «ما رأيت مثل أحمد بن حنبل !!صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير.

وقال إسماعيل بن اسحاق الثقفي: «قلتُ لأبي عبد الله أول ما رأيتهُ: يا أبا عبد الله، ائذن لي أن أُقبِّل رأسك. فقال: لم أبلغ أنا ذاك.

وذكر الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الإمام أحمد نزل سوق بغداد فاشترى حزمة من الحطب وحملها على ظهره، فلما رآهُ الناس قالوا يا أحمد نحمل عنك الحطب. فدمعت عيناه واحمر وجهه وقال: نحن قومٌ مساكين لو ستر الله علينا لافتضحنا[(١)].

تواضعْ إذا ما نلْتَ في الناسِ رفعة ... فإنَّ رفيع القومِ مِن يتواضَعُ

وقال آخر:

تواضع إذا ما كان قدرُك عاليًا ... فإنَّ تواضع المرءِ من شيَمِ العقلِ

وقال آخر:

وأحبُّ مقرونْين في عيْنِ ناظرٍ ... جلالةُ قدْرٍ في خمولِ تواضعِ



(١) هذه النماذج والصور والآثار من «كتاب الزهد» ص: [٥٢] لابن المبارك، ط: دار الفكر، ومن «أخلاق الداعية» ص: (٣٣-٣٦) لسلمان العودة، ط: دار ابن حزم، و«أحياء علوم الدين» (٣/ ٣٧٦) للغزالي ط: دار الصحابة، و«مناقب أحمد بن حنبل» ص: (٣٣٤-٣٤٧) لابن الجوزي، ط: مكتبة الصفا.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحياء

الحياء: أمارة صادقة على طبيعة الإنسان؟ فهو يكشف عن قيمة إيمانه ومقدار أدبه. وعلى حسب حياة القلب، يكون خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وهو يتولد من رؤية الآلاء ورؤية التقصير، وحقيقته: خُلُقٌ يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حقِّ صاحب الحق.

اللّه عَزَّوَجَلَّ حييٌ يُحبُّ الحياء

عن سلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله حييٌ كريم، يستحي أن يرفع الرجل إليه يديه أن يردَّهما صِفرًا خائبتين**»(١).

وعن يعلى بن أُميَّة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله تعالى حييٌ ستير يحبُ الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما حياءُ الرب تَعَالَىٰ من عبده، فذاك نوعٌ آخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول؛ فإنه حياءُ كرم وبرٍّ وجودٍ وجلالٍ؛ فإنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حييٌ كريم، يستحي من عبده، إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام(٣).

وقال المباركفوري: «قوله: إن الله حييٌ»: فعيل من الحياء، أي كثير الحياء، ووصفه تَعَالَىٰ بالحياء يُحمل على ما يليق له، كسائر صفاته، نؤمن بها ولا نكيفها»(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود [١٤٨٨]، والترمذي [٣٥٥٦] وقال الترمذي «حسن غريب» وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ١٧٩)، و«صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٣١).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٠١٢]، والنسائي [٤٠٧]، والبيهقي (٦/ ١٦١) وأحمد (٤/ ٢٢٤) وصححه الشيخ الألباني في «الإرواء» (٧/ ٣٦٧) و«صحيح سنن النسائي» (١/ ٨٧).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١) لابن القيم، ط: دار الأدب العربي.

(٤) «تحفة الأحوذي» (٩/ ٥٤٤) للمباركفوري، ط: دار ابن حزم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



وقال المناوي: «قال التوربشتي: وإنما كان الله يحبُّ الحياء والستر؛ لأنهما خصلتان يُفضيان به - أي بالعبد - إلى التخلق بأخلاق الله»(١).

وقال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من وافق الله في صفةٍ من صفاته، قادته تلك الصفة إليه بزمامها، وأدخلته على ربه، وأدنته وقربته من رحمته، وصيرته محبوبًا؛ فإنه سُبْحَانَهُ رحيم يحبُّ الرحماء، كريم يُحب الكرماء، عليمٌ يحبُّ العلماء، قويٌ يحبُّ المؤمن القويَ، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حيٌ يُحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال وترٌ يحبُّ الوتر»(٢).

فضائل الحياء:

الحياء خُلُقٌ عظيم، ومقامٌ كبير، ويكفي أنه صِفة من صفات رب العالمين.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»(٣).

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن لكل دينٍ خُلقًا، وإن خُلُق الإسلام الحياء**»(٤).

وعن عمران بن حُصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الحياء خيرٌ كله**»(٥).

---

(١) «فيض القدير» (٢/ ٢٢٨) للمناوي، ط: دار إحياء التراث.

(٢) «الجواب الكافي» ص: [٧٧] لابن القيم، ط: دار الدعوة، وانظر: «الحياء خُلق الاسلام» ص: (٢٠-٢٢) لمحمد إسماعيل المقدم، ط:دار الصفوة.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٩٦]، وأبو داود [٤٧٩٤]، وأحمد (٤/ ١٢١)، وابن ماجه [٤١٨٣].

(٤) **حسن**: رواه ابن ماجه [٤١٨١]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢١٤٥].

(٥) **صحيح**: رواه مسلم [٣٧].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **«الحياء لا يأتي إلا بخير»**(١).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الحياء والإيمان قُرِنا جميعًا، فإذا رُفِع أحدهما رُفِع الآخر»**(٢).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الحياء والعيُّ**(٣) **شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان**(٤) **شعبتان من النفاق»**(٥).

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الحياء من الإيمان»**(٦).

إنَّ الحياءَ من الإيمانِ جاءَ به ... لفظُ النبي وخيرٌ كلُّه فبهِ
فليتصفْ كلُّ مَن يرى مشاهدُه ... وليسَ يعرفُ هذا غيرُ مُنْتبهِ
مستيقظٌ غيرُ نوام ولا كَسِلٍ ... مراقبٌ قلبهُ لدى تقلُّبهِ
إنَّ الحييَّ من أسماء الله وقدْ ... جاءَ التخلُّق بالأسماءِ فاحظَ بِهِ

وقال أعرابيٌ من طيِّئ:

فلا وأبيك ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدُنيا إذا ذهبَ الحياءُ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٧٦٦]، ومسلم [٣٧].

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣)، والبيهقي في «شُعب الإيمان» (٦/ ١٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» [١٣١٣]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٥٩٩].

(٣) **العي**: سكوت اللسان خشية الوقوع فيما لا يحل.

(٤) **البيان**: فصاحه اللسان وإن كان بغير حق.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٠٢٧]، وأحمد (٥/ ٢٦٩)، والحاكم (١/ ٥١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣١٩٦].

(٦) **صحيح**: رواه مسلم [٣٦]، والترمذي [٢٦١٥].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقى العُودُ ما بقيَ اللحاءُ

وقال الشاعر طرفة بن العبد:

حياؤكَ فاحفظْهُ عليكَ فإنمَّا يدلُّ على فضل الكريم حياؤهُ
إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قل حياؤُهُ ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤهُ

قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الحياء رأس مكارم الأخلاق» وقال ابن عطاء: «العلم الأكبر: الهيبة والحياء؛ فإذا ذهبت الهيبة والحياء، لم يبق فيه خير؛ أي في القلب».

وقال ذو النون: «الحياء وجود الهيبة في القلب، مع وحشةٍ ما سبق منك من ربك».

وقال أبو العباس المؤدب: «قال السري: إن الحياء والأنس يطرقان القلب، فإذا وجدا فيه الزهد والورع: حطَّا، وإلاَّ رَحَلَا».

وقال الفضيل: «خمس من علامات الشقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل».

وقال أبو على الدقاق: «الحياءُ ترك الدعوى بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ».

وقال أبو بكر: «ربما أُصلي لله تَعَالَىٰ ركعتين، فأنصرف عنهما وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة؛ من الحياء».

وقال وهب بن منبه: «الإيمان عريان، ولباسُه التقوى، وزينته الحياء».

وقال الحسن: «الحياءُ والتكرُّم خصلتان من خِصال الخير، لم يكونا في عبدٍ إلا رفعه الله بهما».

وقال الأصمعي: «سمعت أعرابيًا يقول: من كساه الحياء ثوبه، خفى عن الناس عيبهُ».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي التفسير: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

قالوا: الحياء.

والحياء تمام الكرم، ومواطن الرضا، وممهِّد الثناء، وموفِّر العقل، ومعظم القَدْر، وداع إلى الرغبة».

وقيل: «كفي بالحياء على الخير دليلًا، وعن السلامة مخبرًا، ومن الذمِّ مجيرًا»[(١)].

قال العَرْجِيُّ:

إذا حُرِمَ المرءُ الحياءَ فإنَّه ... بِكلِّ قَبيحٍ كانَ مِنهُ جديرُ
لهُ قِحَةٌ في كلِّ شيءٍ وسرهُ ... مُباحٌ وجِدْناهُ خَنًا وغُرورُ
يرى الشَّتم مَدْحًا والدناءةَ رِفْعةً ... وللسَّمْعِ منه في العظاتِ نُفورُ
وَوَجْهُ الحياءِ مُلْبَسٌ جِلَد رِقَّةٍ ... بغِيض إليه ما يَشين كثيرُ
لهُ رغبةٌ في أمرِهِ وتجرُّدٌ ... حليمٌ لدى جهْلِ الجهُولِ وقورُ

أقسام الحياء:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينقسم الحياء إلى عشرة أوجه: حياء الجناية. وحياء التقصير. وحياء الإجلال. وحياء الكرم. وحياء الحشمة. وحياء استصغار النفس واحتقارها. وحياء المحبة. وحياء العبودية. وحياء شرفٍ وعزةٍ. وحياء المُستحي من نفسه»[(٢)].

أولًا- حياءُ الجنايةِ:

ومنه: حياء آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمـاَّ فرَّ هاربًا في الجنة، قال الله تَعَالَىٰ له: أفرارًا مني يا آدم؛ قال: لا يا رب؛ بل حياءً منك.

---

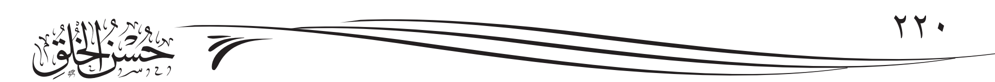
(١) هذه الآثار من كتاب «مكارم الأخلاق»: ص: [١٦]. لابن أبي الدنيا، ط: دار المعارف، و«بهجة المجالس» (١/ ٥٩٠) لابن عبد البر، «ولبان الآدب» ص: (٢٨٤-٢٨٧). لأسامة بن منقذ، ط: مكتبة السنة.

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العربي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



ومنـه: حيـاء الأنبيـاء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ في عرصـات القيامـة، وليـس عندهـم مـا يُزري بمراتبهم العالية السامية.

فعـن أنـس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: **«يجمـع اللهُ النـاس يـوم القيامة، فيهتمون لذلك، فيقولون: لو استشـفعنا إلى ربنا، حتى يُريحنا من مكانِنا هـذا؛ قـال: فيأتون آدم، فيقولون: أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحه، وأمر الملائكة فسجدُوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: «لستُ هناكم» فيذكر خطيئته التي أصاب، فيسـتحيِ ربه منها.. «ولكن ائتوا نوحًا: أول رسـول بعثه الله إلى أهل الأرض». قال: فيأتون نوحًا، فيقول: «لستُ هناكُـم». فيذكر خطيئته التي أصاب، فيسـتحي ربَّـه منها..«ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا». فيأتون إبراهيم، فيقول: «لسـت هناكم». وذكر خطيئته التي أصاب، فيستحي ربه منها. «ولكن ائتو موسى الذي كلمه الله، وأعطاه التوارة قال: فيأتون موسى، فيقول: «لستُ هناكم». ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيِ ربَّـه منها.. «ولكن ائتوا عيسـى روح الله وكلمته» فيأتون عيسـى روح الله وكلمته، فيقـول: «لسـت هناكـم، ولكن ائتـوا محمدًا؛ عبـدًا غفر الله له ما تقـدم من ذنبه وما تأخر»** قال: قال رسـول الله ﷺ: **«فيأتونني، فأسـتأذن على ربي، فيُأذن لي، فإذا أنا رأيتُه وقعت ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، فيُقال: يا محمد، ارفع؛ قل يُسمع، سل تعطه، اشفع تشفع»**(١).

قال محمد بن حاتم: قال الفُضيل بن عياض: «لو خُيرتُ بين أن أُبعث فأدخل الجنة، وبـين أن لا أُبعث، لاخترت أن لا أبعث». قيل لمحمد بن حاتم هذا من الحياء؛ قال: نعم وشـهد الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ الموقف الأشرف يوم عرفات، فرفع رأسـه إلى السماء، وقد قبض على لحيته، وهو يبكي بكاء الثكلى، ويقول: «واسوأتاه منك، وإن عفوت !!».

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٧٠٠٢]، ومسلم [١٩٣].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا خجلةَ العبدِ من إحسانِ سَّيدِهِ ... يا حْسرَةَ القلبِ من ألْطافِ معناهُ

فكمْ أسأتُ وبالإحسانِ قابلني ... واخجلتي واحَيائي حينَ ألقاهْ

يا نفسُ كمْ بخفيِّ اللَّطف عامَلني ... وقد رآني على ما ليسَ يرضاهُ

يانفسُ كمْ زلَّةٍ زلّتْ بها قدمي ... وما أقالَ عِثاري ثَمَّ إلَّا هو

يا نفسُ توبي إلى مولاكِ واجتهدي ... وصابِري فيه إيقانًا برؤياهُ

لما احتُضر الأسود بن يزيد بكى، فقيل له: «ما هذا الجزعُ؛ قال: مالي لا أجزعُ؛! ومن أحقُ بذلك مني؛! والله لو أُتيتُ بالمغفرةِ من الله عَزَّوَجَلَّ لأهمني الحياء منه مما صنعتُ! إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه، ولا يزالُ مستحييًا منه..

يا حسرةَ العاصينَ عند معادِهْم ... هذا وإنْ قدِموا على الجنَّات

لو لم يكنْ إلّا الحياء مِنَ الذي ... ستر القبيح فيالها حسراتِ

قال الحسن: «لو لم نبك إلا للحياء من ذلك المقام، لكان ينبغي لنا أن نبكي فنُطيل البكاء».

دخل أبو حامد الخلقاني على الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة، فأنشده هذه الأبيات.

إذا ما قالَ لي ربِّي ... أمَا استحيْيتَ تعصيني

وتُخفى الذنبَ مِن خَلْقى ... وبالعِصيانِ تأتيني

فما قولي لهُ لمَّا ... يُعاتبني ويُقْصِيني

فأمره الإمام أحمد بإعادتها، فأعادها عليه، فدخل غرفته وأغلق على نفسه وجعل يُردد هذه الأبيات ويبكي.

إذا مَا خَلوت الدهرَ يومًا ... فلا تقل خلوتُ وقل على رقيبُ

ولا تحسبن الله يغفُل طرفةً ... أو أن ما تُخفِيه عنهُ يَغيبُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإذا خلوت بريبةٍ في ظلمةٍ ... والنفْسُ داعيةٌ إلى الطغيانِ
فاسْتحي من نظَرِ الإله وقُلْ لها ... إنَّ الذي خلَقَ الظلامَ يراني

حياء التقصير:

كحياء الملائكة الذين يسبحون لله تَعَالَىٰ تسبيحًا لا ينقطع لا في الليل ولا في النهار، ومُستغرقين في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، وهم يفخرون على بني الإنسان بذلك، وحق لهم أن يفخروا، ومع هذا فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبد ناك حقَّ عبادتك.

حياء الإجلال:

هو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربهِّ يكون حياؤه منه قال عمرو ابن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «والله، إن كنتُ لأشدَّ الناس حياءً من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فما ملأتُ عيني من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ولا راجعتُه بما أُريد، حتى لحق بالله عَزَّوَجَلَّ، حياءً منه»[(١)].

وها هو عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في موقف يظهرُ حياءه إجلالًا لكبار الصحابة ممن هم أسنُ منه:

فعن عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقُط ورقُها، وهي مَثَلُ المسلم، حدِّثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييتُ، فقالوا يا رسول الله، أخبرنا بها. فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هي النخلة**». قال عبد الله: فحدَّثتُ أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحبَّ إليّ من أن يكون لي كذا وكذا[(٢)].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٤/ ٢٠٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٥٧].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦١].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أشتاقه فإذا بدا أطرقت من إجلاله
لا حيفة بل هيبة وصيانة لجماله
الموت في إدباره والعيش في إقباله
وأصد عنه إذا بدا وأروم طيف خياله

حياء الكرم:

كحياء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب، وطوَّلوا الجلوس عنده، فقام واستحيا أن يقول لهم: انصرفوا، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

حياء الحشمة:

كحياء علي بن أبي طالب أن يسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المذى، لمكان ابنته منه: عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنتُ رجلًا مذَّاء، فأمرت المقداد أن يسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله، فقال: «**فيه الوضوء**». ولفظه في رواية أخرى: كنتُ رجُلًا مذاءً، فأمرتُ رجلًا أن يسأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لمكان ابنته – فسأل، فقال: «**توضأ واغسل ذكرك**»(١).

حياء الاستحقار واستصغار النفس:

كحياء العبد من ربه عَزَّوَجَلَّ حين يسأله حوائجه، احتقارًا لشأن نفسه، واستصغارًا لها.

حياء المحبة:

هو حياء المحب من محبوبه، حتى إنه إذا خطر على قلبه في غيبته؛ هاج الحياء من قلبه وأحسَّ به في وجهه ولا يدري ما سببه.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٧٦]، واللفظ له، ومسلم [٣٠٣]، وأبو داود [٢٠٦]، والنسائي [١٥٧].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

حياءُ العبودية:

هو حياء ممتزج من محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده، وأن قدْره أعلى وأجل منها، فعبوديته له تستوجب استحياءه منه، لا محالة.

حياءُ الشرف والعِزَّة:

أما حياء الشرف والعزَّة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها؛ من بذلٍ أو عطاء وإحسان؛ فإنه يستحي - مع بذله - حياءَ شرفٍ وعزة؛ وهذا له سببان:

أولهما- ذكر الموت والبلى: فمن ذكر الموت هان عليه ما فاته من اللَّذَّات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة، وعمل على إجلال الله وتعظيمة.

عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتي منها وما نذرُ؛ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجك أو ما ملكت يمينُك». قلت: يا رسول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؛ قال: «إن استطعت أن لا يرينَّها أحد، فلا تُرِينَّها أحدًا». قلت: يا رسول الله، إذا كان أحدنا خاليًا؛ قال: «اللهُ أحقُّ أن يُستحيا منه من الناس»(١).

قال بلال بن سعد: «لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى كبرياء من واجهته بها».

وقال بعضهم: خلا رجل بامرأة فأرادها على الفاحشة، فقالت له: «انظر هل يرانا من أحد؛ فقال لها: ما يرانا إلا الكواكب. فقالت له: فأين مكوكبها؟!

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذات يوم لأصحابه: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قالوا: إنا نستحيِ يا رسول الله. قال: «**ليس ذاكم، ولكن**

(١) **حسن:** رواه أبو داود [٤٠١٧]، والترمذي [٢٧٦٩]، وأحمد (٥/ ٣)، والحاكم (٤/ ١٩٩) وحسنه الشيخُ الألباني في «آداب الزفاف» ص: [١١٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من استحيا من الله حق الحياء؛ فليحفظ الرأس وما وعي، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا. فمن فعل ذلك قد استحيا من الله حق الحياء»(١).

يحفظ الرأس وما وعى: بجميع حواسِّه الظاهرة والباطنة، فلا يستعملها إلا فيما يحلُّ.

ويحفظ البطن وما حوى: ما جمعه جوفه باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين، فلا يستعمل منها شيئًا **أحدهما-** هذا.

وثانيهما- استحياؤه من الآخِذ حتى كأنه هو الآخِذ السائل؛ حتى إن بعض أهل الكرم لا تُطاوعه نفسه بمواجهته لمن يُعطيه حياءً منه، وهذا يدخل في حياء التلوُّم؛ لأنه يستحي من خجلة الآخِذ.

حياءُ المرءِ من نفسه:

وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة، من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدُّون، فيجد نفسه مُستحيِيًا من نفسه حتى كأن له نفسين، يستحي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء؛ فإن العبد إذا استحيا من نفسه، فهو بأن يستحي من غيره أجدر(٢).

مراتب الاستحياءُ:

المرتبة الأولى- الاستحياءُ من الله:

يامَن يُشيرُ إليهمُ المتكلِّمُ ... وإليهم يتوجَّه المتظلِّمُ

---

(١) **حسن:** رواه الترمذي [٢٥٨٨]، وأحمد (١/ ٣٨٧)، والحاكم (٤/ ٣٢٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٩٩).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١-٢٦٣) للإمام ابن القيم، ط: دار الأدب العرب.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشغلتُم كَلمي بِكُمْ وجوارحي	وجوانحي أبدًا تحنُّ إليكُمُ
وإذا نظرتُ فلسْتُ أنظر غيْركم	وإذا سمعتُ فمنكمُ أو عنكمُ
وإذا نطقتُ ففي صفات جمالكمْ	وإذا سألتُ الكائنات فعنكمُ
وإذا رَوِيتُ فمن طَهُور شرابِكُمْ	وبذكْرِكُمْ في خَلْوتي أترنَّمُ

المرتبة الثانية- الاستحياء مِنَ الملائكة:

الحياء من أخلاق الملائكة كما يبين عنه حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!»(١).

قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ «إن معكم من لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم». ولا ألأم ممن لا يستحي من الكريم العظيم القدر، ولا يُجلُّه ولا يوقره، وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]. أي: استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجلُوهم أن يروا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجُرو يعصى بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظنُ بأذى الكرام الكاتبين؟!»(٢).

المرتبة الثالثة- الاستحياءُ من النفس:

من استحيا من الناس، ولم يستحي من نفسه؛ فنفسه أخسُ عنده من غيره؛ لأنه يراها أحقر من أن يستحيا منها. ومن استحيا منها، ولم يستحي من الله، فلعدم معرفته بالله عَزَّوَجَلَّ فحق الإنسان إذا هم بقبيح أن يتصور أحدًا من نفسه كأنه يراه، فالإنسان يستحي ممن يكبرُ في نفسه، ولذلك لا يستحِي من الحيوان، ولا من الأطفال، ولا من

---

(١) صحيح: رواه مسلم [٢٤٠١].

(٢) «الجواب الكافي لمن سأل عن الداوء الشافي» ص: (١٢٧-١٢٨) لابن قيم الجوزية، ط: دار الدعوة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب


www.alukah.net

الذين لا يميزون، ويستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل، ومن الجماعة،أكثر مما يستحي من الواحد ومن ثَمَّ قال بعض السلف: «من عمل في السر عملًا يستحي منه في العلانية، فليس لنفسِه عنده قدْرٌ».

المرتبة الرابعة- الاستحياء من الناس:

الحياء من الناس خلُق حسن جميل، يمنع من المعايب، ويشيع الخير والعفاف، ويُعوّد النفس ركوب الخصال المحمودة.

قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا خير فيمن لا يستحِي من الناس .

وقال مجاهد: «لو أن المسلم لم يصِبْ من أخيه إلاَّ أنَّ حياءه منه يمنعه من المعاصي لكفاه».

وقال بعضهم: «أحي حياءك بمجالسة من يُستحيا منه» فلا أحد من الفسقة إلَّا وهو يستحي من عمل القبيح على أعين أهل الصلاح وذوى الهيئات والفضل أن يراه وهو فاعله، والله مطَّلع على جميع أفعال خلقه، فالعبد إذا استحيا من ربه استحياءه من رجل صالح من قومه، تجنب جميع المعاصي، فيا لها من وصية ما أبلغها! وموعظة ما أجمعها!! وقد نصب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحياء حكمًا على أفعال المرء وجعله ضابطًا وميزانًا فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما كرهت أن يراه الناس، فلا تفعله إذا خلوت»[(١)].



(١) **حسن**: رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص: [٢٦٠]، والضياء في «المختارة» (١/ ٤٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [١٠٥٥].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمثلة ونماذج عظيمة من خلق الحياء

حياءُ نبي الله موسي عَلَيْهِ السَّلَامُ**:**

لقد كان الحياءُ شريعة الأنبياء؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن موسى كان رجُلًا حييًا ستيرًا، لا يُرى من جلده شيء، استحياءً منه**»(١).

حياءُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:**

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشدَّ حياءً من العذراء في خِدرها، فإذا رأى شيئًا كرههُ، عرفناه في وجهه»(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «سألت امرأةٌ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كيف تغتسل من حيضتها؟ قالت: فذكرت أنه علمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فِرْصَةً من مسك فتطهر بها. قالت: كيف أتطهر بها؛ قال: تطهرى بها سبحان الله!!» واستتر بيده على وجهه. قالت عائشة: واجتذبتُها إليَّ، وعرفتُ ما أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلتُ: تتبعى بها أثر الدم»(٣).

إنَّ البُيوت معادنٌ فنِجارُهُ ... ذَهبٌ وكُلُّ بُيوتِهِ ضَخْمُ
عَقِمَ النساءُ فلن يلدنَ شبيههُ ... إنَّ النساءَ بمثلِهِ عُقْمُ
مُتَهَلِّلٌ بـ «نَعَمْ» بـ «لا» متباعدٌ ... سِيَّان منهُ الْوفرُ والعُدْمُ
نَزْرُ الكلام مِن الحياءِ تخالُهُ ... سَقِمًا وليسَ بجسمهِ سُقْمُ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٢٣]، والترمذي [٣٢٢١]، وأحمد (٢/ ٥١٤).
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٧٤٥].
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٣٣٢].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حياءُ عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

لقد اختص الله عَزَّوَجَلَّ عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمزية خاصة في هذا الخلقُ الكريم.

فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له، ولم تباله، ثم عمر فلم تهتشَّ له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك!! فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!»(١).

وذكر الحسن البصري عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وحياءه؛ فقال: «إن كان ليكون في البيت، والباب عليه مُغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يُقيم صُلبه».

حياءُ أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

قال قتادة: «كان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم تحادب، وحنى ظهره حتى يأخذ ثوبه، ولا ينتصب قائمًا».

وقال أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كان أبو موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إذا نام لبس ثوبًا عند النوم مخافة أن تنكشف عورته».

وعن عبادة بن نسي قال: «رأى أبو موسى قومًا يقفون في الماء بغير أُزُر، فقال: «لَأَنْ أموت ثم أُنشر، ثم أموت ثم أُنشر، ثم أموت ثم أُنشر؛ أحبُّ إليَ من أن أفعل مثل هذا».

محمد بن الفضل رَحِمَهُٱللَّهُ:

قال محمد بن الفضل: «ما خطوتُ أربعين سنة خطوةً لغير الله، وأربعين سنة ما نظرتُ في شيء أستحسِنهُ حياءً من الله».

(١) صحيح: رواه مسلم [٢٤٠١].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

عامر بن عبد قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو عمران الجويني: قيل لعامر بن قيس: إنك تبيتُ خارجًا، أما تخاف الأسد؟ قال: إني لأستحِي من ربي أن أخاف شيئًا ودونه».

أبو مسلم الخولاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال أبو مسلم الخولاني: «من نعمة الله عليَّ: أنني منذ ثلاثين سنة ما فعلتُ شيئًا يُستحيا منه، إلا قربى من أهلي».

عمرو بن عُتبة:

كان يخرج إلى العدو مع الناس فلا يتحارس الناس؛ لكثرة صلاته. رأوه ليلةً يُصلي، فسمعوا زئير الأسد فهربوا، وهو قائم يصلي فلم ينصرف، فقالوا له: أما خِفتَ الأسد؛ فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف شيئًا سواه».

محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال محمد بن سيرين: «ما غشيتُ امرأة قطُّ؛ لا في يقظة ولا في نوم غير أمِّ عبد الله، وإني لأرى المرأة في المنام، فأعلم أنها لا تحلُّ لي، فأصرف بصري».

قال بعضهم: «ليت عقلي في اليقظة كعقل محمد بن سيرين في المنام»[1].

يَقَظاتُهُ ومنامُه شَرَعٌ ... كُلٌ بكُلٍّ فهْوَ مُشتَبِهُ
إنْ همَّ في حُلْمٍ بِفاحشةٍ ... زجَرَتْهُ عِفّتُهُ فينتَبِهُ



(١) هذه الآثار من كتاب «مكارم الأخلاق» ص: [٢٠] لابن أبي الدنيا، وكتاب «الحياء» ص: [٢٩] للشيخ محمد اسماعيل، وكتاب «الحلية» (٤/ ١٥٦-١٥٧) لأبي نُعيم، وكتاب «رُهبان الليل» (١/ ٣٦٦) للعفاني، وكتاب «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٨٩-١٩٠) للذهبي.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصفح

الصفح: شعارُ النبيين، وزينةُ المتقين، وحليةُ العارفين. به يُهزم الشيطان، وتتقارب القلوبُ والأبدانُ، وتمتد جسور الوئام، وتُوصل الأرحام. وبغيره ينتصر الشيطان، وتتنافر القلوب والأبدان، وتُهدم جسور المودة والوئام، وتقطع الأرحام.

فضل الصَّفْح:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما منع النفقة عن مسطح بن أثاثة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بسبب خوضه في الإفك، غير أنها كما قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تتناول الأُمة إلى يوم القيامة بألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع من هذه صِفته غابر الدهر»(١).

وقال فخر الدين الرازي: «والعفو والصفح عن المسيء حسن مندوب إليه، وربما وجب ذلك ولو لم يدل عليه إلا هذه الآية لكفى»(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذه الآية: «الرضا بغير عتاب»(٣).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٢ - ١٣].

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٢/ ١٩١) للقرطبي، ط: النور الإسلامية
(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٢/ ٥١٧) لفخر الدين الرازي.
(٣) «الدر المنثور» (٥/ ٩٤) للسيوطي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن كثير: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ﴾ [المائدة: ١٣]. هذا هو عين النصر والظفر كما قال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق ولعل الله أن يهديهم ولهذا قال الله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يعني به الصفح عمن أساء إليك[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥].

قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحِرزًا[(٢)] للأُميين، أنت عبدى ورسولي، سميتُك المتوكل، ليس بفظ[(٣)] ولا غليظ[(٤)] ولا صخاب بالأسواق[(٥)]، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضهُ الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتحُ بها أعيناً عُميًا، وآذانًا صُمًا، وقلوبًا غُلفًا»[(٦)].

وعن أبي إسحاق قال: سمعتُ أبا عبد الله الجدلى يقُول: سألت عائشة عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: لم يكُن فاحشًا ولا مُتفحشًا ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن كان يعفو ويصفح»[(٧)].

قال معاوية: «عليكم بالحلم والاحتمال حتى تُمكنكُمُ الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال»[(٨)].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٠) للحافظ ابن كثير، ط. مؤسسة الخلود
(٢) **حرزًا**: وعاء حصينًا لحفظ الأميين.
(٣) **فظ**: الفظ هو الجافي السيئ.
(٤) **غليظ**: شديد صعب.
(٥) **سخاب بالأسواق**: بمعنى الصياح بصوت عالٍ وهي بالسين والصاد
(٦) **صحيح**: رواه البخاري [٤٨٣٨].
(٧) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٤١]، ومسلم [١٣٧١]، والترمذي [٢٠١٦]، وأحمد (٦/ ١٧٤).
(٨) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٨٤) للغزالي، ط: دار الصحابة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر الله تَعَالَىٰ في كتابه الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل. الصبرُ الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه»[(١)].

صور من صفح النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لما كان «الصفح» من مستلزمات الإحسان، والإحسان أعلى درجات الإيمان، كان لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النصيب الأوفى في «الصفح»، بل كان الصفح صفة ملازمة للنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللهم إني أتخذ عندك عهدًا لن تُخلفنيه. فإنما أنا بشرٌ فأي المؤمنين آذيتهُ، أو شتمته، أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقُربة تُقربُهُ بها إليك يوم القيامة**»[(٢)].

وعن عُروة بن الزُبير: أن اسامة بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخبرهُ أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ركب على حمار عليه قطيفةٌ فدكيةٌ[(٣)] وأُسامةُ وراءهُ يعُودُ سعد بن عبادة في بنى الحارث ابن الخزرج قبل وقعة بدر، فسارا، حتى مرا بمجلس فيه عبد الله بن أُبي ابن سلول، وذلك قبل أن يُسلم عبد الله بنُ أُبي، فإذا في المجلس أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفي المسلمين عبد الله بن رواحة.

فلما غشتِ المجلس عجاجةُ الدابة[(٤)] خمر[(٥)] ابن أبي أنفه بردائه، وقال: لا تُغبروا علينا، فسلم رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم، ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٦٧) لابن القيم، ط: دار الأدب العربي.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦٣٦١]، ومسلم [٢٦٠١] واللفظ له.

(٣) **فدك**: مدينة معروفة.

(٤) **عجاجة الدابة**: ما ارتفع من غبار حوافرها. (٥) **خمر**: غطى.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرءُ، لا أحسنُ ما تقول إن كان حقًا، فلا تُؤذنا في مجالسنا، فمن جاءك، فاقصص عليه. قال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا في مجالسنا، فإنا نحن نحب ذلك فاستَب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتساورون(١) فلم يزل رسول الله ﷺ يُخَفِّضُهُم(٢) حتى سكنوا. ثم ركب رسول الله ﷺ دابتهُ، فسار حتى دخل على سعد بن عُبادة، فقال رسول الله ﷺ: **«أي سعد، ألم تسمع ما قال أبو حُباب؟»**.

يُريدُ عبد الله بن أُبي. قال كذا وكذا. فقال سعد بن عُبادة: أي رسول الله، بأبي أنت اعف عنه واصفح، فوالذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحق أُنزل عليك، ولقد اصطلح أهلُ هذه الحِرة على أن يُتوجوُهُ ويُعصبُوهُ بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شَرِقَ(٣) بذلك. فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٠٩]. فكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو عنهم ما أمره الله به، حتى أذن له فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا فقتل الله بها من قتل من صناديد الكفار وسادة قُريش. فقفل رسول الله ﷺ وأصحابُهُ منصورين غانمين معهم أُسارى من صناديد الكفار وسادة قُريش. قال ابنُ أبي سلول ومن معه من المشركين عبدة الأوثان: هذا أمرٌ قد توجه(٤) فبايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، فأسلموا»(٥).

---

(١) **يتساورون**: يتشاجرون ويأخذون برأس بعضهم في العراك.

(٢) **يُخفضهم**: يُسكنُهُم ويُهدئُهُم. (٣) **شرق**: غُصَّ أي حسد النبي ﷺ.

(٤) **هذا أمر توجه**: يريدون انطلقت السيادة لمحمد وصحبه فبايعوا لما أفلسوا.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٦٢٠٧]، واللفظ له، ومسلم [١٧٩٨].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وذكر ابنُ هشام: أن «فُضالة بن عُبيد»(١)، أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله ﷺ: «أفُضالة؟» قال: نعم فُضالة يا رسول الله. قال: «ماذا كُنت تُحدث به نفسك.» قال: لا شيء كنتُ أذكر الله !! فضحك النبي ﷺ ثم قال: «استغفر الله». ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه(٢)، فكان فُضالة يقول: «والله ما رفع يده عن صدري حتى ما مِنْ خَلَق الله شيءٌ أحب إلى منه!!»(٣).

بَلَغ العُلَا بِكَمالِهِ كَشَفَ الدُّجى بِجَمَالِه
عَظُمتْ جَميِعُ خِصَالِه صَلّوا عَلَيْه وآلِهِ

صور من الصفح:

عن حُذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أُتي اللهُ بعبدٍ من عباده، آتاه اللهُ مالًا. فقال لهُ: ماذا عملت في الدنيا؟ قال: ولا يكتمون الله حديثًا قال: يا رب! آتيتني مالك. فكُنتُ أتيسر على المُوسر، وأُنظرُ المعسر. فقال الله: أنا أحقُ بذا منك. تجاوزوا عن عبدي». فقال عُقبةُ ابن عامر الجُهنيُ وأبو مسعودٍ الأنصاريُ: هكذا سمعناهُ من في رسول الله ﷺ(٤)

وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: «قلت لأبي يومًا: إن فضلًا الأنماطي جاء إليه رجل، فقال: اجعلني في حل، قال: لا جعلتُ أحدًا في حل أبدًا، قال: فتبسم، فلما مضت أيامٌ، قال: يا بُني، مررت بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. فنظرتُ في تفسيرها، فإذا هو: إذا كان يوم القيامة قام مُنادٍ فنادى: لا يقوم إلا من كان أجرُهُ على الله، فلا يقوم إلا من عفا فجعلت الميت في حل ضربه إياى، ثم جعل يقول: وما على رجُلٍ إلا يُعذب اللهُ بسببه أحدًا»(٥).

---

(١) هذا قبل أن يتمكن الإيمان من باطنه، وكان قد أسلم ظاهرة قبل هذا الحدث.

(٢) **سكن قلبه**: أي اطمئن بالإيمان.

(٣) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٢٠).

(٤) **صحيح**: رواه مسلم [١٥٦٠].

(٥) «أحياء علوم الدين» (٣/ ١٨٤) للغزالي، ط: دار الصحابة.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

من فوائد الصفح:

❁ الصفحُ أعمق من العفو. إذ يُزيلُ الله به أثر الضغائن.

❁ أمر الله المؤمنين بالصفح حتى عن ألد الأعداء كي يذوقوا حلاوة الإيمان فيدخلوا فيه.

❁ الصفح من مُستلزمات الإحسان، والإحسانُ أعلى درجات الإيمان.

❁ الصفح يُقوي رابطة التآخي بين أفراد المجتمع ويجعلهم متحابين مُتحدين.

❁ الأُمةُ التي يتحلى مُعظمُ أفرادها بالصفح، تكون أُمة سعيدة في الدنيا والآخرة. وذلك فضل الله يُؤتيه من يشاءُ.

أخي المسلم:

وبعد أن تبين لك أن «الصفح» خُلُقُ الأنبياء وشيمة الأصفياء ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وعاشِرْ بمعروفٍ، وسامِحْ مَنْ اعْتدَى ... ودافِعْ ولكن بالتَّي هِي أحْسَنُ

فأقل العثرة، واغفر الزلة، واستر العيب، وغُض الطرف عن الهفوات، واعلم أن الكمال عزيز.

ومن أراد أخًا بلا عيب، لم يكن له في الأخوة نصيب.

وَمَنْ ذَا الذي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّها ... كَفَى بالمرء نُبْلًا أنَّ تُعَدَّ مَعَايِبُهْ

وقال جعفُر بن محمد لابنه: «يا بُنى، من غضب من إخوانك ثلاث مرات، فلم يقُل فيك سوى الحق، فاتخذه لنفسك خِلًا».

تُرِيدُ مُهَذَبًا لا عَيْبَ فِيهِ ... وهَلْ عُودٌ يَفُوحُ بلاِ دُخانِ



www.alukah.net

قال الحسن بن وهب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من حُقوق المودة: أخذ عفو الإخوان، والإغضاء عن تقصير إن كان».

قال بعضُ البلغاء: «لا يُزهدنك في رجلُ حمدت سيرتهُ، وارتضيت وتيرته، وعزمت فضله، وبطنت عقله – عيبٌ خفيٌ، تحيط به كثرةُ فضائله، أو ذنبٌ صغيرٌ تستغفر له قوةُ وسائله، فإنك لن تجد – ما بقيت – مُهذبًا لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب، فاعتبر بنفسك بعدُ ألا تراها بعين الرضا، ولا تجرى فيها على حُكم الهوى، فإن في اعتبارك بها، واختبارك لها، ما يُواسيك مما تطلب. ويعطفك على من يُذنب»

سَأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ ... وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ عَلَىَّ الجَرَائِمُ

ومَا النَّاسُ إلا واحِدٌ مِنْ ثَلاثَةٍ ... شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ ومِثْلِي مُقَاوِمُ

فَأَمَّا الَّذي فَوْقِي فَأَعرِفُ قَدْرَهُ ... وَأَتْبَعُ فِيهِ الحَقَّ والحَقُ لازمُ

وَأَمَّا الَّذِي دُوني فَإِنَ قَالَ صُنْتُ عَنْ ... إجَابَتهِ عِرْضِي وَ إنَ لَام لائِمُ

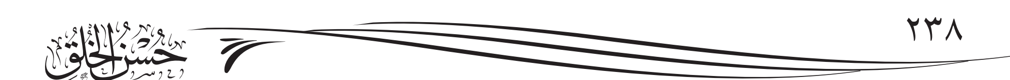
وَأَمَّ الَّذي مِثْلي فَإِنْ زَلَّ أَوهَفَا ... تَفَضَّلْتُ إنَّ الفَضْلَ بالحِلْمِ حَاكِمُ





شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



العَفْو

العفو: صفة من صفات الله تعالى، وهو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه فإن الغفران يُنبئُ عن الستر، والعفوُ يُنبئُ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر. والعفو خلق من أخلاق النبيين والصالحين، وهو كف الضرر مع القدرة عليه، وكلُّ من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو، وكم نحن في حاجة إلى خلق «العفو» لأن الانتقام كم جَرَّ علينا من ويلات، وكم فرق من جماعات، وكم هَيَّج من عداوات، وكم بَدد من ثروات.

الفرق بين الصفح والعفو:

والصفح والعفو متقاربان في المعنى فيقال: صفحتُ عنه أعرضتُ عن ذنبه وعن تثريبه. إلا أن الصفح أبلغ من العفو فقد يعفو الإنسانُ ولا يصفح.

العفو في القرآن على أربعة أوجه:

قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر أهلُ التفسير أن العفو في القرآن الكريم على أربعة أوجه: **أحدها**- الصفح والمغفرة: ومنه قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]

ثانيها- الترك؛ ومنه قوله الله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ثالثها- الفاضل من المال؛ ومنه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

رابعها- الكثرة، ومنه قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [الأعراف: ٩٥]. **أي**: كَثُروا[١].

(١) «موسوعة الأخلاق الإسلامية» (٢/ ٣٣٧) لسعد يوسف أبو عزيز، ط: الدار التوفيقية.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net


فضل العفو:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]

قال الإمام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن معاقد الخيرات على كثرتها محصورة في أمرين، صدقٌ مع الحق، وخُلُقٌ مع الخلق، والذي يتعلق بالخلق محصور في قسمين: إيصال نفع إليهم، ودفع ضرر عنهم، فقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [النساء: ١٤٩]. إشارة إلى إيصال النفع إليهم، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ تَعْفُواْ﴾ إشارة إلى دفع الضرر عنهم، فدخل في هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البر. ثم قال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ **وفيه وجوه:**

الأول- أنه تَعَالَىٰ يعفو عن المسيء مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى، وهو قول الحسن.

الثاني- إن الله كان عفوًا لمن عفا، قديرًا على إيصال الثواب إليه.

الثالث- إن الله تَعَالَىٰ أقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك[(١)].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تَعَالَىٰ: ﴿**وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ**﴾ أي: إذا ثار بهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعلموه، وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم. ﴿**وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾[(٢)].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) «مفاتح الغيب» (١٠/ ٥٠٦) للإمام الرازي، ط: دار الغد.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٦٠٥) لابن كثير، ط: دار المعرفة.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الصبر عند الغضب، والعفو عن الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم الله عَزَّوَجَلَّ وخضع لهم عَدُوُهُم»(١).

وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: جعل اللهُ المؤمنين صنفين؛ صنف يعفون عن الظالم فبدأ بذكرهم بقوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]. وصنف ينتصرون من ظالمهم. ثم بين حد الانتصار بقوله: «وجزاء سيئة سيئة مثلها» فينتصر ممن ظلمه من غير أن يعتدى. قال مقاتل هشام بن حُجَير: هذا في المجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره من سب وشتم.

قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ﴾ قال ابن عباس: من ترك القصاص وأصلح بينه وبين الظالم بالعفو، ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي أن الله يأجره على ذلك، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: من بدأ بالظلم، وجاوز الحد(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق عندما منع النفقة عن مسطح بن أثاثة، وكان مسطح من جملة الذين وقعوا في عرض عائشة في حادثة الإفك، وكان من فقراء المهاجرين، وكان قريبًا لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما بلغ أبو بكر ما قاله مسطح قال: هذا أمر لم نتهم به في الجاهلية، أفبعد أن أعزنا الله بالإسلام نتهم به؟ وحلف أن لا ينفع مسطحًا

---

(١) «نضرة النعيم» (٤/ ٢١٥). مجموعة علماء ط: دار الوسيلة.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٣٨، ٣٩) للإمام القرطبي، ط: النور الإسلامية.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بنافعة أبدًا، فعاتبه ربه بالوحي، ونزلت فيه هذه الآية، فلما سمع أبو بكر الصديق[(١)] هذه الآية قال: بلى والله ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع.

لا تَقْطَعَنَّ عَادةَ بِرٍّ وَلا تَجْعَلْ عِتَابَ الْمَرْءِ في رِزْقِهِ
فَإِنَّ أَمْرَ الإِفْكِ مِنْ مِسْطَحٍ يَحُطُّ قَدْرَ النَّجْمِ مِنْ أُفْقِهِ
وَقَدْ جرى مِنْهُ الَّذِي قَدْ جَرَى وَعُوتِبَ الصِّدِيقُ في حَقِّهِ

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء رجلٌ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت! ثم أعاد عليه الكلام، فصمت! فلما كان في الثالثة، قال: «اعفُوا عنه في كل يوم سبعين مرة»[(٢)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما نقصت صدقة من مال، وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلا عزًا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»**[(٣)].

وقال الحسن: «أفضل أخلاق المؤمن العفو».

رُبَّ رَامٍ بِأَحْجَارِ الأذى لم أجِدْ بُدًّا مِنَ العَطفِ عليهِ
فعسى أن يطّلعَ اللهُ عَلَى قَدْحِ القومِ فَيُدْنِيني إِلَيْهِ

مواقف من عفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال جعفر الصادق: «أمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. وقد تخلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الخلق - وبغيره - على أتمّ الكمال، وهذه بعض المواقف والصور الدالة على ذلك.

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٤٧٥٠].
(٢) **حسن**: رواه أبو داود [٥١٦٤]، والترمذي [٢٠٣١]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن» أبي دواد برقم [٥١٦٤].
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٨٨].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «ما ضرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا قطُّ بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يُجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله تَعَالَى، فينتقم لله عَزَّ وَجَلَّ»(١).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه غزا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نجدٍ، فلما قَفَلَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ(٢) معه، فأدركتُهم القائلةُ في وادٍ كثير العِضَاةِ(٣)، فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحت شجرة وعلق بها سيفه، ونِمنا نومةً، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعونا، وإذا عنده أعرابي(٤) فقال: «إن هذا اخترط(٥) على سيفى وأنا نائمٌ، فاستيقظتُ وهو في يده صلتًا فقال: من يمنعك مني؟ فقلتُ: الله «ثلاثًا». ولم يعاقبه وجلس. في رواية فخلى سبيله(٦).

صور عظيمة من العفو:

جلس عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السوق يبتاع طعامًا، فابتاع، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حُلت، فقال: لقد جلستُ وإنها لمعى! فجعلوا يدعون على من أخذها، ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله: «اللهم إن كان حمله على أخذها حاجةٌ فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءةٌ على الذنب فاجعله آخر ذُنُوبه!»(٧).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣٢٨]. (٢) **قفل**: رجع.

(٣) **كثير العضاه**: أي كثير الشجر الملتف الأغصان.

(٤) **أعرابي**: في رواية أنه «غورث بن الحارث»

(٥) **اخترط**: أي: سَلّ.

(٦) **صحيح**: رواه البخاري [٢٩١٠]، ومسلم [٨٤٣].

(٧) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٩٦) للغزالي، ط: دار الصحابة.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال أحمد بن حنبل في محنته التي تعرض لها وهي «محنة القول بخلق القرآن» وجيء بالضرابين ومعهم السياط، فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له المعتصم: شد قطع اللهُ يديك.

ويجئ الآخر فيضربني سوطين، ثم الآخر كذلك، فضربوني أسواطًا حتى أُغمى عليَّ وذهب عقلي مرارًا!

فإذا سكن الضربُ يعود إلى عقلي.

وقام المعتصم يدعوني إلى قولهم فلم أجِبهُ!

ورجال حاشيته يصيحون: ويحك. الخليفة على رأسك، فلم أقبل...وأعادوا الضرب ثم عاد إليّ فلم أجبه...فأعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس به.

وأرعبه ذلك من أمرى فأطلق سراحي، ولم أشعر إلا وأنا في حُجرة من البيت وقد أطبقت الأقيادُ على رجلى...

قال الحافظ ابن كثير:

وجاء الأطباء إلى الإمام المعذَّب فقطعوا لحمًا ميتًا من جسده وجعلوا يداوونه حتى عاد إليه روحه الذي كاد يزهق، فلما شفاه الله بقى مُدة وإبهاماه يؤذيهما البردُ...

أتدري ما كان موقفه بعد؟

جعل كل من أذاه في حِلٍّ إلا أهل البدع! وكان يتلو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النُّور: ٢٢]. ويقول: اللهم اعف عمن ظلمني، وسامح من سجنني، واغفر لمن ضربني إلا صاحب بدعة يكيد بها هذا الدين فلا تسامحه.

ويقول: ماذا ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك، وقد قال الله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإيثار

الإيثار: هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة.

فضل الإيثار:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: ٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي يُؤثرنهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم، لا عن غني بل مع احتياجهم إليها»[١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [الإنسان: ٨].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه، وشهوتهم له»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**طعامُ الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة**»[٣].

وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء رجُلٌ إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إني مجهُودٌ[٤]، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قُلن كُلُّهُن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماءٌ.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٠/ ٢٣٦) للإمام القرطبي، ط: النور الإسلامية.
(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٢٩/ ٢٠٨)، ط: الدار الثقافية العربية.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٥٣٩٢]، ومسلم [٢٠٥٨].
(٤) **مجهُودٌ**: أي وجد مشقة من الحاجة والجوع.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من يُضْيفُ هذا الليلة؟**» فقال رجُلٌ من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: بينما نحنُ في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجلٌ على راحلة له، فجعل يصرفُ بصرهُ يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من كان معهُ فضل ظهر فليعُد به على من لا ظهر له، ومن كان لهُ فضلٌ من زاد، فليعدُ به من لا زاد له**»[(٢)].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الأشعريين إذا أرملوا**[(٣)] **في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم**»[(٤)].

درجات الإيثار:

قال ابن القيم رحمه الله: وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تُؤثر الخلق على نفسك فيما لا يخرم عليك دينًا، ولا يقطع عليك طريقًا، ولا يُفسد عليك وقتًا».

الدرجة الثانية: إيثارُ رضا الله على رضا غيره، وإن عظُمت فيه المحن، وثقلت فيه المؤن، وضعف عنه الطَّول والبدن».

فليتكَ تَحْلُو والحياةُ مَريرةٌ ... وَلَيْتكَ ترضى والأنام غِضَابُ
وليتَ الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العَالمِينَ خَرابُ

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٧٩٨]، ومسلم [٢٠٥٤].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [١٧٢٨].

(٣) **أرملوا**: فرغ زادُهُم أو قارب الفراغ.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٢٤٨٦]، مسلم [٢٥٠٠].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا صَحَّ منك الودُّ فالكُل هَيِّنٌ　　　وكلُّ الذي فوقَ الترابِ تُرابُ

الدرجة الثالثة: إيثارُ إيثار الله. فإن الخوض في الإيثار دعوى في المِلْك. ثم تَرْك شهود رؤيتك إيثار الله».

الأسباب التي تُعين على الإيثار:

الأسباب التي تُعين على الإيثار ثلاثة أشياء:

أولها- تعظيم الحقوق: فإن من عظُمت الحقوق عنده، قام بواجبها، ورعاها حق رعايتها، واستعظم إضاعتها، وعلم أنه إن لم يبلغْ درجة الإيثار، لم يؤدِّها كما ينبغي، فيُجعلُ إيثاره احتياطًا لأدائها.

ثانيها- مقت الشُحِّ: فإنه إذا مقته وأبغضهُ، التزم الإيثار، فإنه يرى أنه لا خلاص له من هذا المقت البغيض إلا بالإيثار.

ثالثها- الرغبة في مكارم الأخلاق: وبحسب رغبته فيها يكون إيثاره، لأن الإيثار أفضل درجات مكارم الأخلاق.

صور عظيمة ومباركة من الإيثار:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعث إلى نسائه، فقُلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يضيفُ هذا؟**» فقال رجلٌ من الأنصار: أنا ..فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمى ضيف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: ما عندنا إلا قوتُ صبياني. فقال: هَيِّئى طعامك، وأصبحي سِراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تُصلحُ سراجها فأطفأته، وجعلا يُريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما أصبحا غدا إلى رسول الله ﷺ فقال: «ضحك اللهُ الليلة - أو عجب - من فعالكما - فأنزل الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩](١).

وعن إبراهيم بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أبيه عن جده، قال: لما قدموا المدينة آخي رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد لعبد الرحمن بن عوف: إني أكثر الأنصار مالًا فاقسم مالي نصفين، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتُها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك»(٢).

قال ابن البادية الحافظ: «كان أسلمُ بن عبد العزيز يُقدم بقي بن مخلد على جميع من لقيه بالمشرق، ويصف زهده ويقول: ربما كنت أمشى معه في أزقة قرطبة، فإذا نظر في موضع خالٍ إلى ضعيف محتاج أعطاه أحد ثوبيه».

وقال عباس بن دهقان: «ما خرج أحدٌ من الدنيا كما دخلها إلى بشر بن الحارث الحافى؛ فإنه أتاه رجلٌ في مرضه فشكا إليه الحاجة، فنزع قميصه وأعطاه إياه، واستعار ثوبًا فمات فيه».

قال حماد بن أبي حنيفة: «إن مولاة كانت لداود الطائي تخدمه، قالت: لو طبختُ لك دسمًا تأكله؟ فقال: وددتُ، فطبخت له دسمًا ثم أتته به، فقال لها: ما فعل أيتام بنى فلان؛ قالت: على حالهم. قال: اذهبي بهذا إليهم. فقالت: أنت لم تأكل أُدمًا منذ كذا وكذا! فقال: إن هذا إذا أكلوه صار إلى العرش، وإذا أكلتُه صار إلى الحُشّ».

قال الحسن البصري: «والله لقد رأيتُ أقوامًا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيتُ أقوامًا يُمسي أحُدهم ولا يجدُ عنده إلا قوتًا، فيقول: لا أجعلُ هذا كلَّه في بطني، فيتصدق ببعضه، ولعله أحوج إليه ممن يتصدق عليه».

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٨٧]، ومسلم [٢٠٥٤]، وابن حبان [٥٢٨٦].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٧٨٠]، والترمذي [١٩٣٣]، وابن ماجه [١٩٠٧].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حُسن الصُحبة والأخوة في الله

حُسن الصُحبة والأخوة في الله: أصل عظيم من أصول الدين، وهذه الصحبة وتلك الأخوة لا قدرة للعبد على تحصيلها ولا دفعها؛ لأنها من أعمال القلوب، والقلوب بيد الله عَزَّوَجَلَّ، وبين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء ولذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

قال الماوردي: «فإن من طبيعة الإنسان أن يكون ألفًا مألوفًا، ذلك أنهُ يستعينُ من خلال الأُلفة على أداء الرسالة المنوطة به في الدنيا لتحقيق أهداف الاستخلاف، والمؤاخاة من أهم أسباب حُدُوث الأُلفة بين الناس، لأنها تُكسبُ بصادق الميل إخلاصًا، ومُصافاةً، وتُحدثُ بخُلُوص المصافاة وفاءً ومُحاماة»(١).

اختيار الصاحب

فما أعظم الخير والنفع الذي يحصل للإنسان من مخالطة أهل الصلاح والتقي، والورع والخير، وما أخطر الضرر الذي يلحق المرء لمخالطته أهل السوء والفساد، وطلاب الدنيا وعبيد المادة.

ولذلك خاطب الله نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُٱللَّهُ: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿نَفْسَكَ مَعَ﴾ أصحابك ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ بذكرهم إياه بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والدعاء،

(١) «أدب الدنيا والدين» ص: [١٦٢] للماوردي، ط: دار الكتب العلمية.



والأعمال الصالحة، من الصلوات المفروضة وغيرها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بفعلهم ذلك ﴿وَجْهَهُ﴾ لا يريدون عَرَضًا من عرض الدنيا(١).

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوُء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يُحذيك(٢) وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحُرق ثيابك، وإما أن تجد منهُ ريحًا منُتنةً**»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الرجلُ على دين خليله، فلينظر أحدكمُ من يخُالل**»(٥).

وعن أبي موسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المرء مع من أحب**»(٦)، فهذه وصايا مباركة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بانتقاء الصحبة الصالحة الطيبة، التي تدل الإنسان على الحق، وتأمره بالخير، وتعينه على الطاعة.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ١٣٤) لابن جرير الطبري، ط: دار الثقافة العربية.
(٢) **يحُذيك**: يُعطيك.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٥٥٣٤]، ومسلم [٢٦٢٨]، وأحمد (٤/ ٢٠٨).
(٤) **حسن**: رواه أبو داود [٤٨٣٢]، والترمذي [٢٣٩٥]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبو داود» برقم [٤٨٣٢].
(٥) **حسن**: رواه أبو داود [٤٨٣٣]، والترمذي [٢٣٧٨]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبو داود» برقم [٤٨٣٣].
(٦) **صحيح**: رواه البخاري [٦١٦٩]، ومسلم [٢٦٤١]، وأحمد [٣٩٥١٤]، والبغوي في «شرح السنة» [٣٤٧٨].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وصدق من قال:

فإذا صاحبْتَ فاصحبْ صاحبًا ذا حياءٍ وعفافٍ وكَرمْ
قولُهُ للشَّيءِ لا إن قلتَ لاَ وإذا قلتَ نعمْ قالَ نَعَمْ

قال رجل لداود الطائي: أوصني، قال: اصحب أهل التقوى؛ فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة(١).

وقال أبو عمر العوفي: اصحب من إن صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابتك خصاصة مانك، وإن رأى منك حسنة عدَّها، وإن رأى منك سقطة سترها، وإن قلت صدّق قولك، وإن صُلتَ سَّدد صوْلك (٢).

وصدق من قال:

أنتَ في الناس تُقاسُ بِمَن اخترتَ خليلا
فاصحب الأخيار تعلُو وتنلْ ذِكرًا جميلا

قال ابن حبان: كل جليس لا يستفيد المرء منه خيرًا، تكون مجالسة الكلب خيرًا من عشرته، ومن يصحب السوء لا يسلم، كما أن من يدخل مدخل السوء يتُهم(٣)، وصدق والله، لقد صاحب الكلب أهل الكهف فتشرف بصحبتهم، وذكره الله في القرآن، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨]، وصاحب أبو طالب أبا جهل وأبا لهب فأوردوه النار.

ورحم الله من قال:

فلا تصحبْ أخَا الجهل وإيـاكَ وإياهُ فكم منْ جاهلٍ أردَى حليمًا حيَن آخاهُ

(١) «مواقف إيمانية» ص: [٤٧٧] للشيخ أحمد فريد، ط: دار الصفوة.
(٢) المصدر السابق ص: [٤٧٧].
(٣) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» ص: [١٠١] للتسبي، ط: النور.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

يقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما المرءُ ما شاهُ وللشيءِ مِنَ الشَّيءِ مقاييسٌ وأشباهُ

وقال سفيان بن عُيينة: من أحب رجلًا صالحًا فإنَّما يحب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(١).

وقال وهب بن منبه: إن الله ليحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس(٢).

وقال جعفر الصادق: أثقل إخواني عليَّ من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي.

وقال لابنه وهو يعظه: يا بني لا تصاحب ثلاثًا: لا تصاحب الكذاب؛ فإنه يقرب لك البعيد، ويبعد لك القريب، ولا تصاحب الفاجر، فإنه يُعديك بفجوره، ولا تصاحب العاق لوالديه، فإن الله لعن من عَقَّ والديه.

وصدق من قال:

عليكَ بإخوانِ الثِّقاتِ فإنَّهمْ قليلٌ فَصِلْهُمْ دونَ مَنْ كنت تصحبُ

ونفسكَ أَكْرِمْهاَ وصُنهاَ فإنَها متى تجالسْ سَفَلة النَّاسِ تَغْضَبُ

وقال آخر:

عن المرءِ لا تسألْ وَسَلْ عنْ قرينِه فكل قرينٍ بالمقارنِ يقتدي

اصْحَب خِيَارَ الناسِ أَين لقيتهُمْ خيْرُ الصَّحَابَةِ مَن يَكُونُ ظريفًا

والناسُ مِثلُ دَراهِم ميزتَها فرأيتُ فيها فِضَّةً وزُيُوفَا

وقال آخر:

وليسَ أخوكَ الدائِمُ العهدِ بالذي يذمكَ إن ولَّى ويرضيكَ مُقْبلا

ولكنه النائي إذا كُنتَ آمنًا وصاحِبُك الأدنَى إذا الأمرُ مُعْضِلا

---

(١) «المصدر السابق» ص: [١٠٠].

(٢) «المصدر السابق» ص: [١٠٠].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شروط اختيار الصحبة والأخوة في الله:

اعلـم أخـي الكريم أنـه لا يصلح للصحبـة كل أحد، فـلا بد أن يتميـز الصاحب بصفـات وخصال يُرغب بسـببها في صحبته، وليسـت هـذه الخصال دنيويـة، كالانتفاع بالجاه والمال، أو لمجرد الاستئناس والمجالسة والمحاورة، ولكن لخصال أعظم من ذلك، وهـي خصال أخروية، وقد تجتمع فيها أغراض أخرى فيكون عُدَّةً في المصائب، وقوة في الأحوال، ومنها انتظار الشفاعة.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم؛ فإنهم زينةٌ في الرخاء، وعُدَّةٌ في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يبغضك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشـى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تَعَالَى[١].

وقال بعض السلف: استكثروا من الإخوان؛ فإن لكل مؤمن شفاعة.

وقال يحيى بن معاذ: بئس الصديق تحتاج أن تقول له: اذكرني في دعائك، وأن تعيش معه بالمداراة أو تحتاج أن تعتذر له[٢].

وقـال جعفر لأصحابه: أيدخـل أحدكم يده في كم أخيه فيأخذ منه ما يريد؟ قالوا: لا، قال فلستم بإخوان كما تزعمون.

وإليك أخي الكريم أهم شروط اختيار الصحبةُ والأخوة في الله:

١- أن يكـون عاقـلًا: لأن العقل هو رأس المال، ولا خير في أخوة الأحمق وصحبته؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

٢- أن يكون حَسَـنَ الخلق: ينبغي أن يكون حسـن الخلق طيب الطباع، أما الفاسق وسيئ الخلق فلا تُؤْمَنُ غائلته، ولا يُوثَقُ به.

(١) «مختصر منهاج القاصدين» ص: [٩٣] لابن قدامه، ط: مكتبه الهدى النبوي.
(٢) «المصدر السابق» ص: [٩٣].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- أن يكون ملازمًا للكتاب والسنة: ينبغي على المرء أن يصاحب من كان ملازمًا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بعيدًا عن الخرافة والبدعة؛ لأن المبتدع ينال صديقُه من شؤم بدعته.

المثل التطبيقي للإخاء وحُسن الصحبة في حياة النبي ﷺ:

عن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «**إن عبدًا خيره الله بين أن يُؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، فبكى أبو بكر، وقال: فديناك يا رسول الله بآبائنا وأُمهاتنا. فعجبنا له. وقال الناس: انظر إلى هذا الشيخ، يُخبُر رسول الله عن عبدٍ خيرهُ الله بين أن يُؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده وهو يقول: فديناك بآبائنا وأُمهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر هُو أعلمنا به، وقال رسول الله ﷺ: «**إن من أَمنِّ الناسِ على في صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلًا من أمتى لا تخذت أبا بكر، إلا خُلة الإسلام، لا يبقين في المسجد خوخةٌ إلا خوخة أبي بكر**»[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السلامُ عليكُم دار قوم مُؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون.وددت أنا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي. وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعد**» فقالوا: كيف تعرفُ من لم يأت بعدُ من أمتك يا رسول الله؛ فقال: «**أرأيت لو أن رجُلًا له خيلٌ غُرٌ مُحجلة**[(٢)] **بين ظهري خيل دُهم بُهم**[(٣)] **ألا يعرفُ خيلهُ؛**»، قالوا: بلى

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري [٣٩٠٤]، واللفظ له، ومسلم [٢٣٨٢].

(٢) **الغُر:** جمع أغر وهو الفرس الذي في جبهته بياض.

أما المُحجل: فهو الذي يرتفع البياض في قوائمة إلى موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين.

(٣) **الدُهم:** جمع أدهم من الدهمة وهي السواد، والبهم جمع البهيم وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يـا رسـول الله. قال: «**فإنهـم يأتون غُـرًا مُحجلين من الوضـوء وأنا فرطُهُـم**[١] **على الحـوض، ألا ليُـذادن رجالٌ عن حوضـى كما يُذادُ البعيرُ الضـالُ، أُناديهم: ألا هلُم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: «سُحقًا سُحقًا»**»[٢].

وعـن جابـر بن عبـد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قـال: كُنتُ جالسًـا في داري فمر بي رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأشار[٣] إلى، فقُمتُ إليه، فأخذ بيدى، فانطلقنا حتى أتى بعض حُجر نسائه، فدخـل، ثم أذن لي، فدخلت الحجاب عليها، فقال: «**هـل من غذاء**»، فقالوا: نعم، فأُتى بثلاثـة أقرِصةٍ[٤]، فوضعن عـلى نَبيٍّ[٥]، فأخذ رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرصًا فوضعهُ بين يديـه، وأخـذ قرصًا آخر فوضعه بـين يدى، ثم أخذ الثالث فكسره باثنين، فجعل نصفه بـين يديـه ونصفهُ بين يديَّ. ثم قال: «**هل مـن أُدم**[٦]**؟**». قالوا: لا إلا شيءٌ من خلٍّ. قال: «**هاتوه، فنعم الأُدْمُ هو**»[٧].

ولعظم هذه الأخوة وحسن الصحبة، وأنها سبب في نجاح المجتمعات الإسلامية، لما هاجر رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة كان أول ما بدأ به هو بناء المسـجد، ثم قام بعمل من أروع ما سجله التاريخ، وهو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم آخي رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار، في دار أنس بن مالك، وكانوا تسـعين رجلًا نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخـي بينهم على المواسـاة، ويتوارثون بعد المـوت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر،

(١) **الفرط**: المتقدم السابق.

(٢) **سُحقًا سُحقًا**: بُعدًا بُعدًا.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٤٩].

(٤) **أقرصة**: جمع قُرص وهو القطعة من الخبز.

(٥) **نبي**: مائدة من خوص أو طبق من خوص. وقوله: دخلت الحجاب عليها: إلى الموضع الذي فيه المرأة وليس فيه أنه رأى بشرتها.

(٦) **الأدم**: مثل الإدام وهو ما يؤتدم به.

(٧) **صحيح**: رواه مسلم [٢٠٥٢].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

لما أنزل الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ٧٥]. رد التوارث، دون عقد الأخوة(١).

قال الغزالي: فذابت عصبيات الجاهلية، وفوارق اللون والوطن، فلا حمية إلا للإسلام، ولا يتقدم أحد أو يتأخر إلى بمروءته وتقواه، وقد جعل صلى الله عليه وسلم هذه الأخوة عقدًا نافذًا، لا لفظًا فارغًا، وعملًا يرتبط بالدماء والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسنة ولا يقوم لها أثر، وكانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال(٢).

ولقد ضرب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في صدق الأخوة في الله وحسن الصحبة فاستحقوا المدح والثناء من الله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبْتَغُونَ فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٗا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر: ٩].

بلغ الأشواقَ والحُبَّ الصَّحابةْ ... سَادَة القَوم وَأربَابَ النجابةْ
هـمْ حُمَاةُ الدين أبطالُ الردى ... بلْ ليُوثُ بدْرٍ بلْ أسوُدُ غابهْ
حُبهُمْ دينٌ ومنْ يُبغضهمْ ... ربُنا في نارِهِ الأُخرىَ أذابهْ

وإليك أخي الكريم نموذجين مباركين يضربان أروع الأمثلة في حسن الصحبة والأخوة في الله.

فعن إبراهيم بن سعد رضي الله عنه عن أبيه عن جده، قال: لما قدموا المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال سعد لعبد الرحمن:

(١) «زاد المعاد، في هدى خير العباد» (٢/ ٥٦) للإمام ابن القيم، ط: المطبعة العصرية.
(٢) «فقة السيرة». ص: (١٤٠-١٤١) للشيخ الغزالي، ط: دار الكتاب العربي.



إني أكثر الأنصار مالًا فاقسم مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبها إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتُها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك[١].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم من طعام في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**»[٢] حقًّا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمة فذة، وسياسة صائبة رشيدة، وحلًا رائعًا ناجحًا لكثير من المشاكل التي يواجهها المسلمون.

وهذه الأخوة أقوى من أخوة النسب واللون والوطن، ففي غزوة بدر التي جمعت بين الآباء والأبناء اختلفت بينهما العقائد، ففصلت بينهما السيوف، تجلت في هذه الغزوة مناظر رائعة تبرز فيها قوة العقيدة، والثبات على المبدأ، فلا يتقدم أحد ولا يتأخر إلا بالإسلام.

ففي هذه الغزوة، قتل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خاله العاصي بن هشام بن المغيرة، وقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه، ونادي أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابنه عبد الرحمن – وهو يومئذ مع المشركين – فقال: أين مالي يا خبيث؟ فقال عبد الرحمن: لم يبق غير شكة[٣] ويعبوب[٤] وصارم يقتل ضلال الشيب[٥] وبعد انتهاء المعركة وجد مصعب بن عمير أخاه أبا عزيز ابن عمير أسيرًا في أيدي المسلمين، فقال مصعب للأنصاري: شُدَّ يديك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصايتك بي؟.

فقال مصعب: أنه – أي الأنصاري – أخي دونك[٦].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٧٨٠]، والترمذي [١٩٣٣]، وابن ماجه [١٩٠٧].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٤٨٦]، ومسلم [٢٥٠٠].

(٣) **الشكة**: السلاح. (٤) **اليعبوب**: الفرس كثير الجري.

(٥) «الرحيق المختوم» ص: [١٩٣] للشيخ المباركفورى، ط: الدار العربية.

(٦) المصدر السابق ص: [١٩٣].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

حقوق الأخوة في الله وحسن الصحبة

ثم اعلم حفظك الله، أن حسن الصحبة والأخوة في الله لها حقوق كثيرة يجب مراعاتها، والقيام بحقها، فأخوك المسلم له عليك حقوق متعددة، منها حق في المال، والنفس، واللسان، والصفح، والدعاء، والإخلاص، والوفاء، والتخفيف للألم، وترك التكلف، وغير ذلك من الحقوق المترتبة على ذلك.

وإليك أخي الكريم أهم وأعظم هذه الحقوق:

أولًا- حق المال:

ينبغي أخي الكريم أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك، وأن تتفقد أوقات حاجته، ولا تغفل عن أحواله، كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وأن تنزله منزلة نفسك، وترضى بمشاركته إياك في مالك.

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إذ أتاه رجل فقال: إني أريد أن أؤاخيك في الله، قال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال عرفني. قال: لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني، قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد، قال: فاذهب عني(١).

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أتى علينا زمان وما نرى أحدٌ منا أنه أحق بالدينار من أخيه المسلم(٢).

وقال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه نصفين(٣).

إن أخاكَ الحقَّ منْ كانَ معكْ ... ومن يَضُرُّ نفسهُ لينفعكْ

ومنْ إذا ريبُ الزمانِ صدعكْ ... شتت فيهِ شملهُ ليَجمَعكْ

---

(١) «منهاج المسلم» ص: [١٢٣] للشيخ أبو بكر الجزائري، ط: مكتبه دار التراث.

(٢) «وصايا الرسول»: (٢/ ١٠٨) للشيخ سعد يوسف، ط: المكتبة التوفيقية.

(٣) «المصدر السابق» (٢/ ١٠٨).



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال آخر:

وكل الناس إخوانُ الرخاءِ وإنَّمَا أخوكَ الذي آخاك عِندَ الشدائِدِ

وإليك أخي الكريم بعض الصور من حقوق الأخوة في المال.

لقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير - بعد ما قتل الزبير - فقال: كم ترك أخي عليه من الدين؟ قال: ألفي ألف. قال: عَلَيَّ منها ألف ألفٍ.

وكان عامر بن عبد الله بن الزبير يَتَحَيَّنُ العباد وهم سجود: أبا حازم، وصفوان ابن سليم، وسليمان بن سحيم - وأشباههم - فيأتيهم بالصرر فيها الدينار والدرهم، فيضعها عند نعالهم، حيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه.

ودخل زينُ العابدين بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده،فبكي محمد بن أسامة، فقال له: ما يبكيك؟ قال: عليّ دين، قال: وكم هو؟ قال خمسة عشر ألف دينار فقال: هي عليّ.

ورُوِي أن مسروقًا أدَّان دينًا ثقيلًا، وكان على أخيه خيثمة دينٌ، فذهب مسروق فقضي دين خيثمة وهو لا يعلم، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم(١).

وقال أبو إسحاق الأقرع: رأيت عبد الله بن المبارك يخرج من عند سفيان بن عينية مسرورًا طيب النفس، فقيل له في ذلك، فقال وما يمنعني من ذلك؟ حدثني ابن عيينة بأربعين حديثًا وأطعمني خبيصًا(٢).

ورُوي أن فتحًا الموصليَّ جاء إلى صديق له يقال له عيسى التمار، فلم يجده في المنزل، فقال للخادمة: أخرجي لي كيس أخي، فأخرجته، فأخذ منه درهمين، وجاء عيسي إلى

(١) «الإحياء» (٢/ ١٨٩). للعزالي، ط: دار الصحابة.

(٢) «لطائف المعارف» ص: [٢٦٠] لابن رجب الحنبلي، دار ابن حزم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منزلـه فأخبرتـه الجاريـة بذلـك، فقال: إن كنـت صادقة، فأنـت حرة، فنظر فـإذا هي قد صدقت، فأعتقت»[(١)].

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثلاث يصفين لك وُدَّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه[(٢)].

- ومنه أن تشكره على صنيعه في حقك.
- ومنه السكوت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلاً.
- ومنه السـكوت عن ذكر عيوبه في حضـوره وغيبته، وعن الرد عليه ومماراته، وعن السؤال عما يكره ظهوره من أحواله، والذب عن عرضه، وحمايته ونصرته.

قـال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المسـلم أخـو المسـلم، لا يظلمـه ولا يخذلـه ولا يكذبـه ولا يحقره، التقوى هاهنا - وأشار إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»[(٣)].

ثانيًا- الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات:

قـال حذيفـة العدوي: انطلقـت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي، ومعي شـيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رمق سـقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسـقيك؟ فأشار برأسه أن نعم، فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشـار إليَّ ابنُ عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشـام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول: آه! آه، فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات، رحمة الله عليهم جميعًا.

---

(١) «منهاج القاصدين» ص: [٩٢] لابن قدامة، مكتبه الهدى النبوي.
(٢) «وصايا الرسول» (٢/ ١١٠) للشيخ سعيد أبو عزيز، ط: المكتبة التوفيقية.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٦٤]، وأحمد [٢٧٧١٢]، والبيهقي [٣٠٣١٧].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

شبكة الألوكة

وكان بعض السلف يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة، يقوم بحاجتهم، ويتردد كل يوم إليهم، ويمونهم من ماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته.

وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت؟ هل لكم ملح؟ هل لكم حاجة؟!

فأين وَصْفُنَا أنا وأنت من هذه الأوصاف؟ أين شجرة الزيتون من شجر الصفصاف.

لا تعرضنَّ بذكرناَ في ذكرهمْ ... ليس السليمُ إذاَ مشيَ كالمقْعَدِ

وقال آخر:

تاريخُنَا منْ هؤلاء مبدَاهُ ... فما عداهُ فلا ذكرٌ ولا شانُ

ثالثًا- الحق في اللسان:

ينبغي على المسلم أن يخبر أخاه المسلم بمحبته إياه، قال ﷺ: «**إذا أحب الرجل أخاه، فليخبره أنه يحبه**»(١).

وترىَ الكريمَ إذاَ تصرَّمَ وصلهُ ... يُخْفِي القبيحَ ويظهرُ الإحسانَا

وترى اللئيمَ إذا تغيرَ وصلهُ ... يخفيِ الجميلَ ويُظهرُ البهتاناَ

رابعًا- العفو عن الزلات:

فمن حقوق الأخوة العفو عن الزَّلَّات، والتغاضي عن الهفوات، وستر العيوب، وحسن الظن به، وإن ارتكب معصية سرًا أو علانية فلا يقطع مودته، ولا يهمل أخوته، بل ينتظر توبته وأوبته، فإن أصرَّ قطعه، مع الإبقاء على إسداء النصيحة له، ومواصلة الموعظة رجاء أن يتوب الله عليه.

---

(١) حسن: رواه أبو داود [٥١١٤]، والترمذي [٢٥١٥]، والنسائي في «الكبرى» [١٠٣٤]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن أبي داود» [٥١١٤].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الفضيل: الفتوة الصفح عن زلات الإخوان[(١)].

وقال: من طلب أخًا بلا عيب بقي بلا أخ[(٢)].

وقال عبد الله بن محمد: المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب الزلات[(٣)].

ومن لا يُغْمِضْ عَيْنَهُ عنْ صديقهِ وعَنْ بعض ما فيه يمتْ وهوَ عاتبُ

ومـن يتتبـع جـاهـدًا كُـلَّ عَـثْـرةٍ يجدها ولَا يبقي لهُ الدهرَ صاحبُ

فإنك أيها الأخ الكريم إن طلبت أخًا منزهًا عن كل عيب لم تجد، ومن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية.

خامسًا- التخفيف وترك التكلف والتكليف:

فمن حق الأخوة أن لا يكلف المسلم أخاه ما يشق عليه، بل لا يقصد بمحبته إلا وجه الله، والتبرك بدعائه، والاستئناس بنصحه، والاستفادة من علمه، والاستعانة به على دينه بعد الله عَزَّوَجَلَّ.

قال عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراة، وألجأك إلى اعتذار[(٤)].

وقال الفضيل: إنما تقاطع الناس بالتكليف، يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه[(٥)].

وقال بعض السلف: من سقطت كلفته دامت ألفته، ومن خفت مؤونته دامت مودته، وإن سقوط الكلفة مُوجِبٌ للأنس، ومُذْهِبٌ للوحشة، وهو أن يفعل في بيت

(١) «مواقف إيمانيه» ص: [٤٨١] للشيخ أحمد فريد، ط: دار الصفوة.
(٢) «وصايا الرسول» (٢/ ١١١) للشيخ سعيد أبو عزيز، ط: المكتبة التوفيقية.
(٣) «آداب الصحبة» ص: [٤٤] لأبي عبد الرحمن السلمي، ط: دار الصحابة.
(٤) «وصايا الرسول» (٢/ ١١٤) للشيخ سعيد أبو عزيز، ط: المكتبة التوفيقية.
(٥) «المصدر السابق» (٢/ ١١٤).


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخيـه أربع خصال: أن يـأكل في بيته، ويدخل الخلاء عنده، ويصـلي وينام معه، فإذا فعل ذلك فقد تم الإخاء[(١)].

سادسًا- الوفاء والإخلاص:

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته؛ فهذا الحب لا يزيد بالطاعة، ولا ينقص بالجفـاء، وهـذا الحب ثابت ودائم حتى بعد موته، بعـد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحـب إنما يُراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل، وضاع السـعي، ولذلك قال ﷺ: «.. **ورجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه..**»[(٢)].

ومـن الوفـاء أن لا يتغير حاله مـن التواضع مع أخيه وإن ارتفع شـأنه، واتسـعت ولايته، وعظم جاهه.

قال بعض السلف لابنه: يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك، ومن تمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة[(٣)].

ورحم الله من قال:

وجـدتُ مُصيباتِ الـزمـانِ جميعًا ... سوى فرقةِ الأحبابِ هينةَ الخطبِ

وقال آخر:

مـــرضَ الـحـبـيـبُ فـعُـدتُـهُ ... فـمـرضـتُ مـن جـزعـي عـلـيـهِ

وأتـــى الـحـبـيـبُ يـعـودُنـي ... فـبـرئـتُ مـنْ نـظـري إلـيـهِ

---

(١) «منهاج المسلم» ص: [١٢٥] للشيخ أبو بكر الجزائري، ط: مكتبة دار التراث.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٤٢٣]، ومسلم [١٠٣١].

(٣) «وصايا الرسول» (٢/ ١١٣) للشيخ سعيد أبو عزيز، ط: المكتبة التوفيقية.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

سابعًا- الدعاء له في حياته وبعد مماته:

قـال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دعـوة المرء لأخيه بظهر الغيب مسـتجابة، عند رأسـه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**»(١).

كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعو لخلق كثير من إخوانه يسـميهم بأسـمائهم(٢) وكان الإمام أحمد بن حنبل: يدعو في السحر لستة من أصحابه(٣).

وقال محمد بن يوسف: أين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعمون بـما خلفت، وهـو منفرد بحزنـك، مهتم مما قدمت ومـا صرت إليه، يدعـو لك في ظلمة الليل، وأنت تحت أطباق الثرى(٤).

وقال بعض السـلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء، يفرحون، بذلك كما يفرح الحي بالهدية(٥)!

فوائد وثمرات حُسن الصحبة والأخوة في الله

إن لحسـن الصحبة والأخوة في دينه، فوائد عظيمة، وثمرات محققة، ومنافع جمة في الدنيا والآخرة، وإليك بعض الفوائد والثمرات الطيبة المباركة.

أولًا- حسن الصحبة والأخوة في الله علامة على الإيمان:

إن حسـن الصحبـة والأخـوة في الله علامة على الإيمان، حيث جعل الإسـلام هذا النوع من الأخوة فوق كل أخوة قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) صحيح: رواه مسلم [١٥٣٥]، وأبو داود [١٥٣٤]، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» [٧٨٧].
(٢) «منهاج القاصدين» ص: [٩٦] لابن قدامه المقدسي، ط: مكتبه الهدى النبوي.
(٣) «المصدر السابق» ص: [٩٦].
(٤) «وصايا الرسول» (٢/ ١١٣) للشيخ سعيد أبو عزيز، ط: المكتبة التوفيقية.
(٥) المصدر السابق (٢/ ١١٣).



وقد جعل الإسلام هذا التآخي من كمال الإيمان، ومن كمال الإيمان أن يحب المسلم لأخيه المسلم ما يحب لنفسه.

ثانيًا- الأخوة في الله تجلب محبة الله للعبد:

فعن أبي إدريس الخولاني أنه قال: «دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى براق الثنايا، وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيءٍ أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل معاذ بن جبل، فلما كان الغد هَجَّرتُ فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي. قال: فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني لأحبك لله. فقال: آلله؟: فقلت: آلله؟. فقال: آلله؟. فقلت آلله؟».

فأخذ بحبوة ردائي، فجبذني إليه وقال: أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: وجبت محبتي للمتحابين في، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ»**[(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: **«إن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له ملكًا على مدرجته**[(٢)]**، فلما أتى عليه قال أين تُريد؛ قال: أخًا لي في هذه القرية، قال: فهل له عليك من نعمة تربُّها**[(٣)]**؟ قال: لا، إلا أني أحبه في الله عَزَّوَجَلَّ، قال: فإني رسول الله إليك، إن الله أحبك كما أحببته فيه»**[(٤)].

ثالثًا- الأخوة في الإنسانية بحكم أن الإنسان هو أخ للإنسان عليه أن يتوجه إليه بالدعوة إلى هدايته وتزكيته. وهذا من أهم خصائص المنهج القرآني.

(١) **صحيح:** رواه أحمد (٥/ ٢٣٢)، ومالك (٢/ ٩٥٣) في «الموطأ»، والحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، انظر: «شرح الموطأ» للزرقاني (٤/ ٣٥٠).

(٢) **المدرجة:** الطريق.

(٣) **تربها:** تقوم بها وتسعى في إصلاحها.

(٤) **صحيح:** رواه مسلم [٢٥٦٧].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابعًا- تحقيق التماسك والترابط في المجتمع الإسلامي، حيثُ تربطُ الأخوة بين الأفراد وتشُدُ من أواصر الصلة والمحبة والتعاون على البر والتقوى.

خامسًا- حماية المجتمع الإسلامي من أشكال الانحراف، ومن أمراض الضعف الحضاري، بحيث يستمُر هذا المجتمعُ في قُوته وعطائِه.

سادسًا- حماية الفرد المسلم من نقاط ضعفه التي جُبل عليها، وفي الوقت نفسه حماية المسلم الآخر من هذا الضعف وألوانه.

سابعًا- تحقيق التوازن الاجتماعي، بتحقيق معنى الأخوة السامي، فلا يستشعر الفرد المسلم ألم الفوارق بين المسلم وأخيه المسلم، سواءٌ كان هذا الفارق في المال أو الجاه أو في غير ذلك.

ثامنًا- توفير الفرصة الكاملة للابتكار والأداء الممتاز في قلب المجتمع بالإنسجام بين أفراده.

تاسعًا- تُتيحُ الأخوة فرصة طيبة من أجل تحقيق التكامل الاجتماعي، وتحقيق العدل في المجتمع الإسلامي لأنها تبني المجتمع على أساس من علاقاتٍ اجتماعية سليمة.

عاشرًا- تُتيح الأخوة فرصة جيدة من أُجل تحقيق صالح المجتمع، حيث لا تتضخم الذوات الإنسانية على حساب هذا الصالح، وفي أحداث التاريخ الإسلامي البرهانُ على ذلك.

فينبغي علينا أن نسعى لكل سبب يُوجب المودة والمحبة والأخوة بين المسلمين، لأنه لا يمكن التعاون على الخير والبر والتقوى إلا بالأخوة في الله، فإذا طبقنا هذه الأخوة تطبيقًا عمليًا اعتقاديًا، كما طبقها الجيل المبارك والرعيل الأول من أصحاب النبي



www.alukah.net
شبكة الألوكة

ﷺ انتشر الخير والفضل،وزالت معاني الغُربة والوحشة والشقاق والاختلاف وسعد الجميع[(١)].

ابْلُ الرِّجَالَ إِذَا أَرَدْتَ إِخَاءَهُمْ ... وَتَوَسَّمَنَّ أُمُورَهُمْ وَتَفَقَّدِ
فَإِذَا وَجَدْتَ أَخَا الأَمَانَةِ والتُّقَى ... فَبِهِ اليَدَيْنِ - قَرِيرَ عَيْنٍ - فَاشْدُدِ
وَدَعِ التَّذَلُّلَ والتَّخَشُّعَ تَبْتَغِي ... قُرْبَ امْرِىءٍ إِنْ تَدْنُ مِنْهُ تُبَعَّدِ[(٢)]

وقال بشارُ بن بُردٍ:

إِذا كُنْتَ فِي كُلِّ الأُمُورِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهْ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْصِلْ أَخَكَ فَإِنَّهُ ... مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِراراً عَلَى الْقَذَى ... ظَمِئْتَ وَأَىُ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ[(٣)]

وقال بعضهم:

مَاذَا قَتِ النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ ... أَلَذَّ مِنْ حُبِّ صَدِيقٍ أَمِينِ
مَنْ فَاتَهُ وِدُّ أَخٍ صَالِحِ ... فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ حَقَّ الْيَقِينِ[(٤)]

وقال آخر:

أَخَكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَهُ ... كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيرِ سِلَاحِ[(٥)]



(١) إذا أردت الاستذادة فرجع إلى كتابنا «أوثق عُرى الإيمان» طبعة دار التوحيد للتراث بالأسكندرية.
(٢) «كتاب الإخوان» ص: [١١٥] لابن أبي الدنيا، ط: دار الاعتصام.
(٣) «آداب العشرة» ص: [٢١] للغزى، ط: دار ابن حزم.
(٤) «آداب العشرة ص: [٢١] للغزى، ط: دار ابن حزم
(٥) «شرح ابن عقيل» (٣/ ٣٠١).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحِلْمُ

الحلم: هو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب مع القدرة على ذلك، وهو الطمأنينة عند سورة الغضب. والحلم خُلُق كريم، ومن نفاسة اسمه، وارتفاع قدره، أن الله تَعَالَىٰ تسمى به.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

ومن أسماء الله الحُسنى: «الحليم».

فضل الحلم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي من كلمة طيبة ودعاء لمسلم ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي عفو وغفر عن ظلم قولي أو فعلي ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَلِيمٌ﴾ ويغفر ويصفح ويتجاوز[(١)].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

قال ابن العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ **أي:** ذو خلق حسن وسعة صدر، وعدم غضب عند جهل الجاهلين ﴿أَوَّٰهٌ﴾ **أي:** متضرع إلى الله في جميع الأوقات ﴿مُّنِيبٌ﴾؛ **أي:** رجاع إلى الله بمعرفته ومحبته والإقبال عليه والإعراض عمن سواه[(٢)].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١].

قال الجزائري: «أي ذي حلم وصبر كثير»[(٣)].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٢٩٢ - ٢٩٣) للحافظ ابن كثير، ط: مؤسسة الخلود.

(٢) «تفسير القران الكريم» (٥/ ٢٢٢) للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط: دار البصيرة.

(٣) «أيسر التفاسير» (٢/ ١٢٩٦) للشيخ أبو بكر الجزائري، ط: مكتبة العلوم والحكم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

قال أبو رُزين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أي كونوا حُلماء عُلماء»(١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُلماء، وإن جُهِل عليهم لم يجهلوا»(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

قال عطاء بن أبي رباح: «حُلماء عُلماء»(٣).

وعن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رجُلًا قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أَصلُهُم ويقطعوني، وأُحسن إليهم ويُسيئون إليّ، وأحلُمُ عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «لئن كنت كما قُلت، فكأنما تُسِفُّهم الملّ(٤)، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دُمت على ذلك»(٥).

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو عند الكرب ويقول: «**لا إله إلا الله العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُ السموات والأرض وربُ العرش العظيم**»(٦).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشج عبد القيس: «**إن فيك لخصلتين يُحُبُهما الله: الحلم والأناة**»(٧).

وقال معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لا يبلغ العبدُ مبلغ الرأى حتى يغلب حِلْمُهُ جهله، وصبرُهُ شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم».

---

(١) «وتفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٧٧) للحافظ ابن كثير، ط: دار المعرفة

(٢) «الحلم» ص: [١٠] لابن أبي الدنيا، ط: دار الإيمان.

(٣) «الحلم» ص: [١١] لابن أبي الدنيا، ط: دار الإيمان.

(٤) **الملّ**: الرماد الحار.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم [٢٥٥٨].

(٦) **صحيح**: رواه البخاري [٦٣٤٥]، ومسلم [٢٧٣٠].

(٧) **صحيح**: رواه البخاري [٨٧]، ومسلم [١٨]، والترمذي [٢٠١١].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عطاء بن أبي رباح: «ما أوى شيءٌ إلى شيء أزينُ من حلمٍ إلى علمٍ».

وقال معاوية لعمرو بن الأهتم: «أي الرجال أشجع؛ قال: من رد جهله بحلمه. قال: أي الرجال أسمي؟ قال: من بذل دنُياه في صلاح دينه.

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «الحِلمُ من الخلال التي تُرضى الله، وهو يجمع لصاحبه شرف الدنيا والآخرة، ألم تسمعوا الله تَعَالَىٰ وقد وصف خليله بالحلم فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هُود: ٧٥].

وقال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ليس الخير أن يكثُر مالك وولدك، ولكن الخير أن يعظُم حِلُمك، ويكثر علمُك».

وقال الحسن: «المؤمن: حليم لا يجهل وإن جُهل عليه، حليم لا يظلم وإن ظُلم غفر، لا يقطع، وإن قطع وصل[١]، لا يبخل، وإن بُخِل عليه صبر»[٢].

أنواع الحِلْم:

الحلم على ضربين:

أحدهما- ما يَردُ على النفس من قضاء الله من المصائب التي امتحن اللهُ بها عبادهُ فيصبرُ العاقل تحت وُرُودها ويَحلُمُ عن الخروج إلى ما لا يليقُ بأهل العقل.

وثانيهما- ما يردُ على النفس بضد ما تشتهيه من المخلوقين، فمن تَعوَّد الحلم فليس بمحتاج إلى التصبرُ لاستواء العدم والوجود عنده»[٣].

---

(١) **وصل**: أي وصل رحمه.

(٢) هذه الآثار والنماذج من كتاب «الحلم» ص: [٦٠] لابن أبي الدنيا، ط: دار الإيمان وكتاب «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٧٩) لأبي حامد الغزالي، ط: دار الصحابة

(٣) «روضة العقلاء» ص: (٢٠٨-٢١٤) بتصرف.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأسباب الدافعة للحلم:

قال الإمام الماورديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحِلمُ من أشرف الأخلاق وأحقها بذوى الألباب لما فيه من سلامةِ العِرض وراحةِ الجسد واجتلاب الحمد. والأسباب الباعثة عليه عشرةٌ:

أولها- الرحمةُ للجُهال، وذلك من خير يوافق رِقَّةً، وقد قيل في منثور الحِكم: من أوكد أسباب الحِلم رحمةُ الجُهال.

ثانيها- القدرة على الانتصار، وذلك من سعة الصدر، وحُسن الثقة، وقد قال بعض البلغاء: «أحسنُ المكارم: عفوُ المُقتدر، وجُودُ المُفتقر».

ثالثها- الترفعُّ عن السباب، وذلك من شرف النفس وعُلُو الهمة. وقد قيل: إن الله تعالى سمى نبيه يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «سيدًا» وذلك لحلمه.

ولذلك قال الشاعر:

لا يَبْلُغُ المْجدَ أقْوامٌ وإن كَرُمُوا ... حتى يَـذلُّـوا وإن عـزُّوا لأَقْـوَامِ

وَيَستْتَمُو فَتَرى الألـوانَ مُسْفِرَةً ... لا صَفْحَ ذُلٍّ ولكنْ صَفْحَ أحْلامِ

رابعها- الاستهانةُ بالـمُسِيء، وذلك عن ضرب من الكبر والإعجاب، ومن مُستَحسنيه: لما تولى مُصعب بن الزبير على العراق جلس يومًا لعطاء الجند، وأمر مناديهُ فنادى: أين عمرو بن جُرمُوز؛ - وهو الذي قتل أباه الزُبير بن العوام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقيل له: إنه قد تباعد في الأرض. فقال: أَوَيَظُنّ الجاهلُ أني أُقِيدُه بأبي عبد الله؛ فليظهر آمنًا ليأخُذ عطاءهُ موفَّرًا ! فعد الناسُ ذلك من مُستحسن الكبر.

خامسها- الاستحياء من جزاء الجواب، والباعث عليه صيانة النفس، وكمال المروءة ولذلك قيل: ما أفحش حليمٌ ولا أوحش كريمٌ.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

سادسها- التفضُّل على السَّاب؛ ويبعثُ عليه الكرم وحب التألف، وقد حُكى عن «الأحنف بن قيس» أنه قال: ما عاداني أحد قط إلا أخذتُ في أمره بإحدى ثلاث خصال:

❁ إن كان أعلى مني عرفتُ له قدره.

❁ وإن كان دوني رفعتُ قدري عنه.

❁ وإن كان نظيرى تفضلتُ عليه.

سابعها- استنكافُ السباب وقطعُ سببه؛ والباعث عليه الحزم، وقد قال الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما أدركتُ أُمى فأبُرها، ولكن لا أسُبُّ أحدًا فيسُبُّها».

ولذلك قيل: في إعراضِك صونُ أعراضك.

وقد قال الشاعر:

وفي الحلْم رَدْعٌ للسَّفِيهِ عن الأَذى ... وفي الخُرْقِ إغْراءٌ فلاتكُ أَخْرقَا

ثامنها- الخوف من العقوبة على الجواب؛ ويبعث عليه: ضعفُ النفس، وربما أوجبه الرأىُ واقتضاء الحزم. وقد قيل: «الحِلمُ حِجابُ الآفات».

وقد قال الشاعر:

ارْفُقْ إذا خفْتَ مِنْ ذِي هَفْوَةٍ خَرَقًا ... لَيْسَ الحَليم كَمَنْ في أمْره خَرَقُ

تاسعها- الرِّعايةُ ليدٍ سالفةٍ وحرُمةٍ لازمةٍ: والباعث عليه الوفاءُ وحسن العهد. وقد قيل: في مَنْثور الحِكَم: «أكرمُ الشيم، أرعاها للذم».

عاشرها- المَكْرُ وتوقعُ الفُرصِ الخفية: ويبعث عليه الدهاء، وقد قيل في منثور الحِكم: «من ظهر غضبُهُ قل كيده».

وقال بعضُ الأدباء: غضبُ الجاهل في قوله، وغضبُ العاقل في فِعله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض الحُكماء: إذا سَكَتَّ عن الجاهل فقد أوسعتهُ جوابًا وأوجعتهُ عِقابًا.

حِلْمُ النبي ﷺ:

هذه بعض المواقف الدالة على حلمه ﷺ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إن رجُلًا أتى النبي ﷺ يتقاضاه[(١)] فأغلظ، فهم به أصحابُهُ فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعُوه فإن لصاحب الحق مقالا**». ثم قال: «**أعطُوه سِنًّا مثل سِنِّه**».

قالوا: يا رسول الله، إلا أمثل من سِنِّه.

فقال: «أعطُوه، فإنَّ من خيركُم أحسنكُم قضاءً»[(٢)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُـرْدٌ نجراني غليظ الحاشـية فأدركه أعـرابي فجبذه بردائه جبذةً شـديدة، حتى نظرتُ إلى صفحـة عاتِقِ رسـول الله ﷺ قد أثرت بها حاشـيةُ البُردِ من شـدةجبذتِهِ، ثم قال: يـا محمد مُر لى مِن مال الله الذي عندك، فالْتفَتَ إليه رسـولُ الله ﷺ ثم ضَحِك ثم أَمر له بعطاء!»[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحُدُ؛ قال: «لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشـدُّ مالقيتُ منهم يوم العقبة، إذ عرضـت نفسـى على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجبنـي إلى ما أردتُ فانطلقتُ وأنا مهمـوم عـلى وجهي، فلم أسـتفق إلا وأنا بقـرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا بسـحابةٍ قد أظلتني فنظرتُ فإذا فيها جيربلُ، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك، وقد بعث اللهُ إليك مَلَكَ الجبالِ لتأمُرهُ بما شـئت فيهم. فناداني ملكُ الجبال فسلم

(١) كان النبي ﷺ قد استلف من هذا الرجل بكرًا صغيرًا من الإبل.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٠٦]، ومسلم [١٦٠١].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٥٨٠٩]، ومسلم [١٠٥٧].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»(١)، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبُدُ الله وحده ولا يشرك به شيئًا**»(٢).

صور مُشرقة من حلم الصحابة والتابعين:

سب رجل عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وبالغ في شتمه، فقال عبد الله بن عباس لعكرمة يا عكرمة: هل للرجل حاجة فتقضيها له؟! فنكس الرَّجُلُ رأسه واستحي مما رأى من حِلمه عليه»(٣).

وذكر البيهقي: أن جارية لعلى بن الحسين رَحِمَهُ اللهُ جعلت تسكُب عليه الماء ليتوضأ للصلاة، فسقط الإبريقُ من يد الجارية على وجهه فشجه، فرفع على بن الحسين رأسه إليها.

فقالت الجارية إن الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿**وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]. فقال لها: قد كظمتُ غيظى.

قالت الجارية: ﴿**وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]. فقال لها: عفا اللهُ عنك

قالت: ﴿**وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال: اذهبي فأنت حُرّة!

كان الأحنف بن قيس أحد من يُضربُ بحلمه وسُؤْدُده المثلُ.

قال الذهبي: أن رجلا خاصم الأحنف، وقال: لئن قلت واحدة، لتسمعن عشرًا.

فقال له الأحنف: لكنك إن قُلت عشرًا لم تسمع واحدة!(٤).

---

(١) **الأخشبين**: جبلا مكة: جبل أبو قبيس، والجبل الذي يقابله.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٣١]، ومسلم [١٧٩٥].

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٧٨) للغزالي، ط: دار الصحابة.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٩٣) للإمام الذهبي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرحمة

الرَّحْمـةُ: هي الرقـة والرأفة والعطف، وهي خلق مركبٌ مـن الوُدِّ والجزع، وهي سـببٌ واصـل بين الله وبـين عباده، وبها أرسـل إليهم رُسُـلهُ، وأنـزل عليهـم كُتُبهُ، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم»[١].

معاني الرحمة في القرآن الكريم:

وردت الرحمة في القرآن الكريم على أوجُه عديدة:

منهـا مـا جـاء بمعنـى صفـة الرحمـن الرحيـم: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

ومنهـا ما جاء بمعنـى الجنة دار السـلام والأمـان: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

ومنهـا مـا جاء بمعنى «وصـف» الكتاب المُنزل على موسـى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧].

ومنهـا ما جاء بمعنى أرزاق الإنسـان والحيـوان: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

ومنهـا ما جاء بمعنـى قطرات ماء الغيث «المطـر»: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

ومنها ما جاء بمعنى العافية من الابتلاء والامتحان: ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ [الزمر: ٣٨]

---

(١) «بصائر ذوى التمييز» (٣/ ٥٥) للفيروز آبادي، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومنها ما جاء بمعنى النجاة من عذاب النيران: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ [النور: ١٠]

ومنها ما جاء بمعنى النُصرة على أهل العدوان: ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧].

ومنها ما جاء بمعنى الألفة والمحبة بين أهل الإيمان: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧][١].

من مظاهر رحمة الله:

فإن العبد لا يستطيع حصر مظاهر رحمة الله عَزَّوَجَلَّ التي لا ممسك لها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

قال الحسن: «وسعت في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة»[٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

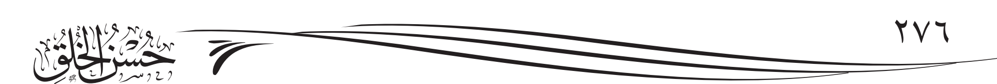
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»[٣].

---

(١) «نضرة النعيم» (٦/ ٢٠٦٣) مجموعة علماء، ط: دار الوسيلة.
(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٦/ ٨١) للإمام الطبرى، ط: دار الثقافة العربية.
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٧٤٠٤]، ومسلم [٢٧٥١]، واللفظ له

www.alukah.net
شبكة الألوكة



وعن سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كُل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطفُ الوالـدة على ولدها، والوحـشُ والطيرُ بعضها على بعضٍ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»**(١).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قدم على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبيٌ فإذا امرأةٌ من السبى تحلب ثديها تسقى، إذ وجدت صبيًا في السبى أخذتهُ فألصقته ببطنها وأرضعتهُ.

فقـال النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أتـرون هذه طارحـة ولدها فـي النار؟» قلنـا: لا، وهي تقِدر على أن لا تطرحهُ»**.

فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»(٢).

هـذه بعـض الآيات والأحاديث النبوية الدالة على سـعة رحمـة الله وفضله، وإليك أخى الكريم بعض مظاهر رحمة الله تَعَالَىٰ.

نعمة الإيجاد والإمداد:

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [هُود: ٦].

فمن أجل نعم الله عَزَّوَجَلَّ على المخلوقات: أنه خلق ورزق.

قال ابن عطاء الله السـكندرى: «نعمتان ما خرج موجودٌ عنهما، ولابد لكل مُكونٍ منهما: نعمة الإيجاد، ونعمةُ الإمداد»(٣).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٧٥٣].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٥٩٩٩]، واللفظ له، ومسلم [٢٧٥٤].

(٣) «الحكم العطائية» ص: [٢١]. لابن عطاء الله السكندري، ط: دار الصفا.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نعمة الهداية والإرشاد:

هذه أيضًا من أعظم النعم، ولولاها لكان الناس كالبهائم السائمة.

فسبحان الذي خلق فسوى، وقدر فهدى.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

رأى بعضُ السلف قومًا يبكون على ميت لهم، ولما ازداد بكاؤهم، قال: «عجبتُ لقوم يبكون على من مات بدنُهُ، ولا يبكون على من مات قَلْبُهُ وهو أشد!».

نعمة إمهال العُصاة: وهذه أيضًا من أجل نعم الله تعالى على العباد.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر: ٤٥].

نعمة قبول التوبة:

وهذه أيضًا من سعة رحمته سبحانه، وعظيم فضله. إذ هو سبحانه يفتح باب الأمل والرحمة للعاصين، فيقول: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

ما زلتُ أُعْرف بالإساءةِ دائمًا ... ويكونُ مِنْكَ العفو والغُفرانُ
ولم تُنقصني إن أسأتُ وَزِدتني ... حتى كأن إساءتي إحْسَانُ!
تُولي الجميلَ على القبيحَ تكرُمًا ... أنْتَ الإلهُ المُنعْمُ المنّانُ

رحمته تَعَالَىٰ بالأمة:

وهذا واضح في يُسر التشريع، وتخفيف الأحكام، ومراعاة الظروف والأحوال، والدعوة إلى العفو والصفح.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

قال الشيخ ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن الشريعة كُلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق، فإن الله لم يكلف نفسًا إلا وسعها، وإن تدبرت ما شرعه الله عَزَّوَجَلَّ في المعاملات، والحقوق الزوجية، وحقوق الوالدين والأقربين، والجيران، وسائر ما شرع وجدت ذلك كله مبنيا على الرحمة، ثم قال: لقد وسعت هذه الشريعةُ برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفقون من الخلق»(١).

فضل الرحمة:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكَهف: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفَتح: ٢٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البَلَد: ١٧].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الراحمون يرحمُهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض، يرحمُكم من في السماء**»(٢).

---

(١) «الرياض النضرة والحدائق النيرة» ص: (٦١-٦٥) للشيخ ناصر السعدي. ط: مكتبة ابن تيمية.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٩٤١]، واللفظ له، والترمذي [١٩٢٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سنن» الترمذي برقم [٢٠٠٦].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ أبا القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا تُنزع الرحمةُ إلا من شقى**»[(١)].

قال الطِّيبي: في شرح هذا الحديث ولأن الرحمة في الخلق رقةُ القلب علامة على الإيمان، فمن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شَقِيّ، فمن لا يُرزق الرقة شقى»[(٢)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[(٣)].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**جعل اللهُ الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين. وأنزل في الأرض جزءًا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق. حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تُصيبه**»[(٤)].

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يرحمُ اللهُ من لا يرحم الناس**»[(٥)].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لن تُؤمنوا حتى ترحموا**». قالوا يا رسول الله كلنا رحيمٌ، قال: «**إنه ليس برحمة أحدكم صاحبهُ، ولكنها رحمةُ الناس العامة**»[(٦)].

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود [٤٩٤٢]، والترمذي [١٩٢٣]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح سنن» الترمذي برقم [٢٠٠٥].

(٢) «تحفة الأحوذى» (٥/ ٣٣٩) للمباركفوري، ط. دار ابن حزم

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٥٩٩٧]، ومسلم [٢٣١٨].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠٠٠]، ومسلم [٢٧٥٢] واللفظ له.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٧٣٧٦]، ومسلم [٢٣١٩].

(٦) **صحيح**: رواه البيهقي [١٦٧]، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ١٣٤)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١/ ٢٧٠).



وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُدخلُ اللهُ أهل الجنة الجنة. يُدخِلُ من يشاء برحمته، ويُدخِلُ أهل النار النار، ثم يقول: انظروا، من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجوه، فيُخرجون منها حُممًا[١] قد امتحشوا[٢] فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فيُنبتون فيه كما تُنبتُ الحبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرُج صفراء مُلتوية**»[٣].

قال الحسن وقتادة، في قول الله تَعَالَى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: ١٥٦]

قالا: «وسعت في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة»[٤].

وقال سُفيان بن عُيينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خُلقت النارُ رحمة يخوف الله بها عباده لينتهوا»[٥].

وقال المُهلب رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم»[٦].

وقال الحافظ ابن حجر تعليقًا على حديث: «**من لا يرحم لا يُرحم**».

قال ابنُ بطال: فيه الحضُ على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام، والسعي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب» [٧].

---

(١) **حممًا**: أي: فحمًا. (٢) **امتحشوا**: احترقوا.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٦٥٦٠]، ومسلم [١٨٤]، واللفظ له.

(٤) «جامع البيان في تأويل القرآن» (٦/ ٨١) للإمام الطبري، ط: دار الثقافة العربية

(٥) المصدر السابق (٧/ ٢٧٥).

(٦) «فتح الباري» (١٠/ ٤٤٧) للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط: دار الريان.

(٧) «فتح الباري» (١٠/ ٤٥٥) للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة.



الرّحمة في حياة النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ: يُسمِّي لنا نفسه أسماءً، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمُقفى[١]، والحاشر[٢]، ونبي التوبة، ونبي الرحمة»[٣].

قال الغزالي: لما أراد الله تعالى أن يمتن على العالم برجُلٍ يمسح آلامه ويخفف أحزانه، ويجدد آماله، ويرثى لخطاياه، ويستميت في هدايته، أرسل محمدًا ﷺ وسكب في قلبه العلم والحلم، وفي خُلُقه من الإيناس والبر، وفي طبعه من السهولة والرقة، وفي يده من السخاوة والندى، ما جعله أزكى عباد الله،وأوسعهم عاطفة، وأرحبهم صدرًا[٤].

هذه بعض الآيات والأحاديث الدالة على عُلو خُلُقه، وطيب معدنه صلوات ربي وتسليماته عليه، وننتقل إلى المثل التطبيقي في حياة النبي ﷺ في «الرحمة».

رحمته ﷺ بأهله وذويه:

عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرعُ ابنُ حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبلتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[٥].

---

(١) **المقفي**: المتبع للأنبياء.

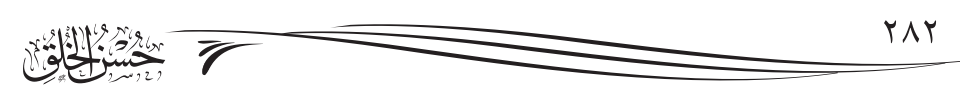
(٢) **الحاشر**: أي الذي يُحشر الناسُ خلفه وعلى ملته دون ملة غيره.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٣٥٥].

(٤) «خلق المسلم»، ص: [٢٥٣] للغزالي، ط: دار الدعوة.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٥٩٩٧]، واللفظ له، ومسلم [٢٣١٨].





وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرج علينا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأُمامة بنت أبي العاص على عاتقة فصلى، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها»[(١)].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتي عليك يوم أشد من يوم أُحُد؟

قال: «لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشدُ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجبني إلى ما أردتُ فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك، وقد بعث اللهُ إليك ملك الجبال لتأمُرُه بما شئت فيهم. فناداني ملكُ الجبال فسلم على ثم قال: يا مُحمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين»[(٢)]. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بل أرجو أن يُخرج اللهُ من أصلابهم من يعْبدُ الله لا يشركُ به شيئًا**»[(٣)].

رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأطفال:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما رأيتُ أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعنه أيضًا أنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خُلُقا، وكان لي أخٌ يُقال له أبو عمير - قال: أحسبه كان فطيما[(٤)] - قال: فكان إذا جاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرآه

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥٩٩٦]، ومسلم [٥٤٣].

(٢) **الأخشبين**: جبلا مكة: أبو قيس، والجبل الذي يقابله.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٣٢٣١]، ومسلم [١٧٩٥].

(٤) **فطيم**: بمعنى مفطوم، أي انتهى إرضاعه.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: «يا أبا عُمير، ما فعل النُغير؟[(١)] نغرٌ كان يلعب به، فربما حضرت الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيُصلي بنا»[(٢)].

رحمته ﷺ بالمسلمين:

قال الله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال الإمام الرازي: «اعلم أن هذه الآية دلت على أن رحمة الله تعالى هي المؤثرة في صيرورة محمد ﷺ رحيمًا بالأمة. فإذا تأملت حقيقة هذه الآية عرفت دلالتها على أنه لا رحمة إلا لله سُبحانَهُ»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حريص عليكم لا يلقي بكم في المهالك ولا يدفع بكم إلى المهاوى، فإذا هو كلفكم الجهاد، وركوب الصعاب فما ذلك من هوان بكم عليه ولا بقسوة في قلبه وغلظة، إنما هي الرحمة في صورة من صورها. الرحمة بكم من الذل والهوان، والرحمة بكم من الذنب والخطيئة، والحرص عليكم أن يكون لكم شرف حمل الدعوة وحظ رضوان الله، والجنة التي وعد المتقون»[(٤)].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين ساريتين، فقال: «**ما هذا؟**»، قالوا: هذا حبل لزينب، تصلى فإذا كسلت أو فترت[(٥)]

---

(١) **النغير:** طائر يشبه العصفور.

(٢) **صحيح:** رواه البخاري [٥٧٧٨]، ومسلم [٢١٥٠]، والترمذي [٣٣٣].

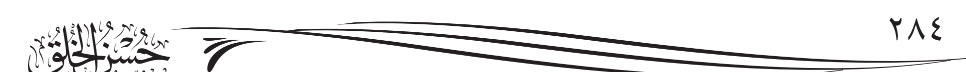
(٣) «مفاتيح الغيب» (٨/ ٥٢٧) للإمام الرازي، ط: دار الغد.

(٤) «في ظلال القرآن» (١٧٣/ ٢) للأستاذ: سيد قطب، ط: دار الشروق.

(٥) **فترت:** ضعفت عن القيام.



www.alukah.net
شبكة الألوكة



أمسكت به. فقال النبي ﷺ: «**حُلُّوه، ليُصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد**»(١).

رحمته ﷺ بأعدائه:

يدل على ذلك مواقف عديدة منها:

❁ عفوه ﷺ عن المشركين لما فتح مكة.

❁ نهيه عن التعرض للمسالمين أثناء الحروب.

❁ تحذيره ﷺ من ظلم أهل الذمة.

❁ حضه ﷺ على حُسن معاملة الأسرى، وغير ذلك من المواقف التي لا تحصى.

رحمته ﷺ بالحيوان:

يدل على هذه الرحمة أحاديث كثيرة ومتعددة منها: ما رواه مسلم في صحيحة عن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُحدَّ أحدُكم شفرته، وليُرح ذبيحته**»(٢).

وُلِدَتْ بمولِدك المكارمُ والنّدى ... والحِلْم عند الغَيظْ والإحسانُ

والرِّفق والصّفح الجميلِ عن الأذى ... والعزّة الشَّماء والغُفرانُ

فأقمتَ لِلْخُلق الكريم مَنارةً ... وسَمَا بعذب حدِيثك التبيانُ

فصل الخطاب لَقد ملكت زمامهِ ... ونثرت ما لم يستطعهُ لسانُ

وأتيتَ بالتوحيدِ صِرْفًا خالِصًا ... لله لم يُشركْ به إنسانُ

❁❁❁

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١١٥٠]، ومسلم [٧٨٤].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [١٩٥٥].



العفة

العفـة: هي الكـفُ عن القبيح، والمحارم الدنية، والكف عن الحرام والسـؤال من الناس. وهي النزاهة عن الشيء.

قال الكفوي: «العفة هي الكف عما لا يحل»(١).

وقـال الجاحظ: «هـي ضبط النفس عن الشـهوات وقصرُها على الاكتفـاء بما يُقيمُ أوَدَ الجسدِ ويحفظُ صحتهُ فقط، واجتنابُ السرف في جميع الملذات وقصدُ الاعتدال، وأن يكون ما يُقتصر عليه من الشـهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفي أوقات الحاجـة التـي لاغني عنها، وعـلى القدر الذي لا يحتـاجُ إلى أكثر منه، ولا يحـرُسُ النفس والقوة أقلُ منه، وهذه الحال هي غاية العفة»(٢).

وقـال الجُرجـاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العفة:** هي هيئة للقوة الشـهوية متوسـطةٌ بين الفجُور الـذي هـو إفراطُ هذه القوة، والخُمود الذي هو تفريطُـهُ. فالعفيفُ منْ يباشِرُ الأمور على وفـق الشرع والمُروُءة»(٣). والعفة دليلٌ على كمال النفـس وعِزِّها، ونزاهتها، ودليل كمال العقل، وهي ركنٌ من أركان المروءة.

فضائل العفة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣].

---

(١) «الكليات» ص: [٣٣٩] للكفوى، ط: دار ابن تيمية.

(٢) «تهذيب الأخلاق»، ص: (٢١-٢٢).

(٣) «التوفيق على مهمات التعاريف» ص: [١٥١] للمناوي، ط: مكتبة الصفا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال القاسمي: أي الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم أغنياء من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم «تعرفهم بسيماهم» أي بما يظهر لذوى الألباب من صفاتهم كما قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾، وقال «لتعرفنهم في لحن القول». «لا يسألون الناس إلحافًا» أي لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه[1].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

قال ابن العثيمين: «أمر من كان فقيرًا بأن يستعفف حتى يغنيه الله من فضله، يعني: لا يُطلق لنفسه العنان بالنظر المحرم، والمباشرات المحرمة، وتتبع النساء وما أشبه ذلك، بل يجب عليه أن يستعفف عن الزنا وأسبابه ومقدماته[2].

وقال تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

قال ابن العثيمين: أي: قعدن عن الحيض والولد لكبرهن، فليس عليهن جناح أن يضعن الثياب من الجلباب والرداء والقناع، غير متبرجات بزينة كقلادة أو سوار أو خلخال. وأن يستعففن بأن لا يضعنها خير لهن والله سميع لقولهم عليهم بما في قلوبهم[3].

وقال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ

(١) «محاسن التأويل» (١/ ٦١٦) لجمال الدين القاسمى، ط: دار الحرمين.
(٢) «تفسير القرآن الكريم (٥/ ٦٩٨) للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط: دار البصيرة.
(٣) المصدر السابق (٥/ ٧٩٧-٧٩٨).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يُوسُف: ٢٣-٢٤].

قال الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عجبًا للحُبِّ! هذه ملكةٌ تعشق فتاها الذي ابتاعه زوجُها بثمن بخس، ولكن أين مُلكُها وسطوةُ مُلكها في تصوير الآية؟ لم تزد الآية على أن قالت: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى﴾ و﴿ٱلَّتِى﴾ هذه كلمة تدلُ على كل امرأة كانت من كانت؛ فلم يبق على الحُب مُلكٌ ولا منزلة، وزالتِ المَلِكة من الأُنثى! وأعجبُ من هذا كلمة ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾ وهي بصيغتها المفردة حكاية طويلة تُشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها لونٍ بعد لون؛ ذاهبة إلى فن، راجعة من فن؛ لأن الكلمة مأخوذة من رودانِ الإبل في مشيتها؛ تذهب وتجيء في رِفق. وهذا يُصور حيرة المرأة العاشقة، واضطرابها في حُبِّها، ومحاولتها أن تنفذ إلى غايتها.

ثم قال: ﴿عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ليدُلَّ على أنها لا تطمع فيه، ولكن في طبيعته البشرية. ثم قال: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ ولم يقل: أغلقت وهذا يُشعر أنها لَّما يئست، ورأت منه محاولة الانصراف، أسرعت في ثورة نفسها مهتاجة تتخيل القُفَل الواحد أقفالًا عِدَّة، وتجرى من باب إلى باب، وتضطرب يدُها في الإغلاق، كأنها تُحاول سد الأبواب لا إغلاقها فقط.

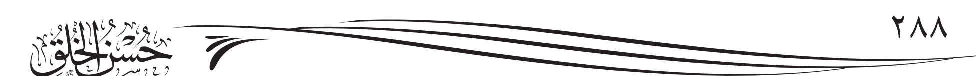
«وقالت هيت لك» ومعناها في هذا الموقف أن اليأس قد دفع بهذه المرأة إلى آخر حدوده، فانتهت إلى حالة من الجنون بفكرتها الشهوانية، ولم تعد لا ملكة ولا امرأة، بل أنوثة حيوانية صِرفة، مُتكشفة مُصرحة كما تكونُ أنثى الحيوان في أشد اهتياجها وغليانها.

فقال يوسف: «معاذ الله» ثم قال: «إنه ربي أحسن مثواى» ثم قال: «إنه لا يفلح الظالمون» وهذه أسمى طريقة إلى تنبيه ضمير المرأة في المرأة، إذ كان أساسُ ضميرها في كل عصرٍ هو اليقين بالله، ومعرفة الجميل، وكراهة الظلم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



«ولقد همت به» فكأنما يُومىءُ بهذه العبارة إلى أنها ترامت عليه، وتعلقت به، والتجأت إلى وسيلتها الأخيرة، وهي لمسُ الطبيعة بالطبيعة لإلقاء الجمرة في الهشيم..!

وهاهنا المعجزة الكُبرى؛ لأن الآية الكريمة تريدُ ألا تنفي عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فُحولة الرُجولة، حتى لا يُظن به، ثم هي تريدُ من ذلك أن يتعلم الرجالُ، وخاصة الشبَّان منهم، كيف يتسامون بهذه الرُّجولة فوق الشهوات، حتى في الحالة التي هي نهاية الطبيعة؛ حالة ملكة مُطاعة فاتنة عاشقة مُختلة مُتعرضةٍ مُتكشفةٍ مُتهالكة.

هنا لا ينبغي أن ييأس الرجل، فإن الوسيلة التي تجعله لا يرى شيئًا من هذا هي أن يرى برهان ربه»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أربعٌ إذا كُن فيك فلا عليك ما فاتك من الدُنيا: حِفظُ أمانة، وصدق حديث، وحُسنُ خليقةٍ، وعفةٌ في طُعمةٍ**»[(٢)].

وعن عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهُدى والتُقى والعفاف والغنى**»[(٣)].

وعن عياض بن حمارٍ المُجاشعي: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ذات يومٍ في خُطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكُم ما جهلتم مما علمني يومى هذا كلُ مالٍ نحلته عبدًا حلالٌ. وإني خلقتُ عبادى حُنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم[(٤)] عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا.

---

(١) «وحي القلم» (١/ ٧٨-٧٩) صادق الرافعي، ط: دار الكتاب العربي.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد [٦٦٦١]، والخرائطى في «مكارم الأخلاق» (١٠/ ١٣٧)، والهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٩٥) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٨٨٦] وانظر: «المشكاة» [٥٢٢٢].

(٣) **صحيح**: رواه مسلم [٢٧٢١].

(٤) **اجالتهم**: استخفوهم فذهبوا بهم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتُك لأبتليك وأبتلي بك.

وأنزلتُ عليك كتابًا لا يغسلُهُ الماء[١] تقرؤُهُ نائماً ويقظان وإن الله أمرني أن أحرق قُريشًا. فقلت: رب إذًا يثلغوا رأسي[٢] فيدعوه خُبزةً. قال: استخرجهم كما استخرجوك. واغزُهُم نغزِكَ وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسةً مثلهُ. وقاتل بمن أطاعك من عصاك. قال: وأهلُ الجنة ثلاثةٌ: ذو سُلطان مُقسطٌ مُتصدقٌ مُوفقٌ. ورجلٌ رقيق القلب لكُل ذى قربي ومسلم. وعفيف ذو عيالٍ. وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ[٣] له، الذين هم فيكم تبعًا لا يتبعون أهلاً ولا مالاً. والخائن الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دق إلا خانهُ. ورجل لا يصبحُ ولا يمسى إلا وهو يخادعُك عن أهلك ومالك» وذكر البُخل أو الكذب. «والشنظيرُ[٤] الفحاش»[٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاثة حق على الله عونُهُم: المُجاهدُ في سبيل الله، والمكاتبُ الذي يُريدُ الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**»[٦].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قال رجلٌ لأتصدقن الليلة بصدقةٍ. فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدق الليلة على زانية. قال: اللهم لك الحمدُ على زانية. لأتصدقن بصدقةٍ فخرج بصدقته فوضعها في يد غني. فاصبحوا يتحدثون: تُصُدق على غنى.**

---

(١) **كتابًا لا يغسله الماء**: معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مر الزمان.

(٢) **إذًا يثلغوا رأس**: أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز، أي: يكسر.

(٣) **لا زَبْرَ له أي**: لا عقل له يزبره، ويمنعه مما لا ينبغي.

(٤) **الشنظير**: السيئ الخلق.

(٥) **صحيح**: رواه مسلم [٢٨٦٥].

(٦) **صحيح**: رواه الترمذي [١٦٥٥]، وابن ماجه [٢٥١٨]، وصححه الحاكم في «مستدركه» (٩/ ٥٦٣) وقال صحيح على شرط مسلم (٣/ ٤٣).



قـال: اللهم لك الحمد على غني، لأتصدقن بصدقة. فخرج بصدقته فوضعها في يد سـارق. فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سـارق فقال: اللهم لك الحمد على زانيـة وعلـى غني وعلى سـارق. فأتي فقيل لهُ: أمـا صدقتُك فقد قُبلـت. أما الزانية فلعلها تستعفُ بها عن زناها، ولعل الغني يعتبرُ فينفق مما أعطاه الله. ولعل السارق يستعفُ بها عن سرقته»(١).

وعنـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس المسـكينُ الـذي تردُهُ التمرة والتمرتان. ولا اللُقمةُ ولا اللقمتان. إنما المسـكينُ الذي يتعفف. اقرءوا إن شئتم..** يعني: قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البَقَرَة: ٢٧٣]»(٢).

وعن أبي سـعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إن ناسًـا من الأنصار سـألوا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعطاهُم، ثم سـألوه فأعطاهُم. حتى نفد ما عندهُ. قال: «ما يكن عندى من خير فلن أدخرهُ عنكم. ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله.

ومن يتصبر يصبره الله. وما أُعطى أحدٌ من عطاءٍ خيرٌ وأوسعُ من الصبر»(٣).

وعن عوف بن مالكٍ الأشـجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كنا عند رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «**ألا تُبايعُون رسول الله؟**» وكنا حديث عهدٍ ببيعة. فقلنا: قد بايعناك يا رسـول الله. ثم قال: «**ألا تُبايعُون رسـول الله؟**». قال: فبسطنا أيدينا وقُلنا: قـد بايعنـاك يا رسـول الله. فعلام نُبايعك؟. قال: «**على أن تعبدوا الله، ولا تشـركوا به شـيئًا. والصلوات الخمس. وتُطيعوا** - وأسر كلمة خفية - **ولا تسـألوا الناس شـيئًا**». فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقُطُ سوطُ أحدهم. فما يسأل أحدًا يُناولُهُ إياهُ(٤).

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٤٢١]، ومسلم [١٠٢٢].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٤٥٣٩]، ومسلم [١٠٣٩].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [١٤٦٩]، ومسلم [١٠٥٣].

(٤) **صحيح**: رواه مسلم [١٠٤٣]، وأبو داود [١٦٢٦]، وأحمد (٦/ ٣٧)، وابن ماجه [٢٨٦٧].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا وقنَّعهُ الله بما آتاهُ**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لأن يغدُو أحدُكُم فيحتطب على ظهره فيتصدق به، ويستغنى به عن الناس خيرٌ له من أن يسأل رجُلًا أعطاهُ أو منعهُ ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السُفلى، وابدأ بمن تعُولُ**»(٢).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس الغني عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**»(٣).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إني لأنقلبُ إلى أهلي فأجدُ التمرة ساقطة على فراشي، ثم أرفعُها لآكلها ثم أخشى أن تكون صدقة أُلقيها**»(٤).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: أخذ الحسن بن على تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَخْ كَخْ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكلُ الصدقة**»(٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتمرة في الطريق قال: «**لولا أني أخافُ أن تكون من الصدقة لأكلتُها**»(٦).

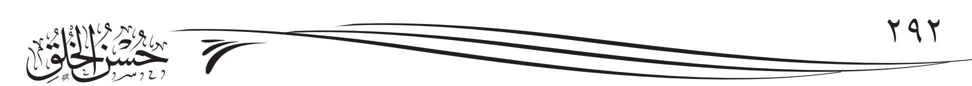
وعن فُضالة بن عُبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول «**طُوبي لمن هُدى إلى الإسلام، وكان عيشُهُ كفافًا وقنع به**»(٧).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [١٠٥٤]. (٢) **صحيح**: رواه البخاري [١٤٧١]، ومسلم [١٠٤٢].
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٤٦]، ومسلم [١٠٥١].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٢٤٣٢]، ومسلم [١٠٧٠].
(٥) **صحيح**: رواه البخاري [١٤٩١]، ومسلم [١٠٦٩].
(٦) **صحيح**: رواه البخاري [٢٤٣١]، ومسلم [١٧١].
(٧) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٣٤٩]، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥). وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٩٣١]، وانظر: «الصحيحة» [١٥٠٦].



شبكة الألوكة - قسم الكتب



قال لقمان الحكيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقيقةُ الورع العفاف»(١).

لما فتح المسلمون القادسية أخذوا الغنائم ودفعُوها إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: «إن قومًا أدوا هذه لأمناءُ، فقالوا له: عففت فعفُّوا ولو رتعت يا أمير المؤمنين لرتعت أمتُك»(٢).

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «نحن معشر قريش نعُدُّ الحلم والجود والتؤدة، والعفاف من المروءة»(٣).

وقال محمد بن الحنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الكمال في ثلاثةٍ: العفةُ في الدين، والصبرُ على النوائب، وحسن التدبير في المعيشة»(٤).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأصحابه وقد خرجوا يوم عيدٍ: «إن أول ما نبدأ به يومنا عفةُ أبصارنا»(٥). وقال منصُور الفقيهُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فضلُ التُقى أفضلُ من اللسان والحسب، إذا هُما لم يجمعا إلا العفاف والأدب»(٦).

وقال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن دين المرء يُفضي إلى الستر والعفاف، ويُؤدي إلى القناعة والكفاف»(٧).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العالمُ إذا كان عليمًا ولم يكن عفيفًا كان ضررهُ أشد من ضرر الجاهل»(٨).

---

(١) «الورع» ص: [٥٩] لابن أبي الدنيا، ط: الدار السلفية.
(٢) المرجع السابق ص: [١٢٢].
(٣) «الآداب الشرعية» (٢/ ١٥).
(٤) «أدب الدنيا والدين» ص: [٣٩٣] لابن أبي الدنيا، ط: مؤسسة الرسالة.
(٥) «الورع» ص: [٦٣] لابن أبي الدنيا، ط. الدار السلفية.
(٦) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٢١).
(٧) «أدب الدنيا الدين» ص: [١٩٤] لابن أبي الدنيا، ط: مؤسسة الرسالة.
(٨) «فتح الباري» (١٣/ ١٤٩) للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط: دار الريان.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عبد الرزاق قال: «قدم علينا أحمد بن حنبل هاهنا - يعني في صنعاء باليمن - فقال سنتين إلا شيئًا، فقلت له: يا أبا عبد الله، خذ هذا الشيء فانتفع به، أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب - وأرانا عبد الرزاق كفه، ومدها فيها دنانير - فقال أحمد: أعمل بيدي. فاشتغل مع الحصادين يحصد القمح بالمنجل وأجرته الحب الذي يسقط من السُنبل أثناء الحصاد هو أجرته. ولم يقبل من عبد الرزاق بن همام الصنعاني شيئًا»[(١)].

لبِستُ بالعفةِ ثوب الغِني ... فصِرتُ أمشي شامِخ الراسِ

أنطقَ لي الصبرُ لساني ... فما أخضعُ بالقولِ لِجُلاسي

إذا رأيتُ التيه من ذى الغِنا ... تِهتُ على التائِهِ بالياسِ

مَظاهِرُ العِفّة:

لِلعفة مظاهر كثيرة منها: عِفّةُ الفَرْج:

والمقصود بعفة الفرج: صيانته عما لا يحل.

قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ** ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٦].

وقال تعالى: ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور: ٣٣].

وعفة الفرج إنما تتحقق بالبعد عن دواعي الزنا وأسبابه، ومن هذه الدواعي والأسباب:

إطلاق البصر: فالنظرة سهم مسموم من سهام إبليس، وهي بريد الزنا، لذا أمر الله بغض البصر فقال: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** ﴾

[النور: ٣٠-٣١]

---

(١) «حليه الأولياء» (٩/ ١٧٤ - ١٧٥) لأبي نُعيم الأصفهاني، ط: دار ابن القيم وانظر: «البداية والنهاية» (١٠/ ٥٠٢) لابن كثير، ط: مكتبة المعرفة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

كُل الحوادثِ مبداها من النظرِ	ومُعظم النارِ من مُستصغرِ الشررِ
كم نظرةٍ فتكت بقلبِ صاحِبها	فتك السهامِ بلاقوسٍ ولا وترِ
والعبدُ ما دام ذا عينٍ يُقلبِهُا	في أعيُنِ الناسِ موقوفٌ على خطرِ
يسرُ مُقلتهُ ماضر مُهجَتهُ	لا مرحبًا بِسُرورٍ عاد بالضررِ

مصافحة المرأة الأجنبية:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُتب على ابن آدم نصيبهُ من الزنا، مُدرك ذلك لا محالة؛ فالعينان زناهما النظرُ، والأذُنان زناهُما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدُ زناها البطش، والرجلُ زناها الخُطا، والقلب يهوي ويتمنى، ويُصدق ذلك الفرجُ أو يُكذبُهُ**»(١).

الخلوة بالأجنبية: عن عامر بن ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا لا يَخْلُوَنّ رجُلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»(٢).

التبرج:

والتبرج معناه الظهور، ويُرادهنا: إظهارُ المرأة من بدنها ما يجب إخفاؤه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

عِفة البطن:

والمراد بعفة البطن صيانتها عن أكل الحرام والشبهات.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٦٥٧].

(٢) **صحيح**: رواه مسلم [١١٥٧].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الرجل يُطيل السفر، أشعث أغبر يمديده إلى السماء، يا رب يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأني يُستجاب له**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه**»(٢).

عليك بتقوى اللهِ واقْنَعْ بِرزقِه ... فَخَيْرُ عباد الله من هو قَانِعُ

ولا تهلك الدُنيا ولا تطمعُ بِها ... فقد يهلَك المغرورُ فيها المطَامِعُ

وَصْبرًا مَا نَابَ منها فما يَسْتوي ... عَبْدٌ صبور وجازعُ

أَعَاذِل ما يُغني الثواءُ عن الفَتَى ... إذا حَشْرَجَتْ في النّفسْ مِنْه الأَضَالعُ

عفة النفس عن سؤال الناس:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس المسكين الذي ترُدُهُ التمرة والتمرتان، ولا اللُقمةُ ولا اللُقمتان، إنما المسكينُ الذي يتعففُ اقرءوا إن شئتم** - يعني قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]»(٣).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لأن يغدو أحدكم فيحتطبُ على ظهره فيتصدق به، ويستغنى به عن الناس خيْر له من أن يسأل رجُلًا أعطاهُ أو منعه، ذلك، فإن اليد العُليا أفضل من اليد السُفلي، وابدأ بمن تعول**»(٤).

وقد أنشد بعضهم:

أُقْسِمُ باللهِ لَرَضْخ النَّوى ... وَشُربَ ماءِ البَحْر المالحِة

---

(١) صحيح: رواه مسلم [١٠١٥].

(٢) صحيح: رواه مسلم [١٠٥٤].

(٣) صحيح: رواه البخاري [٤٥٣٩]، ومسلم [١٠٣٩].

(٤) صحيح: رواه مسلم [١٠٤٢].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعَــزّ لـلإنـسـانِ مِــنْ حِـرْصِـهِ	وَمِــنْ سـؤال الأَوْجُــهِ الكَالِحة
فـاستشعر الـيـأس تـكُـن ذاغِـنـي	مُـغـتـبِـطًـا بـالـصّـفـقْـةِ الـرّابـحـة
فـالـزّهُـدُ عـزٌ والـتـقـى سُـؤدد	ورغـبـة الـنّـفـس لـهـا فـاضِـحـة
مــن كـانـت الـدُّنـيـا بِـه بَـرةّ	فـإنّـهـا يَـوْمًـا لَـهُ ذابِـحـة

صور عظيمة من صور العفة:

عطاء بن يسار: خرج رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأخوه سليمانُ بن يسار حاجين من المدينة ومعهما أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلًا، فانطلق سليمانُ وأصحابهُ لبعض حاجتهم، وبقى عطاءُ بن يسار قائمًا في المنزل يُصلي، فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة، فلما رآها ظن أن لها حاجة، فأوجز في صلاته، ثم قال: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم.

قال: ما هي؟ قالت: قُم فأصِب مني، فإني قد ودقت[١] ولا بعل لي، فقال: إليك عني، لا تُحرقيني ونفسك بالنار.. فجعلت تراودُه عن نفسه وتأبى إلا ما تريد، فجعل عطاءٌ يبكي، ويقول: ويحك إليك عني إليك عني، واشتد بكاؤُه..فلما نظرت المرأةُ إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأةُ لبكائه، فجعل يبكي والمرأةُ بين يديه تبكي. فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاءٍ والمرأةُ بين يديه تبكى، جلس يبكي في ناحية البيت لبكائهما، ولا يدري ما أبكاهما! وجعل أصحابهُما يأتون رجُلًا رجُلًا كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألونهم عن أمرهم، حتى كثُر البكاء وعلا الصوت، فلما رأت الأعرابيةُ ذلك قامت فخرجت، وقام القومُ فدخلوا، فلبث سليمانُ بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالًا له وهيبة، وكان أسن منه، ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاءٌ ذات ليلة نائم، إذا استيقظ وهو يبكي!.

---

(١) وَدِقَتْ: أرادت الفحل.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال له سليمان: ما يُبكيك يا أخي ؟!

فاشتد بكاؤه قال: ما يُبكيك يا أخي ؟!

قال: رؤيا رأيتُها الليلة قال: ما هي؟ قال: لا تُخبر بها أحدًا ما دُمت حيًا، قال: وما ذاك؟

قال: رأيتُ يوسف النبي صلى الله عليه وسلم، فجئتُ أنظرُ إليه فيمن ينظُر، فلما رأيتُ حُسنه بكيتُ! فنظر إلى في الناس فقال: ما يُبكيك أيها الرجل؟ قلت: بأبي أنت وأمي ذكرتُك وامرأة العزيز وما ابتُليتَ به من أمرِها، وما لقيت من السجن وفُرقة الشيخ يعقوب عليه السلام فبكيتُ من ذلك، وجعلت أتعجب منه، فقال: «فهلا تعجبت من صاحب المرأة بالأبواء؟ فعرفتُ الذي أراد فبكيت، واستيقظتُ باكيًا.

قال سليمانُ: يا أخي! وما كان حال تلك المرأة؟.

قال فقص عليه عطاءٌ القصة، فما أخبر سليمانُ بها أحدًا حتى مات عطاء وحدث بها بعده امرأة من أهله، وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار»[١] .

السريُّ بن دينار:

قال محمد بن إسحاق «نزل السريُّ بن دينار في دارٍ بمصر كانت فيها امرأةٌ جميلة تفتنُ الناس بجمالها، فعلمت المرأةُ، فقالت: «لأفتننه»، فلما دخلت من باب الدرب كشفت وأظهرت نفسها، فقال السريُ: مالك؟ قالت: هل لك في فراشٍ وطي وعيش رخِي؟!»[٢].

فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذِي معاصٍ نال منُهنَّ لذَّةً ... ومات فَخلاها وذاق الدواهِيا

(١) «صفه الصفوة» (٢/ ٨٢-٨٤) لابن الجوزي، ط: دار ابن الهيثم.

(٢) «ذم الهوى» ص: (٢٣٤-٢٣٥) للإمام ابن الجوزي، ط: دار العقيدة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَصرَّمُ لذَّاتُ المعاصي وتنقضى ... وتبقي تِباعاتُ المعاصي كما هيا
فواسوأتاه والله راءٍ وسامعٌ ... لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصِيا

رجل من الأنصار:

أحبت امرأة من المدينة رجلًا من الأنصار، فأرسلت تشكو إليه حبها وتسأله الزيارة وتدعوه إلى الفاحشة - وكانت ذا بعل فأرسل إليها:

إن الحرامَ سبيلٌ لستُ أَسلُكُه ... ولا أمُرُّ به ما عشتُ في الناسِ
فابغِي العفافَ فإني غيرُ مُتِّبعٍ ... ما تَشتَهِيْنَ فكوني منه في ياسِ
إنى سأحفظُ فيكُم من يُصوُنكُم ... فلا تكونِي أخا جهلِ ووسواسِ(١)

عفةٌ بها ملك الدنيا والآخرة:

قال الحسنُ بن زيد: «وَلِينا بديار مصر رجلٌ، فوجد على بعض عُماله فحبسه وقيده، فأشرفت عليه ابنةُ الوالي فهويته، فكتبت إليه وكان قد نظر إليها:

أيُها الرامي بِعيَنيه ... وفي الطَّرْفِ الحُتوفُ
إنْ تُرِدْ وصلاً فَقد ... أمكَنك الظبيُّ الألُوفُ

فأجابها الفتى قائلًا:

إن تَريْنى زاني العينيد ... نِ فالفَرجُ عفيفُ
ليس إلَّا النظرُ الفاترُ ... والشِّعرُ الظريفُ

فكتبت إليه قائلة:

قد أردناك على عش ... قِكَ إنسانًا عفيفًا
فتأَبَّيت فلا زد ... تَ لقَيدَيكَ حَليفًا
ماتأَ بَّيْتُ لأني ... كُنْتُ للظبيِ عيُوفًا

(١) المصدر السابق، ص: [٢٣٦].

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غيرُ أنّي خِفتُ رَبًّا   كان بي بِراً لطيفًا

فذاع الشعْرُ وبلغ الخبرُ الوالي، فدعا بها، فزوجه إياها، ودفعها إليه(١).

ثمراتِ العِفَة:

اعلم أخي الكريم أن للعفة ثمرات مُحققة للعفيف في الدنيا والآخرة:

❁ **منها: تفريج الكروب:** عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**انطلق ثلاثةُ نفرٍ ممن كان قبلكم، حتى أواهم المبيتُ، إلى غار فدخلُوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار؛ فقالوا: إنه لا يُنجيكُم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.**

قال رجلٌ منهم: اللهم كان لي أبوان، شيخان كبيران، وكنت لا أغبقُ(٢) قبلهُما أهلًا ولا مالًا. فنأى(٣) بي طلبُ الشجر، فلم أرُح(٤) عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبُوقهُما، فوجدتهُما نائمين، فكرهتُ أن أو قِظهُما، وأن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثتُ - والقدح على يدى - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجرُ، والصبيةُ يتضاغون(٥) عند قدمي، فاستيقظا، فشربا غبُوقهُما. اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه.

وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلى - وفي رواية- كنتُ أُحِبُّها كأشد ما يُحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة(٦) من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على

---

(١) «ذم الهوى» ص: (٢٦٧-٢٦٨) للإمام ابن الجوزي، ط: دار العقيدة.

(٢) **أغبق:** الغبوق: الشرب آخر النهار.   (٣) **نأى:** بعُد.

(٤) **أرُح:** أرجع.   (٥) **يتضاغون:** يصيحون من شدة الجوع.

(٦) **ألمت بها سنة:** أي: نزل بها فاقة وفقر وحاجة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن تُخلى بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها - وفي رواية - فلما قعدتُ بين رجليها - قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه(١)، فانصرفتُ عنها وهي أحب الناس إلى، وتركت الذهب الذي أعطيتُها. اللهم إن كُنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالثُ: اللهم استأجرتُ أُجراء، وأعطيتهم أجرهُم غير رجُلٍ واحدٍ، ترك الذي له وذهب، فثمرتُ أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أدِّ إلى أجرى، فقلتُ: كُلُ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي. فقلتُ: لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كُنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرُج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون»(٢).

❁ **ومنها: مغفرة الذنوب:** عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحدث حديثًا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات، ما حدثتُ به ولكن سمعته أكثر من ذلك، سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**كان الكفلُ من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتتهُ امرأةٌ فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلما أرادها على نفسها ارتعدت وبكت، فقال: ما يُبكيك؟ قالت: لأن هذا عملٌ ما عملته، وما حملني عليه إلا الحاجة. فقال: تفعلين أنت هذا من مخافة الله تَعَالَىٰ، فأنا أحرى، اذهبي فلك ما أعطيتُك، والله لا أعصيه بعدها أبدًا، فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله قد غفر للكفل، فعجب الناسُ من ذلك**»(٣).

---

(١) **لا تفض الخاتم:** كناية عن الفرج وعذرة البكارة، **أي:** لا تزل عفافي إلا بالزواج.

(٢) **صحيح:** رواه البخاري [٣٤٦٥]، ومسلم [٢٧٤٣].

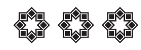
(٣) **صحيح:** رواه الترمذي [٢٤٩٦]، وأحمد (٢/ ٢٣)، والحاكم (٤/ ٢٥٤)، وصححه العلامة أحمد شاكر في «تحقيق المسند» برقم [٤٧٤٧].



www.alukah.net


❁ **ومنها: الاستظلال بظل الله** تَعَالَىٰ: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله** عَزَّ وَجَلَّ، **ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»(١).

❁ **ومنها: الفوز بالجنة والنجاة من النار**: عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اضمنوا لي ستًا من أنفسكم اضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفُوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتُم، واحفظوا فروجكم، وغُضُّوا أبصاركم، وكُفُّوا أيديكم**»(٢).



---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٤٢٣]، ومسلم [١٠٣١].

(٢) **حسن**: رواه أحمد (٥/ ٣٢٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٠٢٩].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوفاء

الوفاء: هو القوام لمكارم الأخلاق، به تستقيم الحياة، وهو ميزان المروءة، ومقياسُ الفضل في الأفراد والأمم، ولودان به الناس لوجدوا السعادة كاملة. يُحدِثُ الوفاء في نفس الوفى من الغبطة مالا حدَّ له، وفي نفس المُوَفَّى له الرغبة في البر والمروءة واصطناع المعروف عند الناس»[١] . وهو قيمة إنسانية نفيسة عظيمة، وهو درة في عقد مكارم الأخلاق، يُغلى قيمة من جعله نُصب عينيه، ويستنطق الأفواه لفاعله بالثناء عليه، ويستطلق الأيدى المقبوضة عنه بالإحسان إليه.

وقال الراغب الأصفهاني: «الوفاء: أخو الصدق والعدلِ، والغدرُ: أخو الكذب والجور، ذلك أن الوفاء: صِدقُ اللسانِ والفعلِ معًا، والغدرُ كَذِب بهما؛ لأن فيه مع الكذب نقضًا لعهد[٢].

وقال الجرجاني: «الوفاء: هو ملازمةُ طريق المواساة، ومحافظةُ عهود الخُلطاءِ»[٣].

وقال الراغبُ: «الوفاءُ بالعهد: إتمامه وعدم نقض حفظه»[٤].

وقال: «الوفاءُ صدقُ اللسان والفعل معًا»[٥].

فضائل الوفاء:

قال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

---

(١) «الوفاء في رحاب القرآن والحديث والأدب» ص: (٦٠-٦١) لأيمن الشوا، ط: دار الكلم الطيب ببيروت.

(٢) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ص: [٢٩٢] للأصفهاني، ط: مؤسسة الرسالة.

(٣) «التعريفات» ص: [٢٧٤] للجُرجاني، ط: دار التوحيد.

(٤) «تهذيب الأخلاق» ص: [٢٤].

(٥) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ص: [٢٩٤] للأصفهاني، ط: مؤسسة الرسالة.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٤ - ٣٥].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٣ - ٢٤].

وعن عقبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أحقُ ما وفيتم من الشروط أن تُوفُوا به ما استحللتم به الفُروج**»[١].

وعن أبي حازم قال: قاعدتُ أبا هريرة خمس سنين. فسمعته يُحدثُ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كانت بنو إسرائيل تسُوسهم الأنبياء**[٢] **كلما هلك نبي خلفهُ**

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٥١٥١]، ومسلم [١٤١٨].

(٢) **تسوسهم الأنبياء**: أي يتولون أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعيه. والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

نبي[١]**، وأنه لا نبي بعدي. وستكون خُلفاءُ فيكثرون». قالوا: فما تأمُرنا؟ قال: «ببيعة الأول فالأول**[٢]**. واعطوهم حقهم. فإن الله سائلهم عما استرعاهم»**[٣].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال**: يا رسول الله، إني نذرتُ في الجاهلية أن أعتكف ليلةً في المسجد الحرام، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أوف نذرك**» فاعتكف ليلة[٤].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فأخبرني أبو سفيان بن حربٍ أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجارًا في المُدة التي كانت بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين قُريش.. الحديث. وفيه قال – يعني قيصر – فماذا يأمُرُكم به؟ قال: يعني أبو سفيان – يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينها ناعمًا كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدقة، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة....»الحديث[٥].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن خيار عباد الله الموفُون المُطيبون**»[٦].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّ حُسن العهد من الإيمان**»[٧].

---

(١) **كُلما هلك نبي خلفه نبي**: في هذا الحديث جواز قول: هلك فلان، إذا مات. وقد كثرت الأحاديث به وجاء في القرآن العزيز قوله تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤].

(٢) «ببيعة الأول فالأول» **المعنى**: إذا بويع لخليفة بعد خليفة، فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها. وبيعه الثاني باطلة يحرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها. وسواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم جاهلين. وسواء كانا في بلدين أو بلد. أو أحدهما في بلد الإمام المنفصل والآخر في غيره.

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٣٤٥٥]، ومسلم [١٨٤٢].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٢٠٤٢] ومسلم [١٦٥٦].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٢٩٤١]، ومسلم [١٧٧٣].

(٦) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٥١) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٠٦٢].

(٧) **حسن**: رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٥٧)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٢١٦]، وانظر: «صحيح الجامع» [٢٠٥٦].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن أباه توفي وترك عليه ثلاثين وسقًا[١] لرجل من اليهود، فاستنظره[٢] جابرٌ، فأبى أن ينظرهُ، فكلم جابرٌ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلم اليهودي ليأخذ تمر نخله بالتي له، فأبى، فدخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر جُدَّله[٣] فأوف له الذي له، فجدهُ بعد ما رجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأوفاهُ ثلاثين وسقًا، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابرٌ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليُخبره بالذي كان، فوجده يصلي العصر، فلما انصرف أخبره بالفضل[٤]، فقال: أخبر ذلك ابن الخطاب، فذهب جابر إلى عمر فأخبره، فقال له عمرُ: لقد علمتُ حين مشى فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليباركن فيها»[٥].

أنواع الوفاء:

للوفاء أنواعٌ عديدةٌ باعتبار المُوفَّى به، فهي قد تكون وفاء بالعهد، وقد تكون وفاء بالعقد أو الميثاق، وقد تكون وفاء بالوعد.

أولًا- الوفاء بالعهد: وهو إتمامه وعدم نقض حفظه، ويتطابقُ من ثَمَّ صدق القول والعمل جميعًا[٦]، وقال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «العهود ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حد في القرآن كله»[٧].

ثانيا- الوفاء بالعقد: فالمراد به العهد، وبذلك يتطابق مع النوع الأول، وقيل: العقود هي أوكد العهود، وقيل: هي عهودُ الإيمان والقرآن، وقيل: هي ما يتعاقدُه الناسُ فيما بينهم»[٨].

(١) **وسقًا**: مكيلة معلومة.
(٢) **استنظره**: أي طلب إعطاء مهلة للسداد.
(٣) **جدله**: أي أقطع له.
(٤) **بالفضل**: أي بالزيادة.
(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٩٦].
(٦) «المفردات» ص: [٥٢٨] للراغب الأصفهاني، ط. دار الصفوة.
(٧) «عمدة التفسير» (٤/ ٦٢) للشيخ أحمد شاكر، ط. دار ابن حزم.
(٨) «تفسير البغوي» (٢/ ٦) للإمام البغوى، ط. دار ابن حزم.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفاء الأنبياء والرسُل -عليهم الصلاة والسلام-

وفاء نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧].

قال الزجاج: «وَفَّى أبلغ من وَفَي؛ لأن الذي امتُحِن به إبراهيم الخليل من أعظم المِحن»(١).

وقال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ما قام بدين الله كله إلا خليل الرحمن إبراهيم».

ولأهل التفسير في هذه الآية الكريمة أقوال عديدة.

❁ **منها**: انه وفَّي عمل يومه بأربع ركعات في أوّل النهار.

❁ **ومنها**: أنه وفَّي كلمات كان يقولها.

❁ **ومنها**: أنه وفَّي الطاعة فيما فعل بابنه.

❁ **ومنها**: أنه وفَّي ربه جميع شرائع الإسلام.

❁ **ومنها**: أنه وفَّي ما أُمِر به من تبليغ الرسالة.

❁ **ومنها**: أنه عمل بما أُمِر به.

❁ **ومنها**: أنه وفَّى بتبليغ هذه الآيات، وهي ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨].

❁ **ومنها**: وفَّي شأن المناسك.

❁ **ومنها**: أنه عاهد ألا يسأل مخلوقًا شيئًا، فلما قُذِف في النار قال له جبريل: ألك حاجة؟ **فقال**: أما إليك فلا فوفي بما عاهد.

❁ **ومنها**: أنه أدَّى الأمانة. ولا شك أن حذف المفعول يُطلع على إعجاز بليغ للقرآن الكريم(٢).

---

(١) «الوفاء» ص: [١٣] لأيمن الشوا، ط: دار الكلم الطيب. (٢) المصدر السابق ص: [١٣٢-١٣٣].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفاء نبي الله إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤].

وفَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ بما وعده عليه من الصبر - بعد عون الله إياه - فكان صبره وتسليمه أجمل صبر وأتم تسليم: قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

وفاء نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

وفاء سيد الخلق محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

كان من أعظم شمائله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حفظه للعهد، ووفاؤه بالوعد، فإنه ما نقض لمحافظٍ عهدًا، ولا أخلف لمراقب وعدًا، يرى الغدر من كبائر الذنوب، والإخلاف من مساوئ الشيم، فيلتزم فيها الأغلظ، ويرتكب فيها الأصعب، حفظًا لعهده، ووفاء بوعده؛ حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه، فيجعل الله تعالى له مخرجًا. وهذه بعض الصور من وفائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفاؤه ﷺ مع غير المسلمين:

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قتل مُعاهدًا في غير كُنهِهِ**(١)**، حرم الله عليه الجنة**»(٢).

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: ما منعني أن أشهد بدرًا إلا أني خرجت أنا وأبو حُسيل. قال: فأخذنا كفار قريش. قالوا: إنكم تُريدون محمدًا؟ فقال: ما نُريدُه. ما نُريد إلا المدينة. فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصر فن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرنَاهُ الخبر، فقال: «**انصرفا. نفى لهم بعهدهم، ونستعين بالله عليهم**»(٣).

كان مُطعم بن عدى من أشراف قُريش، وكان رسول الله ﷺ حين رجع من الطائف، ولقى من ثقيف منكر القول والفِعل، وطلب النبي ﷺ جوار بعض رؤساء مكة، فأبوا، فأجاره مُطعم بن عدى.

فلما كانت وقعة بدر بعد ذلك، ودارت الدائرة على قُريش، وقُتِل نفرٌ من صناديدها، كان بين القتلى مُطعم بن عدى، وفيه يقول حسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ:

أيا عينُ فابكي سيِّدَ القومِ واسفَحي ... بدمعٍ وإن أنزفتيه فاسكُبي الدّما
وَبكّي عظيَم المَشْعَرين كِليهما ... على النَّاس معروف لهُ ما تكلَّما
فلو كان مجدٌ يُخلدِ الدَّهرَ واحدًا ... من الناسِ أبقى مجُدُه اليومَ مطعما
أجرتَ رسول اللهِ منهم فأصبحوا ... عبيدَك ما لبى مُلَبٍّ وأحرما

---

(١) أي في غير وقته الذي يجوز قتله فيه حين لا عهد له.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٣٥٤) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٤٥٦].

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي [١٥٧٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٥٤٧].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلو سَئلِت عنه مَعَدّ بأسَرِها ... وقحطانُ أو باقي بقيةِ جُرهُما

لقالوا هو الموفي بجيرةِ جارهِ ... وذمتهِ يومًا إذا ما تذممّا

فما تطلع الشمسُ المنيرة فوقهم ... على مثلهِ فيهم أعزَّ وأكرما

إباءً إذا يأبى وأكرم شيمة ... وأنومُ عن جارٍ إذا الليلُ أظلَمَا

ذلك رثاء حسان لرجل من المشركين، مات يحارب محمدًا ﷺ وصحبه. وفي الحديث: «لو كان المطعم حيًا، ثم كلمنى في هؤلاء النتنى - يعني أُسارى بدر - لتركتهم».

فأيُ وفاءٍ فوق هذا؟! يصل إلى أعلى ما تصل إليه الرجولة الإنسانية الكاملة، فيرثى المروءة في عدو هو أحد صرعاه في القتال؟ ذلكم هو الوفاء الذي علا فوق كُلِّ شيءٌ.

ثم انظر إلى هذا الموقف أيضًا الذي يضرب أروع الأمثلة في وفاء النبي ﷺ. قال ابن اسحاق في ذكر يوم بدر: «نهي رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختريِ؛ لأنه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، كان لا يُؤذيه ولا يَبْلُغُه عنه شيءٍ يكرهُه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة، فلقيه المُجذَّر بن زيادٍ حليف الأنصار فقال له: إن رسول الله ﷺ نهانا عن قتلِك، ومع أبي البختري زميلٌ له خرج معه من مكة وهو جُنادة ابن مُليحة، وهو من بني ليث قال: وزميلي؟ فقال له المجذر: لا والله، ما نحن بتاركى زميلك، ما أمرنا رسول الله إلا بك وحدك، قال: لا والله، إذًا لأَمُوتنَّ أنا وهو جميعًا لا يتحدث عني نساء مكة أَنِّي تركت زميلي حِرصًا على الحياة. وقال ابن البختري وهو يُنازل المجذر:

لن يُسلِمَ ابنُ حُرَّةٍ زميلَهُ ... حتى يموتَ أو يرى سبيلَهُ

قال: فاقتتلا، فقتله المجذر بن زياد..



شبكة الألوكة - قسم الكتب

ثم أتى المجذر رسول الله ﷺ فقال: «**والذي بعثك بالحق، لقد جهدتُ عليه أن يستأثر فآتيك به، فأبى إلا أن يُقاتلنِي، فقاتلتهُ فقتلتُه**»(١).

يا صفوةَ الرسُل الكرامَ ومَنْ بهِ — هدىُ الأنام محجَّةً بيضاءَ

صلىّ عليكَ اللهُ ما خفق الحشَا — حُبًّا وأخلصت النفوسُ وفاءَ

وفاء النبي ﷺ للأنصار رضي الله عنهم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**الأنصار كرشى وعيبتى، والناس سيكثرون ويقلُّون فاقبلوا من مُحسنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم**»(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: «مر أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يُبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا(٣). فدخلا على النبي ﷺ فأخبراه بذلك، قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، قال: فصعد المنبر - ولم يصعده بعد ذلك اليوم - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي(٤)، وقد قضُّوا الذي عليهم وبقى الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم»(٥).

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٣٩ - ٦٣٠) لأبي محمد عبد الملك بن هشام، ط: دار العقيدة وانظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٥٠).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٨٠١]، ومسلم [٢٥١٠]، والترمذي [٣٩٠٧]، والنسائي في «الفضائل» [٢٢٠].

(٣) **قال الحافظ ابن حجر: قوله**: «ذكرنا مجلس النبي ﷺ **أي**: الذي كانوا يجلسونه معه، وكان ذلك في مرض النبي ﷺ فخشوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه فبكوا حُزنًا على فوات ذلك. انظر: «فتح الباري (٧/ ١٢١) للحافظ ابن حجر، ط. دار الريان.

(٤) «كرشي وعيبتى»: **أي**: بطانتي وخاصتي.

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٣٧٩٩]، والترمذي في «الفضائل» [٢٤١].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثـم انظر إلى هذا الموقف العظيم الـذي يدل على عِظم وفائه ﷺ، وهو يقول يـوم أُحـد حين أمر بدفن القتلى: «انظـروا إلى عمرو بن الجموح، وعبـد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا مُتصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبرٍ واحد»(١).

وفاء النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها:

عـن عائشـة رضي الله عنها قالت: «مـا غرتُ على امـرأة للنبي ﷺ مـا غِرْت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني لما كنتُ أسـمعه يذكرها، وأمره الله أن يُبشرها ببيتٍ من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيُهدي في خلائلها منها ما يسعن»(٢).

وعنهـا رضي الله عنها قالت: «ما غِرْتُ على نسـاء النبـي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركهـا قالـت: وكان رسـول الله ﷺ إذا ذبـح الشـاة يقـول: «**أرسـلوا بها إلى أصدقـاء خديجة**»قالـت: فأغضبتـه يومًا فقلـت: خديجة! فقال رسـول الله ﷺ: «**إني قد رُزقت حُبها**»(٣).

مَنْ يدَّعي حبَّ الرسُول ولم يُفدْ ... من هـدي فَسَفاهَةٌ وهُراءُ
الحبُّ أولُ شرطِهِ وفروضِهِ ... إنْ كان صِدقًا طاعَةٌ ووفاءُ

وفاء الصديق رضي الله عنه للنبي ﷺ:

عن أبي جُحيفة رضي الله عنه قال: «رأيتُ رسـول الله ﷺ أبيض قد شاب، وكان الحسن بن علي يُشبهه، وأمر لنا بثلاثة عشر قلُوصًا، فذهبنا نقبضُها فأتانا موته فلم يُعطونا شيئًا، فلما قام أبو بكرٍ قال: من كانت له عند رسـول الله ﷺ عِدةٌ فليجيء، فقُمتُ إليه فأخبرته، فأمر لنا بها»(٤).

(١) «صفة الصفوة» (١/ ٢٦٥) لابن الجوزي، ط: دار ابن الهيثم.
(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٨١٦]، ومسلم [٢٤٣٥]، والترمذي [٣٨٧٥]. وأحمد (٦/ ٥٨).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٦٦٠٤]، ومسلم [١٨٨٨].
(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٣٥٤٤]، ومسلم [٢٣٤٢]، والترمذي [٢٨٢٦].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النَّاسُ بالناسِ ما دامَ الوفاءُ بهمْ	والعُسْرُ واليُسْرُ ساعاتٌ وأوقاتُ
وأكرمُ الناسِ ما بين الورَى رجُلٌ	تُقضَى على يدهِ للنَّاس حاجَاتُ
لا تقطعَنَّ يَد المعْروفِ عنْ أَحَدٍ	إنْ كنْتَ تَقْدِرُ فالأيامُ تَاراتُ
واشكرْ صَنيعَة فَضْلِ الله إذْ جعلتْ	إليْكَ، لا لَكَ للإنسان حاجاتُ

وعن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه ذكر رجُلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلفه ألف دينارٍ فقال: «ائتني بالشُّهداءِ أُشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا. قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا. قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجلٍ مُسمى فخرج في البحر فقضي حاجتهُ، ثم التمس مركبًا يركبها يقدمُ عليه للأجل الذي أجلهُ فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زَجَّجَ موضعها[1]، ثم أتى بها إلى البحر فقال: «اللهم إنك تعلم أني كنت تسلَّفْتُ فلانًا ألف دينار فسألني كفيلًا فقُلتُ: كفى بالله كفيلًا، فرضي بك. وسألني شهيدًا فقلتُ: كفى بالله شهيدًا، فرضي بذلك. وإني جهدتُ أن أجد مركبًا أبعثُ إليه الذي له فلم أقدر، وإنِّي أستود عُكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه. ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجُل الذي سلفهُ ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المالُ، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي أسلفهُ فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركبٍ لآتيك بمالك فما وجدتُ مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه. قال: هل كنت بعثت إلى بشيءٍ؟ قال: أخبرك أنِّي لم أجد مركبًا قبل الذي جئتُ فيه قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشِدًا»[2].

(١) **زجج موضعها**: أي سوى موضع النقر وأصلحه.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٢٢٩١].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكـنْـتُ إذاَ صَحِبْتُ رِجـالَ قومٍ ... صَحِبْتُهمُ وشيمتَى الوفاءُ
فأُحسنُ حين يُحسِنُ مُحسِنُوهُمْ ... وأجتنبُ الإساءةَ إن أَساؤُوا
وأَبصرُ ما بعيبِهم بعينٍ ... عليها عنْ عيونِهمُ غطاءُ

وقال المغيرة بن حَبْناء:

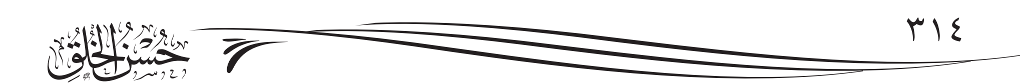
خُذْ من أخِيك العفو واغفِرْ ذنُوبَه ... ولا تكُ في كُلِّ الأمورِ تُعَاتِبُه
فإنكَ لن تلقى أخَاك مُهَذّبًا ... وأيّ امرئٍ ينجُو منَ العَيبِ صاحبهُ
أَخُوكَ الذي لا ينقُضُ النَأي عِهَدهُ ... ولا عندَ صرفِ الدّهر يُزْورُّ جَانبُه
وليسَ الذي يلَقاكَ في البِشْرِ والرِّضَا ... وإنْ غَبْتَ عنه لَسَّعَتْكَ عَقارِبُه

❁❁❁



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



الأمانة

الأمانــة: هــي من أجل القيم الخُلُقية التي بُنيت عليها شريعة الاسـلام، وهي قيمة عظيمة تُصان بها حقوق الله عَزَّوَجَلَّ وحقوق الناس، وهو جزء لا يتجزأ من صفات المؤمنين، ومن الأمانة الكبرى التي حَمَلَهَا الإنسانُ أمام الله عَزَّوَجَلَّ بالخضوع لأوامره، والانتهاء عن زواجـره. انبثقت سـائرُ الأماناتِ **مثل**: أمانة الشـهادة لهذا الدين، وأمانـة العلم، وأمانة الدعـوة إلى الله تَعَالَىٰ، وأمانة المحافظة على حرمـات المجتمع، وأمانة التعامل مع الناس، ورَدِّ أمانتهم إليهم..، قال عبد الله بن مسـعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «..والأمانةُ في الصلاة، والأمانةُ في الصـوم، والأمانةُ في الحديث، وأشَـدُّ ذلك الودائع..»، فالأمانة في الإسـلام مفهومها شاملٌ لدين الإنسان وطاقته في تحمل أعباء التكاليف التي فرضها الله تعالى عليه.

والأمانـة بوصفهـا قيمـةً خُلُقية مـن أجل الفضائل، هي الأسـاس لـكل الأعمال، والشاملةُ للسلوك الإنساني كُله[١].

وقـال القرطبـي رَحِمَهُٱللَّهُ: «الأمانـةُ تعُـمُ جميع وظائف الدين، ونسـب هـذا القول لجمهـور المفسريـن، فالأمانـة هي الفرائـضُ التـي ائتمـنَ الله عليهـا العباد،واختُلف في تفاصيـل بعضها على أقوالٍ: فقيل: «هي أمانات الأموال، كالودائع وغيرها». وقيل: «في كل الفرائـض، وأشـدُها أمانةُ المـال»، وقيل: «من الأمانة أن ائتمنـت المرأةُ على فرجها»، وقال بعضهم: «غُسل الجنابة أمانة»، وقيل: «الأمانة في الصلاة، إن شئت قلت: صليت، وإن شـئت قلـت: لم أُصل، وكذلك الصيام وغسـل الجنابة وعلى ذلـك فالفرجُ أمانة[٢]، والأذن أمانةٌ، والعين أمانةٌ، واللسان أمانةٌ، والبطنُ أمانةٌ، واليدُ أمانةٌ، والرجل أمانةٌ».

---

(١) «الأمانـة في الإسـلام وآثارهـا في المجتمع» ص: [٦]. لعبد اللطيف بـن إبراهيم بن عبد اللطيف، ط: دار ابن الجوزي.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٢٥٣ – ٢٥٥) للإمام القرطبي، ط: النور الإسلامية.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net


قال: «ولا إيمان لمن لا أمانة له».

وقيل: «هذه الأمانة هي ما أودعهُ الله تَعَالَىٰ في السموات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على رُبوبيته أن يظهروها فأظهروها إلا الإنسان فإنه كتمها وجحدها، والمراد بالإنسان على ذلك هو الكافرُ والمنافقُ»(١).

فضل الأمانة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

قال الزمخشرى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الخطاب عام لكل أحد في كل أمانة، وقيل: هو خطاب للولاة بأداء الأمانات والحكم والعدل، وقيل: الأمانة على التوحيد(٢).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

قال الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي شاملة للتكاليف الشرعية كلها ولكل ما ائتمن عليه الإنسان من شيء يحفظه لمن ائتمنه عليه حتى يرده إليه. عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال بعد أن خلق لها عقلًا ونطقًا ففهمت الخطاب وردت الجواب فأبت حملها بثوابها وأشفقت وخافت من تبعتها وعرضت على الإنسان آدم فحملها بتبعتها من ثواب وعقاب لأنه ﴿ظَلُومٗا﴾ لنفسه يوردها موارد السوء ﴿جَهُولٗا﴾ بعواقب الأمور(٣).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٧]

---

(١) المصدر السابق، (١٤/ ٢٥٦).

(٢) «الكشاف» (١/ ٥٢٣) لمحمود بن عمر الزمخشرى، ط: دار الريان.

(٣) «أيسر التفاسير» (٢/ ١٢٢٨ - ١٢٢٩) للجزائري، ط: مكتبه العلوم والحكم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله تَعَالَىٰ يأمر عباده المؤمنين أن يؤدوا ما ائتمنهم الله عليه، من أوامره، ونواهيه. فمن أدى الأمانة، استحق من الله الثواب الجزيل، ومن لم يؤدها بل خانها، استحق العقاب الوبيل، وصار خائنًا لله وللرسول ولأمانته[(١)].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٨ - ١١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي إذا أؤتمنوا لم يخونوا بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفو بذلك، لا كصفات المنافقين[(٢)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المسلمُ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**»[(٣)].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ما خطبنا رسول الله إلا قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لاعهد له**»[(٤)].

وعن عبد الرحمن بن أبي قراد قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سرهُ أن يُحبهُ الله ورسوله فليصدُق حديثهُ إذا حدث، وليُؤد أمانته إذا ائتمن**»[(٥)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**»[(٦)].

---

(١) «محاسن التأويل» (٣/ ١٥١) لجمال الدين القاسمي، ط: دار الحرمين.
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٢١) للحافظ ابن كثير، ط: مؤسسة الخلود.
(٣) **صحيح**: رواه الترمذي [٢٦٢٧]، والنسائي (٨/ ١٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» [٢٦] وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» برقم [٣٢]، وانظر: «صحيح الجامع» [٦٧١٠].
(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٣/ ٢١٠)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٦٥٨].
(٥) **حسن**: رواه البهقي في «شعب الإيمان» [١٥٣٣]، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» [٢٧٣] وحسنه الشيخ الألباني في «مشكاه المصابيح» برقم [٤٦٥٧].
(٦) **صحيح**: رواه أبو داود [٣٥٣٥]، والترمذي [١٢٦٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٤٠] وانظر: «الصحيحة» [٤٢٤].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثين؛ رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر. حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر[١] قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علمُوا من السُنة، وحدثنا عن رفعها، قال: ينامُ الرجل النومة فتُقبضُ الأمانةُ من قلبه، فيظلُ أثرُها مثل أثر الوكت[٢]. ثم ينام النومة فتُقبضُ، فيبقى أثرها مثل المجل[٣]، كجمرد حرجتهُ على رجليك فانفط[٤]، فتراه مُنتبِرًا[٥] وليس في شيء. فيُصبحُ الناس يتبايعون، فلا يكادُ أحدهم يُؤدي الأمانة، فيُقالُ: إن في بني فُلان رجُلًا أمينًا. ويُقال للرجل: ما أعقلهُ وما أظرفهُ وما أجلدهُ، وما في قلبه مثقالُ حبة خردلٍ من إيمان - ويقول حذيفة: ولقد أتى زمانٌ وما يبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ردهُ عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانيًا رَدَّهُ على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فُلانًا وفلانًا»[٦].

الأمانة من أبرز أخلاق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - لأنها شرط أساس لاصطفائهم بالرسالة، فلو لا أن يكونوا أمناء لما استأمنهم الله عَزَّوَجَلَّ على رسالاته لخلقه.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: عن نبيه هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٥-٦٨].

---

(١) **جذر قلوب الرجال**: أي أصل قلوب الرجال.

(٢) **الوكت**: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه.

(٣) **المجل**: أثر العمل في اليد.

(٤) **فنفط**: أي صار منتفطًا ومنتفخًا.

(٥) **منتبرًا**: أي مرتفعًا.

(٦) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٩٧]، ومسلم [١٤٣].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعرض هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه من صفاته أنه أمين، وهذه الصفة من صفاته لا بد أن تكون معروفة لديهم قبل أن يبعثه الله رسولًا، ومن شأن الأمين أن يكون موثوقًا به في نقل الأخبار وتبليغ الرسالات.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٢٣ - ١٢٦].

وقال تعالى في شأن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٥ -١٠٨].

وقال تعالى عن نبيه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٧ - ١٩].

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصادق الأمين:

كانت الأمانة خُلُقًا بارزًا ظاهرًا من أخلاق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اشتهر به بين قومه قبل الرسالة، وكان الناس يختارونه لحفظ ودائعهم، ولما هاجر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة وكل على بن أبي طالب بردِّ الودائع إلى أصحابها[١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعث على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اليمن بذُهيبةٍ[٢] من أديم مقرُوظٍ[٣]، لم تحصَّلْ من ترابها[٤]. قال فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابعُ إما علقمةُ وإما عامرُ بن الطُّفيل. فقال رجلٌ من

---

(١) «الأخلاق الإسلامية» (١/ ٦٤٨) لعبد الرحمن حنبكة، ط: دار الصحابة.

(٢) **ذُهيبة:** تصغير ذهبة بمعنى القطعة.

(٣) **أديم مقروظ:** أي في جلد مدبوغ بالقرظ، والقرظ حبٌّ يؤخذ من ثمر شجر العضاه.

(٤) **لم تحصل من ترابها:** لم تُميَّز ولم تُصفَّ من تراب معدنها.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

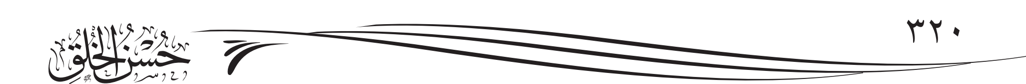
أصحابـه: كنا نحن أحقَّ بهذا من هؤلاء فبلـغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ألا تأمنُوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبرُ السماء صباحًا ومساءً؟**» قال: فقام رجلٌ غائِرُ العينين، مُشرف الوجنتين[١]، ناشزا الجبهة[٢] كثُ اللحية، محلوق الرأس، مُشمرُ الإزار. فقال: يا رسول الله اتق الله! قال: «ويلك: أو لستُ أحق أهل الأرض أن يتقى الله؟» قال: ثـم ولي الرجـل. قال خالد بن الوليد: يا رسـول الله ألا أضربُ عنقه؟ قال: «**لا ؛ لعلَّهُ أن يكون يُصلي**» فقال خالدٌ: وكم من مُصلٍّ يقول بلسـانه ما ليس في قلبه. قال رسـول الله ﷺ: «**إنـي لـم أُومر أن أُنقب قلوب الناس**[٣] **ولا أَشـق بُطُونهـم**». قال: ثم نظر إليـه وهو مُقفٍّ[٤] فقـال: «**إنه يخرُجُ من ضئضـِىء**[٥] **هذا قومٌ يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرُق السـهمُ من الرمية**». وأظُنُّهُ قال: «**لئن أدركتُهُم لأقتلُنهُم قتل ثمود**[٦]»[٧].

وعـن عائشـة رضي الله عنها قالت: كان رسـول الله ﷺ له ثوبـان غليظان. فكان إذا قعـد فعـرق، ثقُلا عليه، فقدم بَزٌّ[٨] من الشـام لفلان اليهودي. فقلـت: لو بعثت إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرة. فأرسل إليه فقال: قد علمتُ ما يريد. إنما يريدُ أن يذهب بمالي أو بدراهمـي. فقـال رسـول الله ﷺ: «**كذب. قـد علم أني مـن أتقاهم لله وأوفاهم للأمانه**»[٩].

---

(١) **مُشرف الوجنتين:** أي غليظهما. والوجنتين ثنيه وجنة وهي ما ارتفع من لحم الخد.
(٢) **ناشز الجبهة:** أي مرتفعها.
(٣) **لم أومر أن أُنقب عن قلوب الناس:** أي أُفتش وأكشف.
(٤) **وهو مُقف:** أي ذهب مُوليًا وكأنه من القفا أي أعطاه قفاه وظهره.
(٥) **ضئضئ هذا:** هو أصل الشيء.
(٦) **قتل ثمود:** يعني الاستئصال.
(٧) **صحيح:** رواه البخاري [٤٣٥١]، ومسلم [١٠٦٤].
(٨) **البزُّ:** الثياب..ضرب من الثياب.
(٩) **صحيح:** رواه الترمذي [١٢١٣]، والنسائي (٧/ ٢٩٤) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح سُنن» الترمذي ص: [٢١٦].





صور عظيمة من صور الأمانة

أبو بكر الصديق الحافظ الأمين لسر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خُنيس بن حُذافة السهمي - وكان من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فتوفى بالمدينة -، فقال عمر بن الخطاب: أتيتُ عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقينى فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر، فلم يرجع إلي شيئًا، وكنتُ أوجد[1] عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت على حفصة، فلم أرجع إليك شيئًا. قال عمر: قلتُ: نعم.

قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنتُ قد علمت أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ذكرها، فلم أكن لأُفشي سر رسول الله، ولو تركها رسول الله قبلتها»[2].

عمر الفاروق القوي الأمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

تطيبُ المجالسُ بذكرِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي علم الدنيا بعد له، وأتعب الخلفاء بعده.

تركنا البحارَ الزاخراتِ وراءنَا فمن أين يدري الناس أنَّي توجَهْنا

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: أي اشدُّ موجدة أي غضبًا على أبي بكر من غضبي على عثمان، **وذلك لأمرين: أحدهما-** ما كان بينهما من أكيد المودة، وذلك لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخى بينهما، **والثاني-**لكون عثمان أجابه أولًا ثم اعتذر له.**ثانيًا-** لكون أبي بكر لم يعد عليه جوابًا. ووقع في روايه ابن سعد: «فغضب على أبو بكر، وقال فيها: كنتُ أشدُّ غضبًا حين سكت مني على عثمان». «فتح الباري» (٩/ ٢٢١) للحافظ ابن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٥١٢٢].



www.alukah.net

ولله در القائل:

أنـت تـدري أيـهُّـا الـحـيـرانُ عنَّا　　　كيف فوق الشمس أزمانًا حلَلَنْا

بينما عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في مالٍ له بالعالية في يومٍ صائف إذ رأى رجُلًا يسوقُ بكرين - من الإبل - وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال: ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد، ثم يروح. ثم دنا الرجل فقال لمولاه: انظر من هذا؟، فنظر فقال: أرى رجُلًا مُعتمًا بردائه، يسوق بكرين.

ثم دنا الرجل فقال: انظر، فنظر، فإذا عمر بن الخطاب!!

فقال: هذا أمير المؤمنين

فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب فإذا نفح السمُوم، فأعاد رأسه حتى حاذاه، فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟!!

فقال عمر: بكران من إبل الصدقة تخلفا، وقد مُضي بإبل الصدقة، فأردتُ أن أُلحقهما بالحمى وخشيت أن يضيعا، فيسألني الله عنهما.

فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، هَلُمَّ إلى الماء والظِّل، ونكفيك.

فقال: عُد إلى ظِلِّك يا عثمان!

فقال عُثمان: من أحب أن ينظر إلى القويِّ الأمين، فلينظر إلى هذا، فعاد إلينا فألقى نفسه»(١).

حذيفة بن اليمان أمين سر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ:

كان حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أمينًا على سِر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على المنافقين، وكان يُقال له: «صاحب السِّرِّ الذي لا يعلمه أحدٌ غيره»(٢).

---

(١) «أُسد الغابة» (٤/ ١٦٠) لابن الأثير، ط: مكتبة الصفا.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٧٤٢].

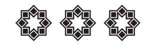

شبكة الألوكة - قسم الكتب


www.alukah.net

الحسن بن صالح:

عن عبّاد قال: «بِعنا جارية للحسن بن صالح، فقال: أخبروهم أنها تنخمت عندنا مرة دمًا!!!»[١].

محمد بن واسع: عن الربيع قال: «رأيت محمد بن واسع يمرُّ، ويعرض حمارًا له للبيع، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أَبِعْه»[٢].



---

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٢٩) لأبي نُعيم الأصفهاني، ط: دار ابن القيم.

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٤٩).


شبكة الألوكة - قسم الكتب

الكَرَمُ

الكرم: هو التبرعُ بالمعروف قبل السُؤال، والإطعام في المحل، والرأفةُ بالسائل مع بذل النائل.

والكريم من أسماء الله تعالى؛ هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفي، وإذا أعطى زاد على مُنتهي الرجاء، ولا يُبالي كم أعطى ولمن أعطى، وإن رُفِعت حاجةٌ إلى غيره لا يرضى، وإذا عُصى عاتب، ولا يُضيعُ من لا ذبه والتجأ. ويُغنيه عن الوسائط والشُفعاء، فمن اجتمع بهُ جميعُ ذلك لا بالتكلف، فهو الكريم المُطلق وذلك لله سبحانه وتعالى فقط.

وقيل: الكريم: هو الكثير الخير، الجوادُ المُعطي الذي لا ينفذُ عطاؤه، وهو الكريم المُطلقُ. **والكريمُ:** الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل.

فَضلُ الكرَمِ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى «كريم» أي كريم في قومه. وقيل: كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح.

وقال الفّراء: كريم على ربه إذا اختصه بالنبوة وإسماع الكلام(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم **أي:** ملك شريف، حسن الخُلُق، بهى المنظر، وهو جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ(٢).

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٢٦/ ١٢٥) للإمام القرطبي، ط: النور الإسلامي.
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٧٥٤) للحافظ ابن كثير، ط: دار المعرفة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

قال الرازي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أي: ويدخلكم إدخالًا كريمًا، وصف الإدخال بالكرم بمعنى أن ذلك الإدخال يكون مقرونًا بالكرم، على خلاف من قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٣٤]»(١).

وعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله حييٌ كريمٌ، يستحي إذا رفع الرجُل يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**»(٢).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله كريمٌ يُحب الكرم، ويُحب معالي الأخلاق، ويكرهُ سفسافها**(٣)»(٤).

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله تَعَالَى كريم» **أي**: جواد لا ينفد عطاؤه، «يُحب الكرم» لأنه من صفاته، وهو يُحب من تخلق بشيءٍ منها»(٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن غِرٌ كريمٌ، والفاجر خِبٌ**(٦) **لئيم**»(٧).

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى الكلام أن المؤمن المحمود هو من كان طبعه وشيمته الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه، وأن ذلك ليس منه جهلًا، لكنه كرمٌ وحُسن

---

(١) «مفاتيح الغيب» (٥/ ١٨٦) لفخر الدين الرازي، ط: دار الغد.
(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [٣٥٥٦]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٢٤٣].
(٣) **السفساف**: الأمر الحقير الرديء من كُل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم، وأصله ما يطير من غُبار الدقيق إذا نخل، والتراب إذا أُثير.
(٤) **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ٤٨) وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٣٥٢].
(٥) «فيض القدير» (٢/ ٣١٨) للعلامة المناوي، ط: إحياء التراث العربي.
(٦) **الخبّ**: الرجل الخداع. الذي يسعى بين الناس بالفساد
(٧) **حسن**: رواه أبو داود [٤٧٩٠] وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٩٣٥].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خُلُق، وأن الفاجر هو من كانت عادته الخب والدهاء والوغول في معرفة الشر وليس ذلك منه عقلًا ولكنه خِبٌّ ولؤم»[١].

وقال ابن الأثير: «المؤمن غرّ كريم» أي ليس بذي مكر ينخدع لانقياده ولينه وهو ضد الخِبّ، يُقال: فتى غِرّ، وفتاة غِرّ»[٢].

وقال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف المؤمن: «المؤمن كريم في كل حالةٍ، لا يُحبُ أن يُؤذي جاره، ولا يفتقر أحدٌ من أقربائه ويبكي وهو يقول: وهو الله مع ذلك غنيُ القلب، لا يملك من الدنيا شيئًا، إن أزلتهُ عن دينه لم يزل، وإن خدعته عن ماله انخدع، ولا يرى الدنيا من الآخرة عوضًا، ولا يرى البُخل من الجود حظًا، مُنكسر القلب ذو هموم قد تفرد بها، مُكتئِبٌ محزونٌ ليس له في فرح الدنيا نصيبٌ، إن أتاه منها شيءٌ فرقه، وإن زُوى عنه كُلُ شيءٍ فيها لم يطلُبه - وهو يبكي ويقول: هذا والله الكرمُ، هذا والله الكرم»[٣].

قال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جُلساءُ الرحمن يوم القيامة: من جعل في قلبه خِصالًا: الكرم والسخاء والحلم والرأفة والشكر والبر والصبر»[٤].

وقال بعضهم: «ما أحسن الجود عند الاقتار، وما أحسن العفو عند الاقتدار، وما أقبح البخل مع اليسار، وما أقبح العقوبة مع الاعتذار، وما أقبح الإحسان مع حُسن الإمكان».

---

(١) «عون المعبود» (١٣/ ١٠١).

(٢) المصدر السابق (١٣/ ١٠١).

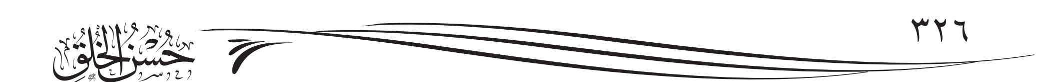
(٣) «مكارم الأخلاق» ص: [١٠٨] لابن أبي الدنيا، ط: دار المعارف.

(٤) «عدة الصابرين» ص: [١٤٤] لابن القيم، ط: دار ابن حزم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



مظاهر الكرم

إكرام الضيف:

قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليكرم ضيفه**»(١).

إكرام أصدقاء الوالدين:

قال السُلَميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «آداب الصُحبة على أوجه - ذكر منها -: صُحبة الوالدين، فقال: تكون ببرهما بالخدمة بالنفس والمال في حياتهما، وإنجاز وعدهما بعد وفاتهما، والدعاء لهما في كل الأوقات، وإكرام أصدقائِهما»(٢).

إكرام اليتيم:

وإكرام اليتيم إنما يكون بإطعامه، والقيام على حاله، وإصلاح ماله، فلقد لام الله تَعَالَىٰ أقوامًا أهملوا اليتيم، وأهانوه، فقال تَعَالَىٰ: ﴿**كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ**﴾ [الفجر: ١٧].

إكرام ذي السُلطان المُقسط:

فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير المغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»(٣).

إكرام ذي الشيبة المسلم:

أي: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس، والرفق به، والشفقة عليه، واستضافته وإطعامه.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٩١٣]، ومسلم [٢٧٤]، والبخاري في «الأدب المفرد» [٧٤١]، وأحمد [٢/ ١٧٤].

(٢) «آداب العشرة» ص: [٤٤] للغزى، ط: دار ابن حزم.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود [٤٨٣٣] وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢١٩٩].



شبكة الألوكة - قسم الكتب



إكرام حامل القرآن:

أي إكرام قارئه وحافظه ومفسره، غير الغالي فيه أي: المتشدد والمجاوز الحد، وغير الجافي عنه، **أي:** المتباعد المُعرض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه.

صور عظيمة ورائعة من حياة أهل الكرم

كرم رسول الله ﷺ:

عن جُبير بن مطعم رضي الله عنه قال: بينما أسيرُ مع رسول الله ﷺ ومعه الناسُ مقفلهُ[(١)] من حُنين، فَعَلِقَتِ[(٢)] الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة[(٣)] فَخَطِفَ رداءهُ فوقف النبي ﷺ فقال: «**أعطُوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاة[(٤)] نعمًا لقسمتُه بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا**»[(٥)].

كرم نبي الله إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٢٧].

قال الرازي: «أُكرموا إذ دخلوا، وهذا من شأن الكريم أن يُكرم ضيفهُ وقت الدُخول»[(٦)].

---

(١) **مقفله:** زمان رجوعه.

(٢) **فعلقت:** أي: طفقت وأخذت.

(٣) **سمرة:** شجرة.

(٤) **العضاة:** شجر ذو شوك.

(٥) **صحيح:** رواه البخاري [٢٨٢١].

(٦) «مفاتيح الغيب» (٥/ ٤١٣) لفجر الدين الرازي، ط: دار الغد.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

كرم نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أكرم الناس: يُوسُفُ ابنُ يعقوب بنُ إسحاق بن إبراهيم**»(١).

قال العلامة المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأي كريم أكرم ممن حاز - مع كونه ابن ثلاثة أنبياء مُتراسلين - شرف النُبوة، وحُسن الصورة، وعلم الرُؤيا، ورئاسة الدُنيا، وحياطة الرعايا في القحط والبلاء!»(٢).

كرمُ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب:

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شعاره: «أُمطِرُ المعروف مطرًا، فإن أصاب الكِرام كانوا له أهلًا، وإن أصاب اللئام كنتُ له أهلًا»(٣).

قال الحُميدي: سمعت القداح يذكر أن رجُلًا عرض لعبد الله وقد خرج من باب بني شيبة(٤) فقال: يا ابن الطيار في الجنة، صِلني بنفقة أتبلغُ بها إلى أهلي، كرم الله وجهك؟ قال: فرمى إليه بِرُمانة من ذهب كانت في يده، فوزنها الرجلُ فإذا هي فيها: «ثلاثمائة مثقال!!».

كرمُ قيس بن سعد بن عُبادة:

مرض قيس بنُ سعد بنُ عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاستبطأ إخوانه، فسأل عنهم، فقيل له: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله تعالى مالًا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر من يُنادي: «من كان لقيس عليه دين، فهو منه في حِل».

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٤٣٥]، ومسلم [١٣٥٧].
(٢) «فيض القدير» (٢/ ٩٠) للمناوي، ط: إحياء التراث العربي.
(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٤٧) للإمام الغزالي، ط: دار الصحابة.
(٤) أحد أبواب المسجد الحرام.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

فكسرت عتبته بالعشي لكثرة من عادهُ!![١].

وإذا الكريمُ مَضيَ وولَّي عُمْرُهُ كَفَلَ الثَّناءُ لهُ بِعُمرٍ ثانِ

كرمُ عبد الله بن عامر:

أضاف عبد الله بن عامر بن كريز رجُلًا فأحسن قِراه[٢]، فلما أراد الرجل أن يرتحل عنه لم يُعنه غلمانه، فقيل له في ذلك، فقال عبد الله: إنهم لا يُعينون من يرتحلُ عنا!

وأنشد «المُتنبي» في هذا المعنى.

إذا ترحَّلْتَ عن قومٍ وقد قَدِرُوا أن تُفَارِقَهُم فالَّراحِلُون هُم[٣]

كرمُ مُطَرِّف بن عبد الله:

كان مُطرف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كريمًا سخيًا، وكان من كرمه يقول: «إذا أراد أحدكُم منى حاجة فليرفعها في رُقعة، فإني أكره أن أرى في وجهه ذُلّ الحاجة!»[٤] لله دَرُّهم، فأين اليوم أمثالهم؟!

ذَهَبَ الذين يُعَاشُ في أَكْنَافِهم وبقِيتُ في خَلْفٍ كَجلِدِ الأَجْرَبِ



---

(١) «الرسالة القشيريه» ص: [٢٥٠].

(٢) **فأحسن قراه:** أي ضيافته.

(٣) «الرسالة القُشيريه» ص: [٢٥٤].

(٤) المصدر السابق ص: [٢٥١].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القناعة

القناعة: ثمرة من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، وبها يُرضي الإنسان ربه، ويكبح جماع نفسه، وهي الرضا بالقسم، وهي بمنزلة الورع من الزهد.

قال أبو عبد الله بن خفيف: «القناعة: التَّشوُّف إلى المفقود، والاستغناء بالموجود».

وقال محمد بن علي الترمذي: «القناعة: رضا النفس بما قسم لها من الرزق».

فضل القناعة:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله**»[(١)].

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**»[(٢)].

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يأخذ مني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يُعلم من يعمل بهن؟**».

فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي، وعَدَّ خمسًا، قال: «**اتق**

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٩٠]، ومسلم [٢٩٦٣].

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٤٦]، ومسلم [١٠٥١].

والعرض: متاع الدنيا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مُسلمًا، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تُميتُ القلب»[١].

قال ذو النون المصري: «من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه».

وقال بشر الحافي: «القناعة مَلك لا يسكن إلا في قلب مؤمن».

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

رأيت القناعة رأس الغنى	**فصرت بأذ يالها متمسك**
فلا ذا يراني على بابه	**ولا ذا يراني به مُنهمك**
فصرت غنيًا بلادرهم	**أمر على الناس شبه الملك**[٢]
قنعت بالقوت من زماني	**وصنت نفسي عن الهوان**
خوفًا من الناس أن يقولوا	**فضل فلان على فلان**
من كنت عن ماله غنيًا	**فلا أبالي إذا جفاني**
ومن رآني بعين نقص	**رأيته بالتي رآني**
ومن رآني بعين تم	**رأيته كامل المعاني**[٣]

قناعة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنها قالت لعروة بن الزبير: «ابن أختي، إن كُنا لننظرُ إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نارٌ[٤]!!

---

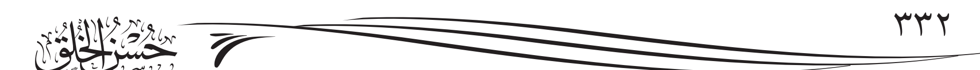
(١) **حسن**: رواه الترمذي [١٨٧٦]، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم: [٢٢٣٤].

(٢) «دوران الشافعي» [٥١].

(٣) المصدر السابق ص: [٧٥].

(٤) **يعني**: لا يطبخون شيئًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة



قال عُروة: فقلت: ما كان يعيّشكم؟

قالت: الأسودان: التَّمرُ والماءُ، إلا أنه كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار كان لهم منائح[(١)]، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناهُ!»[(٢)].

صور من القناعة:

الإمام العابد الزاهد القدوة مفتى المدينة وسيد من سادات التابعين.

قال ابن عيينة: «دخل هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين الكعبة في موسم الحج، فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر، فقال لسالم: سلني حاجة؟

قال سالم: إني أستحي من الله أن أسأل في بيته غيره فلما خرجا، قال: الآن فسلني حاجة؟

فقال له سالم: من حوائح الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

فقال له: من حوائج الدنيا.

قال: والله ما سألتُ الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟!»[(٣)].

صفوان بن سُليم، من سادات التابعين.

روى كثير بن يحيى عن أبيه، قال: «قدم سليمان بن عبد الملك المدينة، وعمر بن عبد العزيزعاملٌ عليها، قال: فصلى بالناس الظهر، ثم فتح المقصورة، واستند إلى المحراب، واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى «صفوان بن سُليم»، فقال لعمر: «من هذا؟ ما رأيت أحسن سمتًا منه». قال: صفوان.

---

(١) **المنائح**: جمع منيحة وهي العطية.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٥٩]، ومسلم [٢٩٧٣].

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٨) للذهبي، ط. مكتبة الصفا.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: يا غلام كيس فيه خمسمائة دينار.

فأتاه به، فقال لخادمه: اذهب بها إلى ذلك القائم فأتى حتى جلس إلى صفوان وهو يُصلي، ثم سلم، فأقبل عليه، فقال: ما حاجتُك؟

قال: يقول أمير المؤمنين: استعن بهذه على زمانك وعيالك.

فقال صفوان: لستُ الذي أُرسلت إليه.

قال: ألست صفوان بن سُليم؟ قال: بلى.

قال: فإليك أُرسِلتُ.

قال: اذهب فاستثبت.

فولى الغلام، وأخذ «صفوانُ» نعليه وخرج، فلم يُربها حتى خرج سليمانُ من المدينة[1].

محمد بن واسع الذي أثر سجوده في عظام جمجمته!!.

قال الغزالي في الإحياء: «كان محمد بن واسع يَبُلُّ الخبز اليابس بالماء ويأكُلُ ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد»[2].

ورحم الله أبا العتاهية حين قال:

رغيف خبز يابس ... تأكله في زاويه

وكوز ماء بارد ... تشربه من صافيه

وغرفة ضيقة ... نفسك فيها خالية

أو مسجد بمعزل ... عن الورى في ناحيه

---

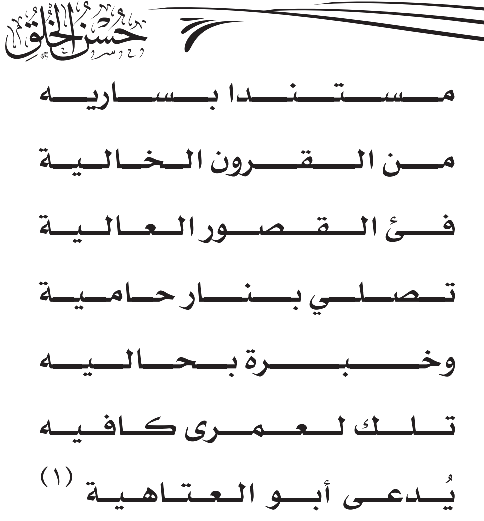
(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٨) للإمام الذهبي، ط. مكتبة الصفا.

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٩٣) للإمام الغزالي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



تدرس فيه دفترا ... مستندا بساريه

مُعتبرًا بمن مضى ... من القرون الخالية

خير من الساعات في ... فئ القصور العالية

تعقبها عقوبة ... تصلي بنار حامية

فهذه وصيتي ... وخبرة بحاليه

طوبي لمن يسمعها ... تلك لعمرى كافيه

فاسمع لنصح مشفق ... يُدعى أبو العتاهية [(١)]



---

(١) «ديوان أبو العتاهية» ص: [٣٠٧].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net


الصَّمْتُ

الصمت: هو إمساكٌ عن قول الباطل دون الحق، و هو دليل على الإيمان، وفيه النجاة للعبد في الدنيا والآخرة.

الفرقُ بين السكوت والصمت:

هناك فرق بين السكوت والصمت من وجوه ثلاثة:

❁ **منها**: أن السكوت هو ترك التكلم مع القدرة عليه، وبهذا القيد الأخير يفارق الصمت، فإن القُدرة على التكلم غيرُ مُعتبرة فيه.

❁ **ومنها**: أن الصمت يُراعي فيه الطولُ النسبي، فمن ضم شفتيه آنا يكون ساكتًا ولا يكون صامتًا إلا إذا طالت مُدةُ الضّمِّ.

❁ **ومنها**: أن السكوت: إمساكٌ عن الكلام حقًا كان أو باطلًا، أما الصمت فهو إمساكٌ عن قول الباطل دون الحق(١).

من لزم الصمت اكتسى هيبة ... تخفي على الناس مساويه
لسان من يعقل في قلبه ... وقلب من يجهل في فيه

فضائل الصمت:

للصمت فوائد عظيمة، ومقاصد جليلة:

❁ **منها**: أنه طريقُ النجاة:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من صمت نجا**»(٢).

---

(١) «نضرة النعيم» (٧/ ٢٦٣٤).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [١٢٣٤]، والطبراني [٢٢٢٥]، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم: [٥٣٦].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عُقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسول الله، ما النجاة؟

قال: «**أمسك عليك لسانك وليسعك بيتُك، وابك على خطيئتك**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان على «الصفا» يُلبى ويقول: يا لسان، قُل خيرًا تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم».

فقيل له: أهذا شيء تقوله أو شيء سمعته؟

فقال: لا، بل سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**»(٢).

قال الشافعي:

احذر لسانك أيها الإنسان	**لا يلدغنك إنه ثعبان**
والله إن الموت زلةُ لفظة	**فيه الهوان وكله خسران**
كم في المقابر من قتيل لسانه	**كانت تهاب لقاءه الأقران**

❁ **ومنها**: أنه دليل على الإيمان:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر: فليقل خيرًا أو ليصمت**»(٣).

❁ **ومنها**: أن الصمت سبب للوقاية من النار:

فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفر، فأصبحتُ يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلتُ: يا رسول الله، أخبرني بعمل يُدخلُني الجنة ويُباعُدني من

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي [١٣١٥]، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم: [٨٩٠].

(٢) **حسن**: رواه الطبراني [١٣٢٤]، والبيهقي [١٢٤٧]، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيح» برقم: [٥٣٤].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٦٠١٩]، ومسلم [٤٨].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النار؟ قال: «**لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسره الله عليه: تعبُدُ الله ولا تشركُ به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحجُ البيت**».

ثم قال: «**ألا أدلُّك على أبواب الخير: الصومُ جُنةٌ، والصدقة تطفئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل**».

ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧].

ثم قال: «**ألا أُخبرُك برأس الأمر كُله، وعموده، وذروة سنامه؟**».

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «**رأسُ الأمر الإسلام، وعمودُهُ الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**» ثم قال: «**ألا أُخبرك بملاك ذلك كُله**».

قلت: بلى، يا نبي الله.

فأخذ بلسانه وقال: «**كُف عليك هذا**».

قلتُ: يا نبي الله! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟.

قال: «ثكلتك[١] أُمُك يا مُعاذ، وهل يكُبُّ الناس في النار على وجوههم أو مناخرهم إلا حصائِدُ ألسنتهم»[٢].

۞ **ومنها**: أنه طريق إلى الجنة:

فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه[٣] وما بين رجليه[٤] أضمن له الجنة**»[٥].

---

(١) **ثكلتك**: أي: فقدتك أمك بهلاكك.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذي [٤٥١٣]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [١٢٧٣].

(٣) **لحييه**: هما العظمان في جانبي الفم والمراد بما بينهما اللسان.

(٤) **وما بين رجليه**: أي فرجه. (٥) **صحيح**: رواه البخاري [٦٤٧٤].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن بطال: «دل الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانهُ وفرجه، فمن وُقي شرهما وُقي أعظم الشر»[(١)].

فإن شئت أن تحيا ودينك سالمٌ	وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة مؤمن	فكلك عورات وللناس ألسن
وإن عينك أبدت إليك مساوئًا	فصنها وقل يا عين للناس أعين

شروط الكلام:

اعلم أخي الكريم أن للكلام شروطًا لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها، ولا يَعْرَى من النقص إلا بعد أن يستو فيها وهذه الشروط أربعة:

أولها- أن يكون الكلام لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع، أو دفع ضرر.

ثانيها- اختيارُ اللفظ الذي يتكلم به، لأن اللسان عنوان الإنسان، يُترجم عن مجهُوله، ويُبرهن عن محصوله، فيلزمُ أن يكون بتهذيب ألفاظه حَرِيًّا وبتقويم لسانه مَليًّا».

ثالثها- أن يأتي به في موضعه، ويتوخى به إصابة فُرصته؛ لأن الكلام في غير حِينه لا يقعُ موقع الانتفاع به.

رابعها- أن يقتصر منه على قدر حاجته، فإن الكلام إن لم ينحصر بالحاجة، ولم يُقدر بالكفاية، لم يكن لحَدِّه غاية، ولا لقدره نهاية، وما لم يكن من الكلام محظورًا كان إما حصرًا إن قصُرَ، أو هذرًا إن كَثُر[(٢)].

آدب الكلام:

قال أبو الحسن الماوردى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن للكلام آدابًا إن أغفلها المتكلمُ أذهب

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣١٦) للحافظ ابن حجر.

(٢) «أدب الدنيا والدين» ص: (٣٣٨ - ٣٤٣) لابن أبي الدنيا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رونق كلامه، وطمس بهجة بيانه، ولها الناسُ عن محاسن فضله، بمساوئ أدبه، فعدلوا عن مناقبه، بذكر مثالبه».

كذلك من آداب الكلام: أن لا يتجاوز في مدح، ولا يُسرف في ذَمٍّ وإن كانت النزاهُة عن الذم كرمًا، والتجاوزُ في المدح ملقًا يصدُرُ عن مهانة. والسرفُ في الذمِّ انتقام يصدُر عن شر، وكلاهما شينٌ وإن سلم من الكذب.

إنما العاقل من ... ألجم فاه بلجام

لُذْ[1] بداء الصمت خير ... لك من داء الكلام

وقال آخر:

عود لسانك قلة اللفظ ... واحفظ كلامك أيما حفظ

إياك أن تعظ الرجال وقد ... أصبحت محتاجًا إلى الوعظ

صور ونماذج من جهاد الصالحين للسان:

علم الصالحون خطورة اللسان، وما يترتب على ما يَخرُجُ منه من ثواب أو عقاب، فجاهدوا ألسنتهم جهاد الأبرار، وكفوا ألسنتهم عن كل كلام محرم.

وهذه بعض الصور والنماذج من أحوالهم مع هذا اللسان.

كان أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يضعُ حصاة في فيه، يمنعُ بها نفسه عن الكلام، وكان يُشير إلى لسانه ويقول: «هذا الذي أوردني الموارد»[2].

وكان عمر يقول: «من كُثر كلامه كثُر سقطه، ومن كثر سقطه كثُرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به»[3].

---

(١) **لُذْ**: الجأ وتحصَّن.

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٢٠) للغزالي.

(٣) المصدر السابق (٣/ ١٢١).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «أنصف أُذنيك من فيك، إنما جعل لك أُذنان ولسان واحد حتى تسمع أكثر مما تتكلم»(١).

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «والله الذي لا إله إلا هو ما شيءٌ أحوج إلى طُول سجن من اللسان»(٢).

وكان طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ يتعذر من طول السكوت ويقول: إني جربتُ لساني فوجدتُه لئيمًا»(٣).

وقال حَرْمَلة: «سمعتُ ابن وهب يقول: نذرتُ أني كُلما اغتبتُ إنسانًا أن أصوم يومًا، فأجهدني، فكنتُ أغتاب وأصوم، فنويتُ أني كلما اغتبتُ إنسانًا أن أتصدق بدرهم، فمن حُبِّ الدراهم تركتُ الغيبة!»(٤).

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله	إذا كنت فارغًا مستريحًا
وإذا ما هممت بالنطق بالباطل	فاجعل مكانه تسبيحًا
فاغتنام السكوت أفضل من	خوضٍ وإن كنت بالكلام فصيحًا

وقال إبراهيم الحربي: «ما أخرجت بغداد أتم عقلًا من بشر، ولا أحفظ للسانه، كان في كُل شَعْرَةٍ منه عَقْل، وطئ الناس عَقِبه خمسين سنة، ما عُرِف له غيبةٌ لمسلم، ما رأيت أفضل منه»(٥).

وقال يمان بن عدى: «كان عبد الله بن أبي زكريا عابد أهل الشام، يقول: «ما عالجتُ من العبادة شيئًا أشد من السكوت»(٦).

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٢٢). (٢) المصدر السابق (٣/ ١٢٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٣٤) للإمام الذهبي.

(٤) «المرجع السابق» (١٠/ ٤٧٢). (٥) نفس المرجع السابق (٩/ ٢٢٨).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٨٦) للإمام الذهبي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال مورق العِجْليّ: «تعلمتُ الصمت في عشر سنين، وما قلتُ شيئًا قط إذا غضبت أندم عليه إذا زال عضبي!»(١).

وقال بعض السلف: «الزم الصمت تُعدُ في عقلك فاضلًا، وفي خُلُقِك عاقلًا، وفي قدرك حكيمًا، وفي عَجِزك حليمًا، وإياك وفضول الكلام، فإنه يظهر من عيوبك ما بطن.

وقال بعضهم: «كلامُ المرء بيان فضله، وتُرجُمان عقله، فاقتصر منه على القليل، واختصر منه على الجميل، وإياك وما تسخط به سُلطانك، وتغضب به إخوانك..، وقال بعضهم: «من لزم شأنه، وحفظ لسانه، وأعرض عما لا يُعنيه، وكف عن عِرْضِ أخيه، دامت سلامتهُ وقلت ندامتهُ.

وقال بعضهم: «الصمتُ أفضل ثمرة العقل، وزين العلم، وعون الحِلْم، فالزَمْهُ يُلْزِمك السلامة، واصحَبْه تصحبك الكرامة.

وما أجمل ما أنشدهُ عبد الله بن المبارك حين قال:

جربت نفسي فما وجدت لها ... من بعد تقوى الإله كالأدب

في كل حالاتها وإن كرهت ... أفضل من صمتها عن الكذب

أوغيبة الناس إن غيبتهم ... حرمها ذو الجلال في الكُتب

قلت لها طائعًا وأُكرهها ... الحلم والعلم زينُ ذى الحسب

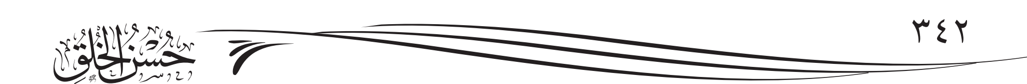
إن كان من فضَّةٍ كلامك يا ... نفس فإن السكوت من ذهب



(١) نفس المصدر السابق (٤/ ٣٥٤).



www.alukah.net
شبكة الألوكة



الورع

الورع: هو الكف عن المحارم والتحرُّجُ منها، وقيل: هو الكف عن القبيح.

وقيل: هو تركُ ما يَرِيُبك، ونفى ما يعيبك، والأخذ بالأوثق، وحملُ النفس على الأشق.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تمامُ الورع: أن يعلم الإنسان خير الخيرين، وشر الشرين، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية، والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات، ويرى ذلك من الورع، كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعًا، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة العباد وأخذ عِلم العالم لَـمِا في صاحبه من بدعة خفية، ويرى ترك قبول سماع هذا الحق الذي يجب سماعه من الورع(١).

فضل الورع:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كن ورعًا تكن أعبد الناس**»(٢).

وعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فضل العِلم أحبُ إلى من فضل العبادة، وَخَيْرُ دينكم الورع**»(٣).

قال ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد جمع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الورع كله في كلمة واحدة، فقال: «**من حُسنِ إسلام المرء: تركُهُ ما لا يَعْنيه**»(٤).

(١) «مجموع الفتاوي» (١٠/ ٥١٢) لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: دار الرحمة.
(٢) **حسن**: رواه ابن ماجه [٤٢٥٤]، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [٤٥٠٢].
(٣) **صحيح**: رواه البزار [٢٣٥٤]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [٤٢١٤].
(٤) **حسن**: رواه الترمذي [٢٧١٣]، وابن ماجه [٣٩٧٦].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال محمد بن واسع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يكفي من الدُعاء مع الورع اليسير منه»[(١)].

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «زينةُ العلم: الورعُ والحلم»[(٢)].

وقال الضحاكُ بنُ عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أدركتُ الناس وهم يتعلمون الورع، وهم اليوم يتعلمون الكلام»[(٣)].

وقال حبيب بن أبي ثابت رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يُعجبنكم كثرةُ صلاة امرئ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى ورعه، فإن كان ورعًا مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبدٌ لله حقًّا»[(٤)].

وقال سفيان الثورى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليك بالورع يُخفف اللهُ حسابك، وَدَعْ ما يَريُبك، وادفعِ الشك باليقيَن، يسلم لك دينُك»[(٥)].

وقال صالحُ المُرىُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان يُقال: التورع في الفتن كعبادة النبيين في الرخاء»[(٦)].

وجاء رجلٌ إلى «العمرى» فقال: عظني قال: فأخذ حصاة من الأرض فقال: «زنةُ هذه من الورع يدخل قلبك خيرٌ لك من صلاة أهل الأرض!» قال زدني. قال: «كما تحب أن يكون الله عَزَّوَجَلَّ لك غدًا فكن له اليوم»[(٧)].

مظاهر الورع:

الورع له مظاهر عديدة:

❁ **منها: الورع في النظر:**

قال داود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانوا - **يعني**: السلف - يكرهون فُضُول النظر».

---

(١) وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [١٢٣٤]، «الورع»: ص: [١٢٥] لابن أبي الدنيا.

(٢) «الأدب الشرعية» (٢/ ٤٥).

(٣) «الورع» [٥٠] لابن أبي الدنيا.

(٤) المصدر السابق ص: [٦٠].

(٥) المصدر السابق ص: [١١٢].

(٦) «الآداب الشرعية» (٢/ ٤٧).

(٧) «المنتظم» (٢/ ١٢٤).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان في دار «مجاهد» رَحِمَهُ ٱللَّهُ عُلِّية قد بُنيت، فبقى ثلاثين سنة ولم يَشْعر بها!!»(١).

فقد كانوا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يبالغون في الاحتراز من النظر، وهذا من شدة وقوة تعلقهم بالآخرة، واستشعارهم بأن نظر الله سابق لما ينظرون إليه، وهذه مرتبة عالية من مراتب الإحسان، بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

❁ **ومنها: الورع في السمع:**

فالأذن مسئولة، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فالمؤمن الصادق هو الذي يسمع سماع الموعظة والتدبر، يستمع القول فيتّبع أحسنه.

قال نافع: «كنتُ مع ابن عمر في طريق، فسمع زمّارةَ راعٍ، فوضع أصبعيه في أُذُنيه، ثم عَدَل عن الطريق، ثم قال: يا نافع، أتسمع؟

قلت: لا. فأخرج أصبعيه من أُذنيه، ثم عدل إلى الطريق، ثم قال: «هكذا رأيتُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنع»(٢).

قال محمد بن المنكدر: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كانوا يُنزهون أنفسهم وأسماعهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم بياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم تمجيدى وتحميدى»(٣).

---

(١) «التبصرة» (١/ ١٦١) لابن الجوزي.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢/ ١٢٣٤).
وصححه الشيخ أحمد شاكر في «تحقيق المسند» برقم: [٣٥٥٤].

(٣) «الورع» ص: [٧١] لابن أبي الدنيا.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ **ومنها: الورع في البطن:**

أكل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طعامًا ذات يوم؟ ثم سأل غلامه من أين أتيت بهذا الطعام؟ فقال الغلام: من كهانة كنت قد تكهنت بها في الجاهلية.

فوضع أبو بكر أصبعه في فمه فأخرج ما في بطنه.

وقال أبو بكر بن عثمان: سمعتُ «بشر بن الحارث» يقول: «إني لأشتهي شِواءً منذ أربعين سنة، ما صفا لي دِرهمُهُ!»(١).

وقال محمد بن عبد الوهاب الفراء: حدثنا عليُّ بن عثام، قال: «أقام بشرُ بنُ الحارث بعبدان يشربُ ماء البحر، ولا يشرب من حياض السلطان، حتى أَضَرَّ بجوفه، ورجع إلى أُخته وَجِعًا، وكان يعملُ المغازل ويبيعُها، فذاك كسبُه»(٢).

❁ **ومنها: الورع في الشَّمِّ:**

عن يونس بن أبي الفرات: أن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ أُتى بغنائم مِسك، فأخذ بأنفه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، تأخذ بأنفك لهذا!! قال: «إنما ينتفع من هذا بريحه، فأكره أن أجد ريحه دون المسلمين!!!».

❁ **ومنها: الورع في المشى:**

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: في تفسير قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ قال في هذه الآية قولان:

---

(١) «طبقات الصوفية» ص: [٤٥].

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٧١) للإمام الذهبي.

«الورع» ص: [٧١] لابن أبي الدنيا.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

أحدهما- نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي آثروها من بعدهم فنجزيهم على ذلك أيضًا إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

وثانيهما- أن المراد بذلك آثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية.

قال قتادة: لو كان عَزَّوَجَلَّ مُغْفِلًا شيئًا من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تَعَالَىٰ أو من معصية فمن استطاع منكم أن يُكتب أثرُهُ في طاعة الله تَعَالَىٰ فليفعل»(١).

۞ ومنها: الورع في الفرج:

قال سفيان بن عُيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو أن رجلًا لعب بغلام بين أصبعين من أصابع رجله، يريد بذلك الشهوة؛ لكان لواطًا!!»(٢).

۞ ومنها: الورع في اللسان:

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

قال الحسنُ البصريُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]. يا ابن آدم، بُسطت لك صحيفة، وَوُكِّل بك ملكان كريما، أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلِل أو أكثِر، حتى إذ مِتَّ طُويتْ صَحيفتُك، وجُعلت في عُنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول الله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٩٠٠) للحافظ ابن كثير.

(٢) «الورع» ص: [٩٤] لابن أبي الدنيا.

www.alukah.net


طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

ثم يقول: «عَدَلَ والله فيك من جَعَلك حَسِيب نفسك»(١).

أقسام الورع:

قسَّم العلامة الأصفهاني الورع إلى ثلاث مراتب: واجب، ومندوب، وفضيلة.

أما الواجب: وهو الإحجام عن المحارم، وذلك للناس فيه كافة.

وأما المندوب: وهو الوقوف عن الشبهات، وذلك للأواسط.

وأما الفضيلة: وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على أقل الضَّرُورات، وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

علامات الورع:

قال الإمام أبو الليث السمر قندى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: علامة الورع أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه:

أولها- حفظ اللسان عن الغيبة:

لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

ثانيها- الابتعاد عن سوء الظن:

لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

ثالثها- الابتعاد عن السخرية:

لقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٣٤٦) للحافظ ابن كثير.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رابعها- غض البصر عن المحارم:

لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

خامسها- صدق اللسان:

لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام: ٣٠].

يعني: فاصدقوا.

سادسها- أن يعرف نعمة الله على نفسه لكيلا يُعجب بنفسه:

لقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

سابعها- أن ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل:

لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ [الفرقان: ٦٧]. أي: لم ينفقوا في المعصية ولم يمنعوا من الطاعة: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

أي: عدلًا.

ثامنها- أن لا يطلب لنفسه العلو والكبر:

لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]

تاسعها- المحافظة على الصلوات الخمس في أوقاتها بركوعها وسجودها:

لقوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

عاشرها- الاستقامة على السُنة والجماعة:

لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][1].

(١) «تنبيه الغافلين» ص: [٣٥٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صور ومواقف من حياة أهل الورع:

هذه بعض الصور والمواقف المباركة من حياة أهل الورع.

ورع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد أهل الورع، دلت على ذلك أقواله وأحواله، فمن ذلك:

ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن الحسن بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفارسية: «كِخْ كِخْ»[١]. أما تعرف أنا لا نأكل الصدقة[٢].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إني لأنقلب إلى أهلي فأجدُ التمرة ساقطة على فراشي ثم أرفعها لآكُلها، ثم أخشى أن تكون صدقة فأُلقيها!!**»[٣].

ورع أبي بكر الصديق:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان لأبي بكر غلامٌ يُخرجُ له الخراج، وكان أبو بكر يأكُل من خراجه، فجاء يومًا بشيء فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟

قال: كنتُ تكهنتُ[٤] لإنسان في الجاهلية، وما أُحسن الكهانة[٥] إلا أني خدعتُهُ، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منهُ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كُلَّ شيءٍ في بطنه[٦]!»[٧].

---

(١) **كخ كخ**: كلمة زجر للصبي. (٢) **صحيح**: رواه البخاري [٣٠٧٢]، ومسلم [١٠٩٦].

(٣) **صحيح**: رواه البخاري [٢٤٣٢]، ومسلم [١٠٧٠].

(٤) **الكهانة**: ادعاء معرفة الغيب النسبي، وهو ضرب من ضروب الشرك.

(٥) أحسن الكهانة أو لم يحسنها فالأجر في كلتا الحالتين: حرام لورود النهي.

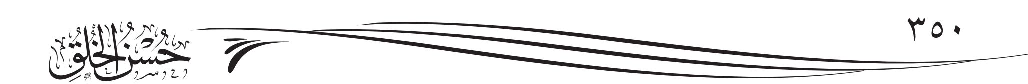
(٦) هذا هو الورع، لأنه أكل أولًا وهو يظن أنه من خراجه.

(٧) **صحيح**: رواه البخاري [٣٨٤٢].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



ورع علي بن الفضيل بن عياض:

ضرب عليُ بن الفُضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ النموذج الأعلى في الورع حتى قال عنه أبو الفُضيل «كانت لنا شاةٌ بالكوفة، أكلت شيئًا يسيرًا من علف أمير، فما شَرَب لها لبنًا بعدُ!!»(١).

ورع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه أُتى بزيت من الشام - وكان الزيت في الجفان يعني في القصاع - وعمر يقسمه بين الناس بالأقداح وعنده ابن له، له شعرات، فكلما أفرغت جفنة مسح بقيتها برأسه، فقال له عمر: أرى شعرك شديد الرغبة في زيت المسلمين! ثم أخذ بيده فانطلق إلى «الحجام» فحلق شعره، وقال: «هذا أهون عليك»(٢).

تاريخنا من هؤلاء مبداه فما عداه فلا ذكر ولا شان

ورع عبد الله بن المبارك:

قال الحسن بن عرفة: قال لي عبد الله بن المبارك: «اسَتَعرتُ قلما بأرض الشام، فذهبتُ على أن أردَّه، فلما قدمتُ مرو؛ نظرتُ فإذا هو معي، فرجعتُ إلى الشام حتى رددتُه على صاحبه!!»(٣).

وقال الحسن بن الربيع: «لما احتضر ابن المبارك في السفر، قال: أشتهي سويقًا، فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، وكان معنا في السفينة، فذكرنا ذلك لعبد الله، فقال: دَعُوه. فمات ولم يشربه!!»(٤).

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٤٦) للإمام الذهبي.
(٢) «تنبيه الغافلين» ص: [٣٥٦].
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٩٥) للإمام الذهبي.
(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤١١) للإمام الذهبي.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net


ورع إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

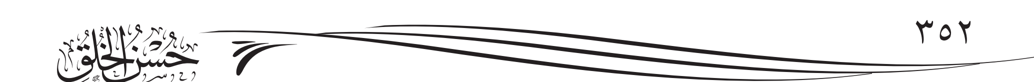
روى عن إبراهيم بن أدهم أنه استأجر دابة إلى «عمان» فبينما هو يسير إذ سقط سوطه فنزل عن الدابة وربطها ومشى - راجلًا - فأخذ السوط، فقيل له: لو حَوَّلتَ رأس دابتك فأخذت السوط؟ فقال: «إنما استأجرتُها لِتذْهب ولم أستأجرها لترجع!!»[١].



(١) «تنبيه الغافلين» ص: [٣٥٦].


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



المُروءَة

المروءة: هي حِلْيَةُ النفوس، وزينةُ الهِمَم، وقال الماوردى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المروءةُ مراعاةُ الأحوال إلى أن تكون النفس على أفضلها، حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجَّه إليها ذَمٌّ باستحقاق»(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومروءة كل شيء بحسبه»(٢).

❁ **فمروءةُ اللسان:** حلاوته وطيبُهُ ولينُهُ.

❁ **ومروءةُ الخُلُق:** سعتُهُ وبسطُهُ للحبيب والبغيض.

❁ **ومروءةُ المال:** الإصابةُ ببذله في مواقعه المحمودة عقلًا وعرفًا وشرعًا.

❁ **ومروءة الجاه:** بذلُهُ للمحتاج إليه.

❁ **ومروءة الإحسان والبذل:** تعجِيلُهُ وتيسيره، وتوقيره، وعدم رُؤيته حال وقوعه، ونسيانُهُ بعد وقوعه.

درجات المروءة:

للمروءة ثلاث درجات:

أولها- مروءةُ المرء مع نفسه:

وهي أن يحملها قسرًا على ما يُجملُ ويزينُ، وترك ما يُقبح ويشـينُ، ليصير لها ملكة في العلانية. فمن أراد شيئًا في سره وخلوته: ملكه في جهره وعلانيته. فلا يكشف عورته في الخلوة، ولا يتجشـأ بصوت مُزعج ما وجد إلى خلافه سبيلًا. ولا يُخرج الريح بصوت وهو يقدر على خلافه.

---

(١) «أدب الدنيا والدين» ص: [٣٨٧] للماوردى.

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٦) لابن القيم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب


www.alukah.net

وبالجملـة: فـلا يفعـل خاليًا ما يُسـتحيا من فعلـه في الملأ، إلا ما لا يحظُـره الشرعُ والعقل، ولا يكون إلا في الخلوة، كالجماع والتخلي ونحو ذلك.

ثانيها- المروءة مع الخلق:

بـأن، يسـتعمل معهـم شروط الأدب والحيـاء، والخلـق الجميـل، ولا يظهـر لهـم مـا يكرهه هو من غيره لنفسـه، وليتخذ الناس مرآة لنفسـه. فكل مـا كرهه ونفرعنه، من قول أو فعل أو خلق، فليتجنبه، وما أحبه من ذلك واستحسنهُ فليفعله.

ثالثها- المروءة مع الحق سُبْحَانَهُ**:**

بالاسـتحياء من نظره إليك، واطلاعه عليك في كل لحظة ونفس، وإصلاح عُيوب نفسك جهد الإمكان. فإنه قد اشتراها منك، وأنت ساع في تسليم المبيع، وتقاضى الثمن، وليس من المروءة تسليمه معيبًا[(١)].

خوارم المروءة:

اعلم أخي الكريم أن هناك خصالًا تَخْرِمُ المروءة وهي كثيرة ومُتعددة:

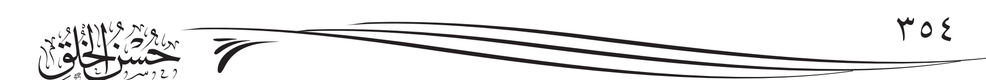
منها: اتباع الهوى:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من لا دين له؛ يُؤثر ما يهواه، وإن أدَّاه إلى هلاكه في الآخرة، لضعف ناهي الدين، ومن لا مروءة له؛ يُؤثر ما يهواه، وإن ثُلِم مروءته أو عُدِمها؛ لضعف ناهي المروءة، فأين هذا من قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو عملتُ أن الماء البارد يثْلَمُ مُروءَتي، لما شربتُه؟!»[(٢)].

---

(١) «تهذيب مدارج السالكين» ص: (٣٨٢ - ٣٨٣).

(٢) «روضة المجين» ص: [٤٢٨] لابن القيم.



❁ **ومنها: إخراجُ الريح بصوت وهو يقدر على منعه:**

فعن عبد الله بن زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب ...... وفيه: «ثم وعظهم في ضحكهم من الضراطة، وقال: «**لم يضحكُ أحدُكم مما يفعل؟!**»[(١)].

❁ **ومنها: الإعلان بالفجور:**

قال الإمام السرخسي: «ولا مروءة لمن يكون معلنًا بفسق شرعًا».

❁ **ومنها: التجشُؤ بصوت مُرتفع دُون عذر:**

فعن أبي جُحَيْفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أكلتُ ثريدة من خبز ولحم، ثم أتيتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجعلتُ أتجشأُ، فقال: «**يا هذا كُفَّ من جُشائك، فإن أكثر الناس شبعًا في الدنيا أكثُرهم جوعًا يوم القيامة**»[(٢)].

❁ **ومنها: جعل النفس أضحوكة:** كمن يأتي بحركات بهلوانية كأن يجعل نفسه «خروفًا» كما يفعل أهل التمثيل! فهذا من خوارم المروءة.

قال أبو بكر الطرطوشى: «من خوارم المروءة: الحكاية المضحكة».

❁ **ومنها: تقبيل الرجل زوجته أمام الناس:**

وهذا من العادات المُستهجنة، والتقليد الأعمى للكفار، ولا يبيح لنفسه هذا الفعل إلا ديوث.

❁ **ومنها: الأكل في الأسواق:**

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثلاثة ليست من المروءة: الأكل في الأسواق، والإدهان عند العطار، والنظر في مرآة الحجّام»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٣٤٧].

(٢) **حسن**: رواه الحاكم (١/ ٢٤٣)، وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم: [٣٤٣].

(٣) «روضة العقلاء» ص: [٢٣٣] لابن حبان.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ **ومنها: استخدام الضيف:**

قال رجاء بن حيوة: سَمرتُ - أي: جلست بعد العشاء - عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة، فَعَشَا[١] السرِّاج، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ألا أُنبِّه هذا الغلام يُصلِحه؟

فقال: لا، دعهُ ينام؛ لا أُحب أن أجمع عليه عملين.

فقلتُ: أفلا أقوم أُصلحه؟

فقال: لا، ليس من المروءة استخدام الضيف. ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زيتًا، ثم جاء، وقال: قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز، وجلستُ وأنا عمر بن عبد العزيز[٢].

❁ **ومنها: إفشاء ما يكون بين الرجل وزوجته:**

من أمور الجماع وما يدور بين الرجل وزوجته على الفراش وقد ورد النهي عن ذلك.

قال ﷺ: «**إن من شر الناس عند الله يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه**»[٣].

❁ **ومنها: خِضَابُ اللحية بالسواد:**

إن من التدليس الممقوت، إخفاء الشيب إظهارًا للشباب قال ﷺ: «**يكونُ في آخر الزمان قومٌ يخضبون بالسواد كحواصل الحمام، لا يريحون من رائحة الجنة!**»[٤].

---

(١) **عشا**: أي: ضعف نوره.
(٢) «البداية والنهاية» (٩/ ٢١١) للحافظ ابن كثير.
(٣) **صحيح**: رواه أبو داود [٢٣٥٤]، وأحمد (٣/ ٢٥٤)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [٢٩٤٣].
(٤) **صحيح**: رواه أبو داود [٢٥٣٤]، والنسائي [١٤٣١]، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [٨٠٠٩].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❁ **ومنها: الإتيان بأفعال الفُساق والمخنثين:**

كالرقص، والغناء، والصفق بالأكُف ونحو ذلك.

❁ **ومنها: التغوط والتبول في طريق الناس وفي أماكن ظلهم:**

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اتقوا اللاعنين**».

قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟

قال: «**الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم**»(١).

قال أبو الطيب العظيم آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا على هذا الحديث: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتقوا اللاعنين**» قال الخطابي: يريد الأمرين الجالبين لِلَّعن الحاملين للناس عليه والداعيين إليه، وذلك أن من فعلهما لُعن وشُتم، يعني عادة الناس لعنه، فلما صارًا سببًا لذلك أضيف إليهما الفعل فكانا كأنهما اللاعنان، يعني أسند اللعن إليهما عن طريق المجاز العقلي، وقد يكون اللاعن أيضًا بمعنى الملعون فاعلهما.

«الذي يتخلى في طريق الناس» أي: يتغوط أو يبول في موضع يمر به الناسُ. والمراد بالطريق: الطريق المسلوك لا المهجور الذي لا يُسلك إلا نادرًا؟ «أو ظلهم» أي: مستظل الناس الذي اتخذوه مقيلًا ومنزلًا ويقعدون فيه، وليس كل ظل يحرم القعود للحاجة تحته، فقد قعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحاجته تحت حائش من النخل، وللحائش لا محالة ظل. والحديث يدل على تحريم التخلي في طريق الناس وظلهم لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به واستقذاره(٢).

مواقف وصور من حياة أهل المروءة:

مُروءة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**:**

فعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن امرأة جاءت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُردةٍ منسُوجة فيها حاشيتها. أتدرون ما البُردةُ؟ قالوا: الشملة. قال: نعم.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم [١٤٩٥]، وأبو داود [٣٢١٤].

(٢) «عون المعبود» (١/ ٣٠ - ٣١).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قالت: نسجتُها بيدى، فجئتُ لأكسوكها، فأخذها النبي ﷺ مُحتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنها إزارُهُ فحسنها فلانٌ، فقال: اكسُنيها، ما أحسنها!.

قال القوم: ما أحسنت، لبسها النبي ﷺ مُحتاجًا إليها، ثم سألته وعلمت أنه لا يَرُدُّ! قال: «إني والله ما سألته لألبسها، وإنما سألتُهُ لتكون كفنى».

قال سهلٌ: فكانت كفنه!»(١).

مروءة الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الربيع: «كان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مارًا بالحذائين فسقط سوُطه، فوثب غلامٌ ومسحه بكمه وناوله، فأعطاه سبعة دنانير!!»(٢).

مروءة أحمد بن مهدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كان أحمد بن مهدي كما قال ابنُ النجار: «من الأئمة الثقات، وذوي المروءات».

أما قصته الدالة على مروءته، فيحكيها لنا فيقول: «جاءتني امرأة ببغداد ليلة، فذكرت أنها من بنات الناس، وأنها امتُحنت، وسألتني أن أسترها، قالت: فقد أُكرهت على نفسي، وأنا حُبلى، وقلتُ: إنك زوجي فلا تفضحني. فنكبتُ عنها ومضيت. فلم أشعرُ حتى جاء إمامُ المحلة والجيران يُهنئوني بالولد الميمون، فأظهرتُ التهلل، وأعطيت في اليوم الثاني للإمام دينارين، وقلتُ: أعطها نفقة، فقد فارقتها(٣) وكنتُ أعطيها في كل شهر دينارين، حتى أتى على ذلك سنتان، فمات الطفلُ، وجاءني الناس يَعزّوني فكنتُ أظهر لهم التسليم والرضى، فجاءتني بعد أيام بالدنانير فردتها ودعت لي،

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [١٢٧٧].

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٧) للإمام الذهبي.

(٣) أي: طلقها.



شبكة الألوكة - قسم الكتب


www.alukah.net

فقالت: ستـرك الله كما سـترتني. فقلت: هذا الذهب كان صلة للولد، وقد ورثتيه، وهو لك!!»[١].



(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٩٨) للإمام الذهبي.


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كتمان السر

كتمان السر: هو سَتْرُ الحديث وكتمان الفضل، وهو الإخفاء، وكذلك هو الصبرُ في إمساك الضمير وقال المناوى: «الكتمان: هو ستر الحديث» وكتمان السر من الأخلاق المحمودة، وهو مركب من الوقار وأداء الأمانة.

فضل كتمان السر:

١- من أقوى أسباب النجاح:

فإن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح.

فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان؛ فإن كل ذى نعمة محسود**»(١).

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سرُك أسيرُك فإن تكلمت به صرت أسيره».

وقال بعضهم لابنه وهو يعظه: «يا بُني، كُن جوادًا بالمال في موضع الحق، ضنينًا(٢) بالأسرار عن جميع الخلق. فإن أحمد جُود المرء: الإنفاق في وجه البر، والبُخلُ بمكتوم السر».

وقال بعضهم: «من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه».

وقال بعضهم: «ما أسرك ما كتمت سرك».

وقال بعضهم: «ما لم تُغيِّبهُ الأضالعُ فهو مكشُوفٌ ضائعٌ».

ولا تُفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحًا

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» (١/ ٤٣٥)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم: [٩٤٣].

(٢) **ضنينًا**: بخيلًا.



شبكة الألوكة - قسم الكتب



فـإنـي رأيـت وشـاة الـرجـال   لا يـتـركـون أديـمًـا صـحـيـحًـا[1]

٢- يَعصمُ من الشرور:

قـال الإمام الماوردى: «وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه، ولوكتمه كان من سطوته آمنًا، وفي عواقبه سالمًا، ولنجاح حوائجه راجيًا.

وقـال بعضهم: «من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفرُ بحاجته، والسـلامة من السطوات»[2].

ومُـسْـتَـوْدِعـيِ سـرًا تـبـوأتُ كَـتْـمهُ   فـأَوْدَعْـتُـه صَـدْري فَـصَـارَ لـهُ قَبْرًا

ومـسـتـودعـى سـرًا تـضـمـنـت سـره   فأودعته من مستقر الحبشى قبرًا

ولـكـنـنـي أخـفـيـه عـنـي كـأنـني   من الدهر يومًا ما أحطت به خيرًا

وما السر في قلبي كميت بحفرة   لأنـي أرى المدفون ينتظر النشرا

٣- يُوثق صلة الإنسان بأخيه:

قال الماوردى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن من الأسرار ما لا يُستغنى فيه عن مُطالعة صديق مُساهم، واستشارة ناصح مُسالم. فليختر العاقل لسره أمينًا إن لم يجد إلى كتمه سبيلًا، وليتحر في اختيار من يأتمنُهُ عليه ويستودعه إياه» فينبغي على أمين السر أن يكون ذا عقل صاد، ودين حاجز، ونصح مبذول، وود موفور، وكتومًا بالطبع.

فإن هذه الأمور تمنع من الإذاعة، وتوجب حفظ الأمانة وليحذر صاحب السر أن يُودع سره من يتطلع إليه، ويُوثُر الوقوف عليه، فإن طالب الوديعة خائن.

لا تَـدَعْ سِـرًّا إلـى طـالـبـهِ   مـنـك فـالـطـالـبُ لـلـسـر مُـذيـعُ

---

(١) «أدب الدنيا والدين» ص: [٣٧٤] لابن أبي الدنيا.

(٢) المصدر السابق ص: [٣٧٥].



٤- دليل على الإيمان:

فالحفاظ على السر دليل على الإيمان، وهذا ما دلت عليه النصوص الصحيحة.

قال ﷺ: «**أربعٌ من كن فيه، كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»(١).

٥- دليل على قهر النفس وترويضها:

فكتمان السر دليل على انتصار صاحب السر على نفسه، وكبحه لجماحها.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

أنواع كتمان السر:

كتمان السر ينقسم إلى قسمين أو نوعين:

❁ كتمان محمود. ❁ وكتمان مذموم.

أولًا- الكتمان المحمود: وهو ضربٌ من الأمانة، ونوع من الوفاء، وعلامةٌ على الوقار، وهو كتمان سر الغير أو النفس وهو مناط هذه الصفة وعِقدُها.

ثانيًا- الكتمان المذموم: وهذا النوع من الكتمان على ضربين:

الأول- كتمان الشهادة:

وقد ذمه الله تَعَالَى بقوله: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي [٢٣٥٤]، وأحمد [٢٢٣٥٤] وحسنه الشيخ الألباني في «الصحيحة» برقم [٢٣٥٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثاني- كتمان ما أنزل الله:

أمر الله تَعَالَىٰ حملة العلم ألا يكتموا مما أنزل الله شيئًا، وتوعد من يفعل ذلك بذلّ الدنيا وعذاب الآخرة، قال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١٧٤].

ولقد لعنهم الله في آية أخرى، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥٩].

قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكتمان ذلك وسيلة إلى تضييع أحكام الله وما يتعلق بها من طاعة»(١).

إفشاء السر لمصلحة:

قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الستر على الناس شيمة الأولياء - ويؤخذ من كلامه - أنه قد يجوز الإفشاء إذا كان في ذلك مصلحة - مصلحة شرعية لا ذاتية -، أو دفع ضرر، واستدل على ذلك بما ذكره القرآن الكريم من إفشاء يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِسِّر التي راودته عن نفسه، وَبسرّ النسوة اللاتي قطعن أيديهنّ.

قال العزُّ: وإنما قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يُوسُف: ٢٦]. ليدفع عن نفسه ما تعرض له - أو ما يمكن أن يتعرض له - من قتل أو عقوبة، وكذلك قوله: ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يُوسُف: ٥٠]، ليدفع التُّهمة عن نفسه، فإن المَلِكَ لو اتهمه لم يُولِّهِ، ولم يُحْمَلْ على إحسانِ الولاية»(٢).

---

(١) «شجرة المعارف والأحوال» ص: [٣١٢] للعز بن عبد السلام.

(٢) المصدر السابق (٣٨٩، ٣٩٠) بتصرف بسيط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إفشاء السر بعد الموت:

قال ابن بطال: «أكثر العلماء على أنه إذا مات صاحب السر فإنه لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة».

وقال الحافظ ابن حجر: «الذي يظهر أن الإفشاء بعد الموت ينقسم إلى أقسام:

❁ **منها**: ما يحرم إذا كان فيه غضاضة على صاحبه.

❁ **ومنها**: ما يكره مُطلقًا. ❁ **ومنها**: ما يباح.

❁ **ومنها**: ما يُستحب ذكره - وإن كرهه صاحبُ السر كأن يكون فيه تزكية أو منقبة أو نحو ذلك[١].

ويدلل على ذلك هذه النصوص الصحيحة الصريحة، فعن المعتمر بن سليمان عن أبيه، قال: سمعت أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «أَسرَّ إليَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرًا فما أخبرتُ به أحدًا بعد، ولقد سألتني أُمُ سُليم فما أخبرتُها به»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعضُ العلماء: كأن هذا السر كان يختص بنساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنسًا كتمانه»[٣].

وعن أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من غسل مُسلمًا فكتم عليه غفر له الله أربعين مرة - وفي رواية أربعين كبيرة - ومن حفر له فأجَنَّه أجرى عليه كأجر مسكن أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومن كفنه كساهُ الله يوم القيامة من سُندُس وإسْتبرق الجنة»**[٤].

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٨٥) للحفظ ابن حجر.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٦٢٨٩]، ومسلم [٢٣٥٤].

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٨٥) للحافظ ابن حجر.

(٤) **صحيح**: رواه الحاكم (١/ ٣٥٤)، والبيهقي (٣/ ٣٩٥)، وصححه الشيخ الألباني في «أحكام الجنائز» [٥١].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: كان أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنده، لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمةُ تمشى، ما تُخطئُ مشيتها من مشية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا، فلما رآها رحَّب بها، فقال: «مرحبًا بابنتي».

ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله. ثم سارها فبكت بكاءً شديدًا، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت، فقلتُ لها: خصك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين نسائه بالإسرار، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألتُها: ما قال لك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قالت: ما كنتُ أفشى على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ.

فلما تُوفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلتُ عزمتُ عليك بما عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقالت: أما الآن فنعم. أما حين سارني في المرة الأُولى فأخبرني: «أن جبريل كان يُعارضُهُ القرآن في كُل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين وإني لا أُرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبرى، فإنه نعم السلف أنا لك».

قالت: فبكيتُ بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارني.

الثانية فقال: «يا فاطمةُ: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين – أو سيدة نساء هذه الأمة».

قالت: «فضحكتُ ضحكي الذي رأيت»[1].



(١) **صحيح**: رواه البخاري [٣٧١٦]، ومسلم [٢٤٥٠] واللفظ له.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

الاستئذان

الاستئذان: هو طَلَبُ الإذنِ في الدخول لِمَحَلٍّ لا يملكه الـمُستأذن. وهو واجب على الناس أجمعين؛ لعموم الأدلة الدالة على وجوبه.

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

قال الرازي: «أوجب الله تعالى أن لا يدخل المرء بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسلام، لأن في الدخول على هذا الوجه وقوع التهمة، وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به»[١].

وعن عطاء، قال: قلتُ لابن عباس: أستأذنُ على أُختي؟

فقال: نعم.

فأعدت فقلتُ: أُختان في حجرى - وأنا أمُونُهما[٢] وأُنفقُ عليهما - أستأذنُ عليهما؟

قال: نعم. أتُحبُ أن تراهُما عُريانين؟ ثم قرأ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ [النور: ٥٨].

قال: فلم يُؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هذه العورات الثلاث.

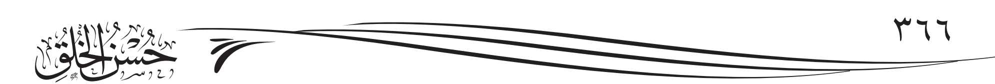
قال: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩]

---

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٢/ ٥٢٤) للإمام الرازي.

(٢) **أمونهما، أي:** أحتمل نفقتهما.

www.alukah.net
شبكة الألوكة



قال عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فالإذنُ واجبٌ، زاد ابن جريج: على الناس كلهم[١].

وقال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يستأذن الرجل على ولده وأمه - وإن كانت عجوزًا - وأخيه وأخته وأبيه»[٢].

وسأل رجلٌ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أستأذن على أُمي؟ فقال: «إن لم تستأذن، رأيت ما تكره».

وفي رواية: «ما يسوؤُك»[٣].

الحكمة من الاستئذان:

الحكمة من الاستئذان ستر عورات الأنفس والأموال عن الغير، وبقاء البيت سكنًا لصاحبه؛ يأوى إليه لراحته، ويقضي فيه حاجته.

كيفية الاستئذان:

أولًا- أن لا يستقبل الباب:

ينبغي على المستأذن أن لا يستقبل الباب حتى لا ينظر إلى شيء داخل البيت.

فعن عبد الله بن بُسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتى بابًا يُريد أن يستأذن لم يستقبله، جاء يمينًا أو شمالًا، فإن أُذِن له وإلا انصرف»[٤].

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا يحل لا مرئ مُسلم أن ينظر إلى جوف بيت حتى يستأذن، فإن فعل فقد دخل**»[٥].

---

(١) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [١٠٦٧].
(٢) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [١٠٦٦].
(٣) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٨١٠].
(٤) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [١٠٨٢].
(٥) صحيح: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٨٣١].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن سهل بن سعد الساعدى، قال: اطلع رجُلٌ من حُجر من حُجر النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ مِدْرَى(١) يُحكُّ بها رأسه، فقال: «**لو علمتُ أنك تنظرُ لطعنتُ به في عينك، إنما جُعل الاستئذان من أجل البصر**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن رجلًا اطلع عليك بغير إذنٍ، فخذ فتهُ بحصاة، ففقأت عينه ما كان عليك جُناح**(٣)»(٤).

ثانيًا- أن يدق الباب دقًا خفيفًا:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتيتُ رسول الله ﷺ في أمر دَيْن على أبي - وكان أبوه عبد الله بن عمرو بن حرام قتل شهيدًا في غزوة أحد - فدققتُ الباب، فقال: «من ذا؟».

فقلت: أنا.

فخرج: وهو يقول: «أنا، أنا!!»؛ كأنه كرهها(٥).

وعن أنس رضي الله عنه: «أن أبواب النبي ﷺ كانت تُقرعُ بالأظافير».

قال ابن مُفلح رحمه الله: «ولا يدق الباب بعنف، لنسبة فاعله عرفًا إلى قلة الأدب، وفي معناه الصياح العالي، ونحو ذلك»(٦).

والأدب الذي ينبغي مراعاته عند دق الباب، هو نفسه الذي ينبغي مراعاته عند دق الجرس.

---

(١) **المدرى**: مشط صغير من حديد.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري [٤١٣٥]، ومسلم [٢١٥٦].

(٣) **الجناح**: الإثم.

(٤) **صحيح**: رواه البخاري [٦٨٨٨]، ومسلم [٢١٥٨].

(٥) **صحيح**: رواه البخاري [٥٤٢٣]، ومسلم [٢١٥٥].

(٦) «الآداب الشرعية» (١/ ٣٩٩) لابن مفلح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثالثًا- البدء بالسلام قبل الاستئذان:

فعن ربعي بن حراش، قال: «حدثنا رجل من بني عامر، قال: إنه استأذن على النبي ﷺ وهو في البيت، فقال: «أَلِجُ؟»[(١)].

فقال رسول الله ﷺ لخادمه: «**أخرُج إلى هذا فعلمه الاستئذان؛ فقل له: قل السلام عليكم، أأدخُلُ؟**».

فسمع الرجلُ ذلك من رسول الله ﷺ فقال: «**السلام عليكم، أأدخل؟**» فأَذِنَ لهُ؛ فدخل[(٢)].

رابعًا- التعريف بنفسه:

ينبغي على المستأذن أن يفصح عن اسمه، ولا يكتفي بقول: «أنا»، لحديث جابر السابق، الذي قال فيه: «أنا»، فقال النبي ﷺ: «**أنا، أنا**» كأنه كره ذلك[(٣)].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا استأذن أحد فقيل له من أنت؟ أو من هذا؟ كره أن يقول: «أنا» لهذا الحديث. ولأنه لم يحصل بقوله: «أنا» فائدة ولا زيادة، بل الإبهام باق، بل ينبغي أن يقول: فلان باسمه. وإن قال: أنا فلان، فلا بأس كما قالت أمُ هانئ حين استأذنت فقال النبي ﷺ: «**من هذه؟**».

فقالت: أنا أم هانئ.

ولا بأس أن يقول أنا أبو فلان، أو القاضي فلان، أو الشيخ فلان، والأحسن في هذا أن يقول: أنا فلان المعروف بكذا»[(٤)].

---

(١) **الولوج**: الدخول.

(٢) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٤٤٨].

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) «تحفة الأحوذي» (٧/ ١٢٨).



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خامسًا- الاستئذان ثلاث مرات:

فعن أبي نَضرة رَحِمَهُ اللَّهُ، عن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: استأذن أبو موسى على عمر، فقال السلامُ عليكم، أأدخُل؟

قال عمر: واحدة، ثم سكت ساعة، ثم قال: السلام عليكم، أأدخل؟ قال عمر: ثنتان، ثم سكت ساعة فقال: السلام عليكم، أأدخلُ؟ فقال عمر: ثلاثٌ، ثم رجع، فقال عمر للبواب: ما صنع.

قال: رجع.

قال: علي به، فلما جاءه قال: ما هذا الذي صنعت؟

قال: السُّنَّة.

قال: السُنة؟ والله لتأتينى على هذا ببرُهان أو ببينة، أو لأفعلن بك.

قال: فأتانا ونحن رُفقةٌ من الأنصار، فقال: يا معشر الأنصار، ألستم أعلم الناس بحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ألم يقل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الاستئذانُ ثلاثٌ، فإن أُذن لك وإلا فارجع؟**».

فجعل القوم يُمازحُونه(١).

سادسًا- إذا قيل ارجع فليرجع:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ [النور: ٢٨].

قال العلامة السعدى رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا تتمنعوا من الرجوع، ولا تغضبوا منه فإن صاحب المنزل لم يمنعكم حقًا واجبًا لكم، وإنما هو متبرع، فإن شاء أذن أو منع، فأنتم لا يأخذ أحدكم الكبرُ والاشمئزاز من هذه الحال، ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ [النور: ٢٨] أي:

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٢٠٦٢]، ومسلم [٢١٥٤]، والترمذي [٢٦٩٠].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أشد لتطهيركم من السيئات، وتنميتكم بالحسنات ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢٨]. فيجازي كل عامل بعمله، من كثرة وقلة، وحسن وعدمه»(١).

سابعًا- جواز استعمال المعاريض عند الضرورة:

نُقل عن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ استعمال المعاريض؛ لأن فيها مندوحة عن الكذب.

قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب؟!».

كان إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار، قال للجارية: قولى له: اطلبه في المسجد، ولا تقولي له ليس ههنا كيلا يكون كذبًا!»(٢) وكان الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في المنزل، خط دائرة وقال للجارية: ضعي الأصبع فيها وقولي: ليس ههنا(٣)!

قال الغزالي: «وإنما أرادوا بذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب، فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعًا، ولكن التعريض أهون(٤).

ثامنًا- غض البصر عن عورات البيت:

فغض البصر مأمور به أصلًا سواء في هذا الموضع أو غيره.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ﴾ [النور: ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

فعن مسلم بن نذير، قال: استأذن رجلٌ على حذيفة، فاطلع، وقال: أدخُل؟! فقال حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أما عينيك فقد دخلت، وأما إسُك فلم تدخل!!»(٥).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» [٥٦٥] للعلامة السعدي.

(٢) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٤٠).

(٣) المرجع السابق (٣/ ١٤٠).

(٤) المصدر السابق (٣/ ١٣٩).

(٥) **صحيح**: رواه البخاري في «الأدب المفرد» [٨٣٠].



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعـن القعقاع بن عمـرو، قال: صعد «الأحنف بن قيس» فـوق بيته، فأشرف على جـاره، فقال: «سـوءةٌ سـوءةٌ دخلت على جاري بغـير إذن، لا صعدتُ فـوق هذا البيت أبدًا!!»(١).

تاسعًا- إشعار الرجل أهله بدخوله:

ينبغـي على الرجل أن يُشـعر أهلـه بدخوله وقدومـه، ولا يدخل عـلى حين غفلة، بـل يُشـعرهم بأي نوع من أنواع الإشـعار، كرفع الصوت بالذكـر، أو بأي نوع من أنواع الإشعار.

قالت زينب – امرأة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان عبد الله إذا جاء من حاجة، فانتهى إلى الباب، تنحنح، وبزق؛ كراهة أن يهجم منا على أمرٍ يكرهه»(٢).

عاشرًا- تخفيف الزيارة:

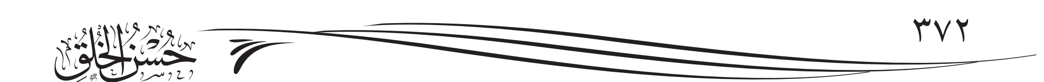
ينبغي على الزائر عدم إطالة الجلوس عند المزور، إلا إذا رغب أهل البيت في ذلك، لأن إطالـة الزيـارة قد تُحدث ردود فعل خطيرة على الزائر وعلى المزور فعن إسماعيل بن موسـى، قـال: دخلنـا إلى أنس بن مالـك، ونحن جميعًا مـن أهل الكوفة، فحدثنا بسـبعة أحاديث فاستزدناه، فقال: من كان له دينٌ فلينصرف فانصرفت جماعة، وبقيت جماعة أنا فيهم، ثم قال: من كان له حياء فلينصرف.

فانصرفـت جماعة، وبقيـت جماعة أنا فيهم، ثم قال: من كانت له مروءة فلينصرف. فانصرفت جماعة، وبقيت جماعة أنا فيهم، فقال: «يا غلمان أفقئوهم(٣)؛ فإنه لا بُقيا(٤) على قوم لا دين لهم، ولا حياء، ولا مروءة»(٥).

---

(١) «الأدب الضائع» ص: [٨٨].
(٢) «الجامع» (١/ ٢١٩) للخطيب البغدادي.
(٣) **أفقئوهم، أي**: أخرجوهم
(٤) **لا بُقيا**: لابقاء.
(٥) «الجامع» (١/ ٢١٥) للخطيب البغدادي.





التسليم

التسليم: هو شارة المؤمنين، وعلامة الموقنين، وتاج الصالحين، ومنهاج المتقين، وحال العارفين، وصفة العابدين، وطريق الفالحين، ولا إيمان إلا به. وهو كذلك فضيلة أخلاقية، تدل على الخضوع لله، والتوكل عليه، وتسليم الزمام إليه سبحانه.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وهذا التسليم إنما يتحقق بثلاثة أمور:

أولها- أن يحكموا الرسول صلى الله عليه وسلم في القضايا التي يختصمون فيها ويشتجرون.

ثانيها- أن تذعن نفوسهم لقضاء الله تعالى الذي ينطق به الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يكون عندهم ضيق أو امتعاض.

ثالثها- التسليم والانقياد بالفعل، وما كل من يعتقد حقيقة الحكم، ولا يجد في نفسه ضيقًا منه، ينقاد له فعلًا، وينفذه طوعًا.

قال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسير قول الله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

«أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرًا وباطنًا ويسلمه تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، وبيَّن في آيه أخرى أن قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي، والانقياد التام ظاهرًا وباطنًا لما حكم به صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى:





﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١][1].

أنواع التسليم:

ينقسم التسليم إلى نوعين:

❁ تسليم لحكم الله الشرعي الأمري.

❁ وتسليم لحكمه الكوني القدري.

أولًا- التسليم الشرعي الأمري:

وهو تسليم المؤمنين العارفين، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. تضمنت هذه الآية المباركة ثلاث مراتب عظيمة وهي: التحكيم، وسعة الصدر بانتفاء الحرج، والتسليم.

ثانيًا- التسليم للحكم الكوني القدري:

هو التسليم بالقضاء والرضا به، لأنه ليس لأحد قدرة على دفع هذا القدر الكوني القدري.

صور ومواقف إيمانية من حياة أهل التسليم:

هذه بعض الصور والمواقف الإيمانية المباركة من حياة الأنبياء والصالحين، تضرب أروع الأمثلة في كمال التسليم والرضا التام.

تسليم خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

أكمل التسليم: تسليم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وولده إسماعيل، قال الله تَعَالَى مثنيًا عليه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤].

---

(١) «أضواء البيان» (١/ ٢٠٥) للعلامة الشنقيطي.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

سليم مما سوى الله عَزَّوَجَلَّ... سلم لربه كل شيء .. يأمره الله عَزَّوَجَلَّ بوضع ولده وزوجته في صحراء لا مكان فيها لقطرة ماء أو طعام أو إنس، فيُسلم.

ويشبُّ ولدُه النجيب الذي أعُطيه على الكبر وهو الشيخ الطاعن في السن، المهاجر من الأهل والقرابة والدار، فيأمره بذبحه بإشارة في المنام، وليس أمرًا صريحًا في اليقظة، فيسلم، حتى ولو كان الأمر منامًا، فيكفي أنه من الله ليُسلم، ويريد إبراهيم أن يذوق ابنهُ جمال التسليم وحلاوة الرضا، فيقول لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فماذا يكون من إسماعيل الحليم ابن الخليل الكريم؟

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات: ١٠٢ - ١٠٩]. ويبقى هذا الحادث الوحيد الفريد العظيم منارة للتسليم والانقياد، ومثلًا مباركًا للرضا.

وهل يُنبتُ الخطى إلا وشيجُه ويزرع إلا في منابته النخل

تسليم أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لقد ضرب الجيل المبارك والرعيل الأول من أصحاب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروع الأمثلة في التسليم والرضا.

تحزبت الأعراب على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في غزوة الأحزاب حتى جمع له عشرة آلاف مقاتل، من المشركين والمنافقين واليهود، أقبلوا بعدوانهم، وطغيانهم، وخيلهم، ورجلهم، فما زاد ذلك المؤمنين إلا إيمانًا وإقبالًا على الله وتسليمًا له، فأثنى الله



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليهم، وامتدحهم في كتابه بقوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وهذا موقف آخر يضرب أروع الأمثلة في التسليم والرضا.

في حادثة الإفك التي تولى كبرها عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين، الذي خاض في عِرض عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأخذ يستجمع الكلام ويفرقه بين المسلمين، حتى وقع بعض الصحابة في عرض أم المؤمنين الحصان الرزان.

يَا حُمَيْرَاءُ سَبُّكِ مُحَرَّمُ ... فَمِنْ أَجْلِ عَيْنٍ أَلْفُ عَيْنٍ تُكْرِمُ

وكان من جملة من وقع في عرضها الصحابي الجليل مسطح بن أثاثة، وكان من فقراء المهاجرين، وكان قريبًا لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما بلغ أبو بكر ما قاله مسطح قال: هذا أمر لم نتهم به في الجاهلية، أفبعد أن أعزنا الله بالإسلام نتهم به، وحلف أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا، فعاتبه ربه بالوحي، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

فلما سمع أبو بكر الصديق هذه الآية.

قال: بلى والله ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع(١).

لا تقطعن عادة بِرّ، ولا ... تجعل عتاب المرء في رزقه

فإن أمر الإفك من مسطح ... يحط قدر النجم من أفقه

وقد جرى منه الذي قد جرى ... وعوتب الصديق في حقه

وهذه صورة أخرى ونموذج آخر من التسليم، لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري [٤٧٥٠].



شبكة الألوكة - قسم الكتب



خطب رسول الله ﷺ امرأة من الأنصار لجليبيب رضي الله عنه وكان جليبيب قصيرًا دميمًا، فكره الأنصاري - أبو الجارية - هذا الأمر هو وزوجته، فسمعت الجارية بما أراد رسول الله ﷺ، فتلت قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾

[الأحزاب: ٣٦]

وقالت: رضيتُ وسلمتُ لما يرضى به رسول الله ﷺ، فدعا لها رسول الله ﷺ وقال: «**اللهم اصبب عليهما الخير صبًا، ولا تجعل عيشهما كدًا**»(١).



(١) **صحيح**: رواه مسلم [٢٤٧٢].



www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

نسأل الله حسنها

هـذا ما يسر اللهُ لي جمعه من عناصر الخُلُق الحسـن الجميل، ومعالم السـلوك الطيب المبـارك، الـذي ينبغـي أن يتوافر في كل مسـلم ومسـلمة، حتى يتحقق لـه بذلك محبة الله ومحبـة النـاس له. فيحيى في الدنيا حياة طيبة مباركـة، ويحظي في الآخرة بقرب المنزلة من رسول الله ﷺ.

فـما كان في هـذا الكتـاب من خير فمـن الله وحده، فلـه الحمد على توفيقـه وإعانته وهدايته وصيانته، وما كان من خطأ فمن نفسي، وإني أتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ منه، وأتبرأ من كُل قول خالف أوامر الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

وإنْ تَـجِـدْ عَـيْـبًـا فَـسُـدَّ الْـخللا جَـلَّ مَـنْ لا عَـيْـبَ فِـيـهِ وَعَـلا

وأختـم هـذا الكتاب بقول الإمام ابن الجوزى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إلهي لا تُعذب لسـانًا يُخبرُ عنـك، ولا عينًـا تنظرُ إلى علوم تدلُ عليك، ولا قدمًا تمشـى في خدمتـك، ولا يدًا تكتبُ حديث رسولك ﷺ.

هـذا والله أعلى وأعلم وسـبيله أهدى وأقوم، وصل اللهـم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

مُسعد حُسين مُحمّد

حدائق كفر الدوار - البحيرة

٠١١٢٥٨٠٧٨٨٧ - ٠١٢٢٣٨٤٠٠١٢



شبكة الألوكة - قسم الكتب




www.alukah.net
شبكة الألوكة

المراجع

١- «صحيح البخاري» - للإمام البخاري - طبعة مكتبة الصفا.

٢- «صحيح مسلم» - للإمام مسلم - طبعة مكتبة الإيمان.

٣- «صحيح سنن» أبي داواد - للشيخ الألباني - المكتب الإسلامي.

٤- «صحيح سنن» الترمذي - للشيخ الألباني - طبعة المكتب الإسلامي.

٥- «صحيح سنن ابن ماجه» - للشيخ الألباني - طبعة المكتب الإسلامي.

٦- «صحيح سنن النسائي» - للشيخ الألباني - طبعة المكتب الإسلامي.

٧- مسند الإمام أحمد - تحقيق الأرنُووط - مؤسسه الرسالة.

٨- مسند الإمام أحمد - تحقيق أحمد شاكر - مكتبة الصفا.

٩- «الموطأ» - للإمام مالك بن أنس - طبعة دار الصحابة.

١٠- «فتح الباري» - للحافظ ابن حجر العسقلاني - طبعة دار الريان.

١١- «شرح صحيح مسلم» - للإمام النووي - طبعة دار الريان.

١٢- «المعجم الكبير» - للطبراني - طبعة - دار الكتب العلمية.

١٣- «المعجم الأوسط» - للطبراني - طبعة - دار الفكر.

١٤- «شعب الإيمان» - للبيهقي - الطبعة الهندسة.

١٥- «السنن الكبرى» - للبيهقي - طبعة دار الفكر.

١٦- «مسند أبو يعلى» - لأبي يعلى الموصولي - طبعة دار المأمون.

١٧- «صحيح ابن حبان» - لابن حبان - طبعة دار ابن حزم.

١٨- «المستدرك» - للحاكم - طبعة دار ابن خزيمة.

١٩- «مجمع الزوائد وفبع الفوائد» - للهيثمي - طبعة مكتبة المقدسى.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٠- «تحفة الأحوذي» - للمباركفوري - طبعة دار ابن حزم.

٢١- «الفتاوي الكبرى» - لابن تيمية - طبعة دار رحمة.

٢٢- «فيض القدير» - للمناوي - طبعة إحياء التراث العربي.

٢٣- «الترغيب» - للمنذري - طبعة مؤسسة الرسالة.

٢٤- «صحيح الأدب المفرد» - للإمام البخاري تحقيق الشيخ الألباني - طبعة دار ابن حزم.

٢٥- «المصنف» - لابن أبي شيبة - طبعة دار الصفوة.

٢٦- «النهاية في غريب الحديث والأثر» - لابن الأثير - طبعة دار ابن خزيمة.

٢٧- «سنن الدارمي» - للدارمي - طبعة دار ابن الهيثم.

٢٨- «عون المعبود شرح سنن أبي داود» - للطيب آبادي - طبعة مكتبة الصفا.

٢٩- «صحيح الجامع - للشيخ الألباني - طبعة المكتب الإسلامي.

٣٠- «السلسة الصحيحة» - للشيخ الألباني - طبعة مكتبة دار المعارف.

٣١- «مشكاة المصابيح» - للتبريزي تحقيق الشيخ الألباني - طبعة المكتب الإسلامي.

٣٢- «فتح القدير» - للشوكاني - طبعة المكتبة التوفقية.

٣٣- «شرح السنن» - للإمام البغوى تحقيق الأرنؤوط - المكتب الإسلامي.

٣٤- «جامع البيان في تأويل القرآن» - للإمام الطبرى - طبعة دار الثقافة العربية.

٣٥- «الجامع لأحكام القرآن» - للإمام القرطبي - طبعة دار الثقافة العربية.

٣٦- «تفسير القرآن العظيم» - للحافظ ابن كثير - طبعة دار المعرفة.

٣٧- «محاسن التأويل» - للقاسمى - طبعة دار الحرمين.

٣٨- «البحر المحيط» - لأبي حيان - المكتبة التوفقية.

٣٩- «عمدة التفاسير» - لأحمد شاكر - طبعة دار ابن حزم.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

٤٠- «في ظلال القرآن» - لسيد قطب - طبعة دار الشروق.

٤١- «تيسير الرحمن» - لعبد الرحمن ناصر السعدي- طبعة الدار السلفية الكويت.

٤٢- «بصائر ذوى التميز بلطائف الكتاب العزيز» - للفيروز آبادى - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٤٣- «مفاتيح الغيب» - لفخر الدين الرازي - طبعة دار الغد.

٤٤- «الكشاف» - للزمخشري - طبعة دار ابن حزم.

٤٥- «أيسر التفاسير» - أبو بكر الجزائري - طبعة دار العلوم والحكم.

٤٦- «أُسد الغاية» - لابن الأثير - طبعة مكتبة الصفا.

٤٧- «سير أعلام النبلاء» - للإمام الذهبي - طبعة مكتبة الصفا.

٤٨- «البداية والنهاية» - لابن كثير - طبعة مكتبة الإيمان.

٤٩- «صفة الصفوة» - لابن الجوزي - طبعة دار ابن الهيثم.

٥٠- «تاريخ الإسلام» - للإمام الذهبي - طبعة دار الفكر.

٥١- «التاريخ» - لابن عساكر - طبعة الكتاب العربي.

٥٢- «الطبقات الكبرى» - لابن سعد - دار التراث العربي.

٥٣- «سيرة ابن هشام» - لأبي محمد عبد الملك بن هشام - دار العقيدة.

٥٤- «طبقات الشافعية» - لابن السبكي - طبعة دار ابن الأثير.

٥٥- «حلية الأولياء» - لأبي نعيم الأصفهاني - طبعة دار ابن القيم.

٥٦- «زاد المعاد» - لابن القيم - طبعة دار الدعوة وطبعة المطبعة العصرية.

٥٧- «الروح» - لابن القيم - طبعة مكتبة الإيمان.

٥٨- «الجواب الكافي» - لابن القيم - طبعة دار الدعوة .

٥٩- «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» - لابن القيم - طبعة دار ابن حزم.



www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦٠- «الوابل الصيب» - لابن القيم - طبعة دار الدعوة.

٦١- «مدارج السالكين» - لابن القيم - طبعة دار الأدب العربي.

٦٢- «ذم الهوى» - لابن الجوزى - طبعة دار العقيدة.

٦٣- «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» - لابن الجوزى - طبعة الدار التوفقية.

٦٤- «التبصرة» - لابن الجوزي - طبعة دار ابن الهيثم.

٦٥- «الحلم» - لابن أبي الدنيا - طبعة دار الإيمان.

٦٦- «أدب الدنيا والدين» - لابن أبي الدنيا - طبعة مؤسسة الرسالة.

٧٦- «الورع» - لابن أبي الدنيا - طبعة الدار السلفية.

٨٦- «مكارم الأخلاق» - لابن أبي الدنيا - طبعة دار المعارف.

٩٦-«كتاب الإخوان» - لابن أبي الدنيا - طبعة دار الاعتصام.

٧٠- «التوابين» - لابن قدامة - طبعة الدار السلفية.

٧١- «منهاج القاصدين» - لابن قدامة - مكتبة الهدى النبوي.

٧٢- «قرى الضيف» - لإبراهيم الحربي - طبعة - دار ابن الهيثم.

٧٣- «أداب الصحبة» - لأبي عبد الرحمن السلمى - طبعة دار التوحيد.

٧٤- «لطائف المعارف» - لابن رجب الحنبلي - طبعة دار ابن حزم.

٧٥- «تهذيب الكمال» - للمزى - طبعة مؤسسة الرسالة.

٧٦- «العقد الفريد» - لابن عبد ربه- دار الكتب العلمية.

٧٧- «أدب الدنيا والدين» - للماوردي - طبعة دار الكتب العلمية.

٧٨- «شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» - لبهاء الدين بن عقيل - طبعة دار الطلائع.

٧٩- «المجالس» - لابن عبد البر - طبعة دار الصحابة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٨٠- «الذريعة إلى مكارم الشريعة» - للأصفهاني - طبعة مؤسسة الرسالة.

٨١- «الخشوع في الصلاة» - لابن رجب الحنبلي - طبعة دار ابن القيم.

٨٢- «الزهد» - لابن المبارك - طبعة دار ابن الهيثم.

٨٣- «عوارف المعارف» - للسهروري - طبعة دار التوحيد.

٨٤- «آداب الزفاف» - للألباني - طبعة مكتبة المعارف.

٨٥- «الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود» - لعبد الرؤف المناوي - طبعة دار الصحابة.

٨٦- «تنبيه المغتربين» - للشعراني - طبعة دار ابن حزم.

٨٧- «التوقيف على مهمات التعاريف» - للمناوي - طبعة مكتبة الصفا.

٨٩- «تهذيب الكمال» - للمزي - طبعة مؤسسة الرسالة.

٩٠- «تهذيب الأخلاق» - للجاحظ - طبعة دار القاسم.

٩١- «الكليات» - للكفوى - طبعة دار ابن تيمية.

٩٢- «مكارم الأخلاق» - للخرائطى - طبعة دار الإيمان.

٩٣- «أداب العشرة» - للغزي - طبعة دار ابن حزم.

٩٤- «الدر المنضود» - للسيوطي - طبعة المكتب الإسلامي.

٩٥- «التعريفات» - للجُرجاني - طبعة دار التوحيد.

٩٦- «المفردات» - للراغب الأصفهاني - طبعة دار الصفوة.

٩٧- «نضرة النعيم» - مجموعة علماء - طبعة دار الوسيلة.

٩٨- «روضة العقلاء» - لابن حبان - طبعة مكتبة السنة.

٩٩- «وحي القلم» - لمصطفى صادق الرفاعي - طبعة دار الكتاب العربي.

١٠٠- «إحياء علوم الدين» - للغزالي - طبعة دار الصحابة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠١- «خلق المسلم» - للغزالي - طبعة دار الدعوة.

١٠٢- «فقه السيرة» - للغزالي - طبعة دار الدعوة، وطبعة دار الكتاب العربي.

١٠٣- «الحياء خلق المسلم» - محمد المقدم - طبعة دار الصفوة.

١٠٤- «الرياض النضرة» - ناصر السعدي - طبعة مكتبة ابن تيمية.

١٠٥- «الرحيق المحتموم» - المباركفورى - الدار العربية.

١٠٦- «شرح رياض الصالحين» - للشيبخ العثيمين - طبعة دار البصيرة.

١٠٧- «مكارم الأخلاق» - للشيخ العثيمين - طبعة دار الهدى الإسلامي.

١٠٨- «الأمانه في الإسلام» - عبد اللطيف إبراهيم - طبعة دار ابن الجوزي.

١٠٩- «الوفاء» - لأيمن الشوا - دار الكلم الطيب.

١١٠- «موسوعة الأخلاق الإسلامية» - سعد يوسف عزيز - طبعة المكتبة التوفقية.

١١١- «منهاج المسلم» - للشيخ أبو بكر الجزائري - مكتبة دار التراث.

١١٢- «مواقف إيمانية» - لأحمد فريد - طبعة دار الصفوة.

١١٣- «وصايا الرسول» - لسعد يوسف عزيز - طبعة المكتبة التوفقية.

١١٤- «من أخلاق الداعية» - لسليمان بن فهد العودة - طبعة دار ابن حزم.

١١٥- «لباب الأدب» - لأسامة بن مُنقذ - طبعة مكتبة السنة.

١١٦- «بر الوالدين» - للطرطوشى - طبعة دار ابن الأثير.

١١٧- «الأخلاق الإسلامية» - لعبد الرحمن حبنكة - طبعة دار الصحابة

١١٨- «أحب الأعمال إلى الله» - مسعد حسين محمد - طبعة دار الإيمان.

١١٩- «هؤلاء يحبهم الله» - مسعد حسين محمد - طبعة دار الكنوز.

١٢٠- «أوثق عُرى الإيمان» - مسعد حسين محمد - طبعة دار التوحيد.

١٢١- «جامع العلوم والحكم» - لابن رجب الحنبلي - طبعة: دار الدعوة.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢٢- «شفاء العليل» - لابن القيم - طبعة: مؤسسة الرسالة.

١٢٣- «دلائل النبوة» - لأبي نعيم الأصبهاني - طبعة: مكتبة الصفا.

١٢٤- «الأخلاق والسير» - لابن حزم - طبعة: دار ابن الجوزي.

١٢٥- «تهذيب الأخلاق» - للجاحظ - طبعة: دار السلام.

١٢٦- «الآداب الشرعية» - لابن مفلح - طبعة: دار الإيمان.

١٢٧- «المستقصى» - للزمخشري - طبعة: دار ابن حزم.

١٢٨- «الأنوار في شمائل النبي المختار» - للبغوي - طبعة: مكتبة الصفا.

١٢٩- «شمائل الرسول» - لابن كثير - طبعة: الدار العلمية.

١٣٠- «شجرة المعارف والأحوال» - للعز بن عبد السلام - طبعة: مكتبة الصفا.

١٣١- «البيان والتبيين» - للجاحظ - طبعة: دار ابن القيم.

١٣٢- «زهر الآداب» - للقيرواني - طبعة: دار ابن الهيثم.

١٣٣- «مع الرعيل الأول» - لمحب الدين الخطيب - طبعة: دار ابن حزم.

١٣٤- «الأمثال» - لأبي عُبيد - طبعة: مؤسسة الرسالة.

١٣٥- «مجمع الأمثال» - للميداني - طبعة: مكتبة الإيمان.

١٣٦- «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» - للقيرواني - طبعة: دار ابن حزم.

١٣٧- «أخلاق النبي» - لأبي الشيخ الأصبهاني - طبعة: دار ابن الجوزي.

١٣٨- «الفتاوى السعدية» - لابن سعدي - طبعة: مكتبة الصفا.

١٣٩- «عين الأدب والسياسة» - لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل - دار الترمذي.

١٤٠- «الأدب العربي وتاريخه» - لعبد العزيز الفيصل - طبعة: دار الإيمان.

١٤١- «رسائل الإصلاح» - لمحمد الخضر حسن - دار السلام.

١٤٢- «الفنون» - لابن عقيل - مكتبة: وهبة.


شبكة الألوكة - قسم الكتب


www.alukah.net

١٤٣- «ديوان الإمام علي» - للإمام علي بن أبي طالب - دار ابن حزم.

١٤٤- «ديوان الشافعي» - للإمام الشافعي - طبعة: دار ابن حزم.

١٤٥- «الشوقيات» - لأحمد شوقي - مكتبة جزيرة الورد.

١٤٦- «رحلة الحج إلى بيت الله الحرام» - لمحمد أمين الشنقيطي - طبعة: دار المدينة.

١٤٧- «ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي» - لعبد الرحمن السديس - طبعة: المدينة المنورة.

١٤٨- «حياة الأمة» - لمحمد الخضر حسين - طبعة: مكتبة الصفا.

١٤٩- «أصول الدعوة» - عبد الكريم زيدان - طبعة: دار ابن حزم.




شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net



فهرس

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة


شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة



شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

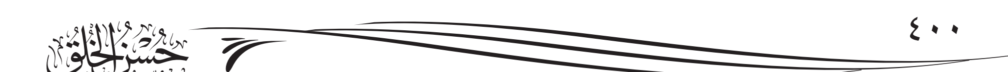
www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كُتب للمؤلف

- عالم الملائكة.
- رمضان وتزكية النفوس.
- تعدد الزوجات.
- أحب الأعمال إلى الله.
- أوثق عُرى الإيمان.
- حسن البيان في فضائل شهر شعبان.
- تذكير الأحباب بآداب الطعام والشراب.
- التداوي بالصلاة.
- حُسن الخلق.
- كيف تكونين أسعد امرأة؟
- كيف تكون ناجحًا ومحبوبًا؟
- بيوت تحبها الملائكة.
- هؤلاء يحبهم الله.
- ماذا يحب النبي محمد وماذا يكره.
- الدعوة السلفية وخطر الحزبية.
- قصص الأنبياء للأطفال والناشئة.
- قصص الصحابة للأطفال والناشئة.
- قصص القرآن للأطفال والناشئة.
- السيرة النبوية للأطفال والناشئة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة



- وصايا الرسول للأطفال والناشئة.
- فقه السنة للأطفال والناشئة.
- التداوي بالصلاة.
- معالم في الطريق (دراسة وتقديم).
- من روائع سيد قطب (دراسة وتقديم).
- قصص القرآن للأطفال.
- الرقية الشرعية.
- خواطر دعوية.
- الطريق إلى الجنة.
- فضائل الأعمال.
- علاج الحسد والعين.
- عالج نفسك وأهلك بنفسك.
- الدعاء للميت.
- تربية الأولاد في الإسلام.
- منهج تربية الأولاد في الإسلام.



شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في

